اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

جامعة الكوفة – كلية الآداب
قسم التاريخ

الإمام علي (عليه السلام) في كتابات المستشرقين
دراسة تاريخية تحليلية

أطروحة قدمها الى

مجلس كلية الآداب في جامعة الكوفة

حاتم كريم جياد

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في

التاريخ الإسلامي

اشراف

الاستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم

1428هـ 2007م

بسم الله الرحمن الرحيم

((يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))

صدق الله العلي العظيم

الحجرات/13

اقرار المشرف العلمي

اشـهد ان اعـداد هـذه الاطروحـة قـد جـرى باشـرافي بمراحلهـا كافـة وارشـحها للمناقشة.

الامضاء:
الاسم: الاستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم
التاريخ: / /2007

بنـاء علـى ترشيح السيد المشرف العلمـي وتقريـري الخبيـرين العلمـي واللغـوي ارشح الاطروحة للمناقشة.

الامضاء:
رئيس القسم: أ.م.د.علاء حسين الرهيمي
التاريخ: / /2007

الإهداء

إلى سيدي ومولاي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) شفاعة لرضا الخالق سبحانه وتعالى.

شكر وعرفان

((اذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر))

الإمام علي (عليه السلام)

الحمد لله الذي من على عباده بتمام الخلق ونعمة الدين،وفتح لهم خزائن الدنيا واسرار اليسير من العلم ليكونوا له من الوارثين.

من دواعي الوفاء والعرفان بالجميل ان اثني ثناء الشاكرين على مشرفي الاستاذ حسن عيسى الحكيم اطال الله في عمره وجعله معينا لسالكي طريق العلم والمعرفة لما بذله من جهد في قراءة الاطروحة ولتوجيهاته التي اغنت البحث بالشيء الكثير.

واتقدم بالامتنان المقرون بالدعاء من الله سبحانه وتعالى ان يمن على الاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي بطول العمر والعزة ليبقى المنهل الذي يفيض بعلمه الغزير على طلبة الدراسات العليا،لما ابداه من تعاون معي في تعديل خطة البحث والاستشارة فيما يتعلق بالاستفادة من اغلب المصادر الانكليزية التي مثلت الاساس للاطروحة.

وأكِبْ واجلل اساتذتي في قسم التاريخ الذين اخذوا بيديَّ لاكمال السنة التحضيرية وفي مقدمتهم الاستاذ المساعد الدكتور علاء حسين الرهيمي،كونه احد الذين درسونا في مرحلة الدكتوراه اولا ولرئاسته القسم وحرصه على توفير الاجواء المناسبة للدراسة ثانيا.

واتقدم بالشكر الجزيل للدكتور عمار عبودي نصار والتدريسي زهير يوسف لتزويدهما لي ببعض المراجع التي افادت البحث.

ولا يفوتني ان اقدم الاحترام لزملائي في السنة التحضيرية وهم تدريسيون معي في القسم والبعض الاخر في كليات اخرى لما تمتعوا به من روح التعاون المبني على الاحترام ونكران الذات وحب الخير للاخرين،وهم الدكاترة كل من،عبد الرضا حسن جياد وجابر رزاق وختام راهي وهادي التميمي وعباس عاجل وزينب حسن.

واعترف بالفضل الذي يقابله الاعتزاز لكادر المكتبة الحيدرية في الصحن العلوي الشريف لما قدموه من رعاية تامة لرواد هذه المكتبة النفيسة دون تمييز.

واثني على جهود كادر مكتبة المجمع العلمي العراقي في بغداد الذين منحوني الحرية الكاملة في التعامل مع رفوف المكتبة مباشرة للحصول على اغلب المصادر الانكليزية،وكذلك تقديري لكادر المكتبة المركزية ومكتبة كلية التربية ابن رشد في جامعة بغداد ومكتبة الحكيم (قدس سره) في النجف الاشرف.

والتمس العذر من لم يجد اسمه في صفحة الشكر سواءً ساعدني بكلمة أم اطراء جميل او تمنٍ بدعاء لاكمال الاطروحة،واقول لهم وفقكم الله.

الباحث

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
اقرار المشرف العلمي	أ
الاهداء	ب
شكر وعرفان	ج-د
قائمة المحتويات	هـ - ز
المقدمة ونطاق البحث	1-7
الفصل الاول: المستشرقون ودراسة سير الرجال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) انموذجاً.	8-43
مدخل	9-10
المبحث الاول: الدراسات الغير موضوعية.	11-35
المبحث الثاني: الدراسات الموضوعية.	36-43
الفصل الثاني: مناهج المستشرقين في دراسة شخصية الإمام علي (عليه السلام).	44-91
مدخل	45
المبحث الاول: اسبقية الإمام علي (عليه السلام) في الإسلام.	46-57
المبحث الثاني: زواج الإمام علي (عليه السلام).	58-65
المبحث الثالث: الإمام علي (عليه السلام) وجمع القرآن.	66-69
	70-79

المبحث الرابع: الصفات الشخصية للامام علي (عليه السلام).	91-80
المبحث الخامس: شجاعة الإمام علي وفروسيته (عليه السلام).	152-92
الفصل الثالث: موقف المستشرقين من الخلافة.	93
مدخل	103-94
تمهيد: الخلافة مفهوماً وممارسة.	125-104
المبحث الاول: الدراسات الاستشراقية التي تبنت الموقف الذي يؤيد عدم استخلاف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)	143-126
المبحث الثاني: الدراسات الاستشراقية التي تبنت الموقف الذي يؤيد استخلاف الإمام علي (عليه السلام).	152-144
المبحث الثالث: الرد على الدراسات الاستشراقية التي تؤيد عدم استخلاف النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لأحد في ضوء مواقف الشيعة الإمامية.	220-153
الفصل الرابع: الحروب التي خاضها الإمام علي (عليه السلام) ضد الخارجين عن السلطة [الضالين] في الدراسات الاستشراقية.	154
مدخل	

المبحث الاول: حروب الإمام علي (عليه السلام) ضد الناكثين في معركة الجمل.	179-155
المبحث الثاني: حرب الإمام علي ضد القاسطين في معركة صفين.	207-180
المبحث الثالث: حرب الإمام علي ضد المارقين (الخوارج) في معركة النهروان.	220-208
الخاتمة	222-221
قائمة المصادر والمراجع	260-223
ملخص اللغة الانكليزية Abstract	1-3

المقدمة

المقدمة ونطاق البحث

اهتم المستشرقون بدراسة التاريخ العربي الإ ِسلامي عبر العصور الماضية دفعهم في ذلك عوامل عدة من بينها ما هو ديني او اقتصادي او سياسي او علمي،وانصب اهتمامهم على الإ ِسلام ونبي الإ ِسلام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعض الشخصيات الإ ِسلامية،الى جانب علوم وآداب اللغة العربية في العصر القديم وعصر ما قبل الإ ِسلام والعصر الإ ِسلامي.

وقد اختلف الباحثون المسلمون في تقييمهم لآثار المستشرقين بين من هو معترف بجهودهم في اثراء المكتبات الاوربية والعربية بكل ما من شأنه احياء التراث العربي الإ ِسلامي بدراسة الكثير من مخطوطات اسلافنا النفيسة في الاختصاصات المختلفة،كالتاريخ والجغرافية والفلسفة والادب واللغة،وبين آخر يقلل من شان المستشرقين ويتهمهم بالدس ومحاولة تشويه التاريخ الإ ِسلامي.والامر الذي لا يختلف فيه اثنان ان المستشرقين ليسوا على مستوى واحد من الثقافة والكفاءة العلمية،وان الدوافع لدراستهم التاريخ الإ ِسلامي تختلف بين شخص واخر،فمنهم من عمل لحساب مؤسسات علمية والبعض الاخر قد جندته جمعيات تبشيرية او استعمارية،فمن الطبيعي تباين احكامهم بشان الموضوع الذي يهتمون به،ومن الخطأ الحكم على كل المستشرقين بانهم قد اضروا بالإ ِسلام او جميعهم قد اسدوا خدمة اليه،وانما الحكم يكون على وفق استخدام معايير البحث العلمي وتطبيقه على دراستهم.

في ضوء ما تقدم ذكره؛وانطلاقا من رغبة الباحث في ان تكون دراسته الاكاديمية في المرحلة العالية تتمحور حول سيرة النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وآل بيته الاطهار – عليهم السلام -.

فضلا عن الغاية السامية في مشوار البحث العلمي يسَّر الله تعالى للباحث اختيار موضوع هذه الاطروحة الموسوم (الإمام علي –عليه السلام- في كتابات المستشرقين دراسة تاريخية تحليلية).فالحمد لله اولاً واخراً.

تضم هذه الاطروحة اربعة فصول متفاوتة في عدد صفحاتها لضرورات تطلبها البحث ولطبيعة هذا الموضوع،الفصل الاول الذي يعد فصلا تمهيديا تحت عنوان (المستشرقون ودراسة سير الرجال-الرسول محمد [صلى الله عليه وآله وسلم] انموذجاً)،ويشمل مبحثين،احدهما يتناول الدراسات الغير موضوعية تجاه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وال بيته الاطهار (عليهم السلام)،والثاني يتناول الدراسات الموضوعية.

كانت الغاية من هذا الفصل هي القاء نظرة سريعة على رؤية المستشرقين للشخصية الإِسلامية،وأول شخصية اولاها المستشرقون بحثا هو الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)،فضلا عن معرفة المنهج الذي استخدمه المستشرقون في تقويمهم لبعض هذه الشخصيات،وهل انهم استخدموا المعايير نفسها مع الكل او انهم حاولوا التمييز بين واحد واخر.

اما الفصل الثاني فيحمل عنوانا هو:((مناهج المستشرقين في دراسة شخصية الإمام علي [عليه السلام]))،ويقسم الى خمسة مباحث تمحورت حول اسبقية الإمام علي في الإِسلام،وزواجه من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)،وأثره في جمع القران،وصفاته الشخصية فضلا عن شجاعته وفروسيته.والغاية من هذا الفصل هي معرفة انطباعات المستشرقين عن شخصية الإمام علي –عليه السلام- وتقويمهم لكل ما يتعلق بسيرته وشخصيته.

وفيما يتعلق بالفصل الثالث فقد تناول موضوع (موقف المستشرقين من موضوع الخلافة)،وعرض الاشكالية التي رافقت هذا الموضوع عبر كتابات المستشرقين،والمتمثلة بان الرسول الكريم محمد (صلى لله عليه واله وسلم) لم يعين خليفة من بعده،وكذلك ما ورد من روايات تناقض هذا الرأي توضح انه قد استخلف،وقد استعرض الباحث وجهات نظر بعض المستشرقين بشان هذه المسألة وما ورد على لسان بعض مؤرخينا او ما اجتهد الباحث به للرد عليها على وفق ثلاثة مباحث.

وختام الفصول كان الفصل الرابع الذي أطّره عنوانا هو (الحروب التي خاضها الإمام علي [عليه السلام] ضد الناكثين والقاسطين والمارقين) ابان تسلمه الخلافة وقد اماط هذا الفصل اللثام عن ما افرزته بعض الدراسات الاستشراقية حول اسباب واحداث ونتائج معارك الجمل وصفين والنهروان على وفق ثلاثة مباحث،وعالج هذا الفصل مدى تقييم المستشرقين لهذه الحروب من حيث كونها قد خاضها الإمام علي (عليه السلام) من اجل الاحتفاظ بالخلافة ام لان اعداءه قد حاولوا شق صف المسلمين والضرر بالإِسلام؟.

لقد اعتمد في اعداد هذه الاطروحة مصادر ومراجع عربية واجنبية ومترجمة وكانت عماد البحث الى جانب ما لم يتم ذكره في هذه المقدمة،كان من بينها مسند احمد بن حنبل (ت241هـ/855م) وصحيح البخاري (ت256هـ/869م) وصحيح مسلم (ت261هـ/874م)،وسنن ابن ماجة (ت275هـ/888م)،وصحيح الترمذي (ت297هـ/909م)،والمستدرك على الصحيحين للنيسابوري (ت405هـ/1014م).

وتمثلت الفائدة من هذه الكتب بتخريج الاحاديث النبوية الشريفة التي وردت في بحوث بعض المستشرقين،او اللجوء اليها عند ذكر مناقب الإمام علي (عليه السلام) والحسن والحسين (عليهما السلام).

ومن المصادر الاخرى التي اعانت الباحث في تتبع بعض الروايات التاريخية التي وردت في كتابات المستشرقين او الاستعانة بها في الرد على الاشكالات التي عرضوها،كتاب المغازي لابن اسحاق (ت151هـ/768م)،وكتاب السيرة النبوية لابن هشام (ت218هـ/833م)،وكتاب انساب الاشراف للبلاذري (ت279هـ/892م)،يضاف لهذه المصادر كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت310هـ/922م) ،الذي يعد من الكتب الغنية عن التعريف لاي باحث في التاريخ الإِسلامي،فهو يتميز بسعة المعلومات التي اوردها فيه وبطرق اسناد متعددة،وكان مؤلفه حريص على الشمولية في نقل النصوص والتفصيل في ذكر الاحداث المتعلقة بخلافة الإمام علي (عليه السلام) وما رافقها من عقبات.

ومما اعان الباحث في تعقب بعض الروايات ايضا،مُؤلَّف (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي (ت346هـ/957م)،ومن المصادر المهمة الاخرى التي اعتمد الباحث عليها في ترجمة بعض الشخصيات التي وردت في ثنايا الاطروحة،كتابي (الاصابة في تمييز الصحابة) و (تهذيب التهذيب) لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ/1448م).

وعلى الرغم من ان كتاب (الأعلام) للزركلي (ت 1396هـ/1976م) يُعد من المراجع فقد اعتمد الباحث عليه في ترجمة بعض الشخصيات لما تميز به من السعة اذ انه يحمل تراجم لشخصيات عاشوا الى حقبة تاريخية متأخرة فضلا عن ترجمته لعدد من المستشرقين.

ومن المراجع العربية الذي تكرر ذكره في اكثر من موضع في الاطروحة كتاب (الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ) للمؤرخ ابراهيم بيضون،ويعد من الكتب التي سلك فيه مؤلفه منهجا تحليليا بعيدا عن السرد التاريخي،فضلا عن كتاب (الإِسلام والغرب) لمؤلفه راجي انور هيفا الذيوقف فيه على آراء بعض المستشرقين بشان الإِسلام وناقشها في ضوء الحقائق المعلنة في كتب التاريخ الى جانب اجتهاده في تقديم الرؤى المتعلقة ببعض الاشكالات التي عرضها المستشرقون.

اما المراجع الاجنبية المترجمة الى اللغة العربية فكانت ذات فائدة جلية للاطروحة وكان من بينها كتاب (عقيدة الشيعة) للمستشرق الانكليزي دونلدسن (Donaldson)،ولا يمكن لاي باحث يحاول دراسة سيرة الائمة او معتقدات الشيعة الاستغناء عن هذا الكتاب،اذ حاول

(دوندلسن) فيه الاعتماد على مصادر ومراجع مؤرخي الشيعة الى جانب مصادر ومراجع مؤرخي السنة،واستخدم آليات البحث التاريخي من تحليل وربط ونقد ومقارنة واستنتاج،واسهب في وصف الاحداث التاريخية المتعلقة بخلافة الإمام علي (عليه السلام) والحروب التي دارت في عهده الى جانب دراسته موضوع الإمامة الذي يعد في صميم العقيدة الشيعية.

لقد قسّم دونلدسن كتابه آنف الذكر الى اثنين وثلاثين بابا،افرد الباب الاول منها لدراسة حدث تاريخي مهم،هو الخلافة،متخذا من حديث غدير خم اساسا انطلق منه لتوضيح ملابسات هذا الموضوع وما جرى في السقيفة من خلاف بشان اختيار خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،وفي الباب الثاني يتحدث عن مجريات الخلافة في عهد الخلفاء الراشدين حتى نهاية خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)،فيما خصص الباب الثالث لدراسة خلافة الإمام علي (عليه السلام) وما صاحبها من احداث حتى يصل الى استشهاده،بعد ذلك يحاول (دونلدسن) دراسة سيرة الائمة الاثني عشر على وفق ابواب فخصص لكل امام باباً،ولكل مرقد مقدس بابا ايضا يعرض فيه بناء المرقد والتطورات العمرانية التي طرأت عليه،ودرس (دونلدسن) خلال المباحث الخمسة الاخيرة موضوع الإمامة وعصمة الائمة والانبياء وشفاعتهم.

وكان للمستشرق الفرنسي آميل درمنغهم (Dermenghem,E) كتابا عنوانه (حياة محمد) تمكن الباحث من خلاله الحصول على معلومات تاريخية تتعلق بجوانب مهمة من شخصية الإمام علي (عليه السلام) وموضوع الخلافة بعد الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن الكتب المترجمة الاخرى كتاب (الخوارج والشيعة) للمستشرق الالماني يوليوس فلهوزن (Julius well Hausen)،ويعد من الكتب التي كانت ذات قيمة ملموسة في الاطروحة،اذ يقف فيه على احداث ما بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وتَكرَ معركتي الجمل وصفين باختصار شديد ليناقش بعد ذلك نشأة الخوارج وظهورهم على مسرح الاحداث لاول مرة والصراع الذي دار بينهم وبين الإمام علي (عليه السلام) في معركة النهروان.

وللمستشرق فلهوزن ايضا كتاباً آخر عنوانه (تاريخ الدولة العربية من ظهور الإِسلام الى نهاية الدولة الاموية)،وقد قسمه الى تسعة فصول،خص الفصل الاول لدراسة عصر الرسالة الإِسلامية والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) حتى نهاية عهد الخليفة عثمان،اما الفصل الثاني فقد تناول فيه الحروب التي حدثت في عهد الإمام علي،وقد تم الاستفادة من هذا

الفصل بوضوح لعلاقته المباشرة بالبحث،اما باقي الفصول فقد استعرض فيها احداث الدولة العربية الإ ِسلامية حتى نهاية العصر الاموي.ومما يلاحظ على المنهج الذي استخدمه فلهوزن في هذا الكتاب هو اللجوء الى الاختصار الشديد الذي لا يخلو من الفائدة.

وهناك كتاب مترجم للمستشرق الالماني (جرهارد كونسلمان) تحت عنوان (سطوع نجم الشيعة)،ويتضمن هذا الكتاب معلومات مهمة عن الشيعة في التاريخ الإ ِسلامي والتاريخ الحديث،مبتدئاً بذكر احداث الهجرة النبوية الى يثرب ودور الإمام علي (عليه السلام) في المبيت في فراش النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)،وحاول كونسلمان الوقوف على الاحداث التاريخية البارزة التي حظيت باهتمام الشيعة ومن بينها خلافة الإمام علي والحروب التي دارت خلالها وكذلك خلافة الإمام الحسن واستشهاد الإمام الحسين (عليهم السلام) وتولي الإمام علي بن الحسين زين العابدين الإمامة،ومن ثم يذكر تفصيلات عن الإمامة في نظر الشيعة وغيرها من الاحداث التاريخية،وينتقل بعد ذلك الى حقبة تاريخية متاخرة تمثلت بالثورة الايرانية عام (1979م) ويصل بالاحداث حتى عام 1989م.

وكان لكتاب (محمد وخلفاؤه) للمستشرق الامريكي واشنطن ايرفنج (W.Irving) فائدة في هذه الاطروحة،وعلى الرغم من ان هذا الكتاب يعد من الكتب التي تناولت سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الا انه قد تمت الاستفادة منه من خلال الوقوف على احداث تاريخية خصت الإمام علي (عليه السلام).

اما كتاب المستشرق الانكليزي بودلي(Bodley,R.V.) الذي يحمل عنوان (حياة محمد) فهو الآخر من الكتب التي عنيت بالسيرة النبوية ايضا ولكن تخلله احداث تاريخية تتعلق بالإمام علي وتم توظيف هذه المعلومات بالاتجاه الذي يصب في فائدة البحث.

ومن الكتب المترجمة الاخرى ذات الصلة المباشرة بالموضوع كتاب المستشرق الدانيماركي بترسن (Patterson) المعنون (علي ومعاوية في الرواية) المبكرة الذي ترجمه الاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي،وهو مؤلف قيم استخدم فيه مؤلفه مصادر ومراجع مختلفة واستعان بالقصائد الشعرية التي اطلق عليها مصطلح الرواية الشعرية.لقد كان بترسن في هذا الكتاب مؤرخا تعامل مع الاحداث التاريخية بشكل ملفت للنظر،فهو يسعى للوصول الى الحقائق بايراد الروايات المتعلقة بالحدث التاريخي المراد التحقق من صحته على اختلافها ثم يلجأ في النهاية الى ترجيح واحدة على اخريات.

وكان للمراجع الاجنبية اهمية لا تقل ان لم تقل انها اكثر من المراجع المترجمة في اغناء الاطروحة بالاراء الاستشراقية وخاصة في الفصلين الثالث والرابع،وكان من بينها كتاب المستشرق الانكليزي ميور (Muir) الذي يحمل عنوان

(The caliphate its Rise Decline and Fall) (الخلافة-انحدارها-سقوطها)،وكان ذا اهمية لصلته المباشرة بموضوع الاطروحة،اذ يتناول ملابسات موضوع الخلافة واحداث خلافة الإمام علي (عليه السلام) بشيء من التفصيل.

وكتب باللغة الالمانية المستشرق الالماني (شبولر Spuler) كتابه الموسوم (Geschichte Der Islamischen Lander) وقد عالج شبولر في كتابه الحروب التي خاضها الإمامعلي (عليه السلام) ضد الناكثين والخوارج في معركتي الجمل والنهروان.

ومن الكتب الاخرى كتاب المستشرق الانكليزي (ترتون Tritton) الذي كان بعنوان (Islam Belief and Practices) -الإ ِسلام الممارسة والتطبيق- ويمكن تلمس الفائدة منه من خلال متابعة واطلاع القارئ على صفحات الاطروحة.

وكان للموسوعات باللغتين الانكليزية والعربية فائدة جمة في هذا العمل وتمثلت بكونها تضم بحوثا قيمة –وخاصة الانكليزية- لعدد من المستشرقين تناولوا فيها مواضيع تتعلق بالفكر الشيعي واحداث خلافة الإمام علي (عليه السلام).

واهم هذه الموسوعات هي (Encyclopeadia of Islam, New Edition) و (Encyclopeadia of Religion and Ethics) موسوعة الاديان والاخلاق.

اما الموسوعات العربية فكانت موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي ذات اهمية كبيرة،اذ تضمنت ترجمة لنخبة من المستشرقين ومؤلفاتهم مع تحليل لبعض هذه المؤلفات وما تحويه من مفردات مع استخدام النقد وتحديد ميول اصحابها.

ان لدائرة المعارف الإ ِسلامية المترجمة عن اللغة الانكليزية اسهام في ظهور الاطروحة على ما هي عليه،فقد ضمت مواضيع مختلفة كمواقع مدن ومصطلحات تاريخية ولغوية وترجمة شخصيات وذكر معارك مما ساعد في الاستفادة منها في مجال معرفة انطباع المستشرقين عن بعض الشخصيات الإ ِسلامية كحمزة بن عبد المطلب عم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وبخصوص المشاكل التي واجهت الباحث فلا يخفى على اكاديمي منصف ما يعانيه الباحثون من ظروف ولا سيما الذي يكتبون في مواضيع مصادرها الاساسية باللغات الاجنبية، واقل ما يمكن وصف هذه الظروف انها استثنائية.

الفصل الاول

المستشرقون ودراسة سير الرجال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) انموذجاً

المبحث الاول: الدراسات غير الموضوعية

المبحث الثاني:الدراسات الموضوعية

مدخل

تعمق فريق **من** المستشرقين في دراسةالإ ِسلام عامة وسيرة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة من خلال تناول جوانب متعددة ، منها فكري ومنها اجتماعي او اقتصادي . والملاحظ على اغلب هذه الدراسات صفة التباين في احكامها تبعا للخلفيات الثقافية التي يحملها مؤلفوها ، او نتيجة للتأثر بميول واتجاهات اصحاب الموارد التي

استسقى المستشرقون منها معلوماتهم ، او لطبيعة الظروف السياسية التي كان لها فعلها في التاثير على مجريات احداث التاريخ عبر مختلف العصور .

وارجع أحد الباحثين مواقف بعض المستشرقين عندما ينكبّون على تشريح مفاهيمالإ ِسلام واحكامه وسائر قضاياه ، الى الجدل وحده ، وان هم اضفوا عليه صفة العلمية كما يزعمون ، وتشكل هذه الظاهرة اتجاهاً خطيراً في تقويض دعائم العلم والخُلق معا[1]. في حين ان الجدل يرمي الاقناع والسعي عن قصد واضح الى التاثير او الضغط على الطرف الاخر من اجل تنازله عن افكاره ان كانت من دون أدلة ،أو كسب تأييده .

ولسنا في هذه الدراسة المتواضعة بصدد تبيان تلك المؤثرات على اختلافها بقدر ما يكون من واجبنا والمفيد بمكان ان نسلط الضوء على بعضها من خلال التطرق الى ابرز الجوانب التي ركز المستشرقون عليها في ابحاثهم ولا سيما فيما يتعلق في سير الرجال وياتي في مقدمتهم سيرة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعض الصحابة الكرام، لنتمكن من معرفة حقيقة مهمة هي ، هل ان انطباعهم عن شخصيةالإ ِمام علي (عليه السلام) هي امتداد لانطباعاتهم عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه (رضي الله عنهم) ، ام انها اخذت منحى آخر ، والامر الذي لا يختلف عليه اثنان ، ان استقراء ما كتبه المستشرقون حولالإ ِسلام والشخصياتالإ ِسلامية بدقة في غاية الصعوبة نظراً لتباين الابحاث الاستشراقية التي تناولت هذا الموضوع .

فمن الجوانب المهمة التي احتلت المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم في ابحاث المستشرقين ، هو موضوع الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولم يختلف المستشرقون في أمر مثل اختلافهم في شخصيته (صلى الله عليه وآله وسلم) والدينالإ ِسلامي ،فقد اوضح بعضهم سمو مبادئه ، وتعصب ضده آخرون وحاولوا التقليل من شانه ، بل نعتوه بكلمات نابية لا تنم الا عن حقد متأصل ، ودليل على ان بعض المستشرقين يحملون عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) افكاراً مسبقة ، وبذلك هم يجردون انفسهم من الموضوعية التي يجب على كل باحث اكاديمي ان يلتزم بها في دراسته المعمقة واحد مبادئ هذه المهنية هو ان لا يحمل الباحث أية فكرة مسبقة عن الموضوع الذي يحاول ان يكتب فيه .

---

(1) ينظر ، مغلي ، محمد البشير ، مناهج البحث في الإ ِسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإ ِسلامية ، (الرياض -1422هـ/2002م) ، ص286 .

لقد اهتم اغلب المستشرقين بكل ما يتصل بالإِسلام وبشخصية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، حياته ، اصحابه ، زوجاته ، دعوته للاسلام وغيرها من الجوانب التي يمكن ان تشكل بمجموعها مجمل تاريخ الإِسلام ، لذلك سنجتزئ البعض منها من خلال البحث في بعض الاراء التي تصدت لهذه الجوانب ، على وفق مبحثين مهمين الاول يتناول الدراسات المتحاملة والثاني يتطرق الى الدراسات المنصفة أو المعتدلة .

((المبحث الاول))

الدراسات غير الموضوعية

اتخذت اغلب الدراسات الاستشراقية التي تناولت السيرة النبوية الشريفة طابع التحامل المبني على أسس مخطوءة ، بعضها مستمد من الخلفيات الفكرية لأصحابها فتكون احكامها متعمدة وقاسية والبعض الاخر تكون ناتجة عن جهل بالحقائق التاريخية لاعتمادها على بعض المصادرالإ ِسلامية التي تجانب الحقيقة ، وبذلك تكون احكامها غير منصفة ومتحاملة .

ويرجع اهتمام الاوربيين فيالإ ِسلام والسيرة النبوية الشريفة الى العصور الوسطى الأوربية ، وقد اتسمت معظم تلك الدراسات بطابع العدوانية والساق التهم ، والاسباب الكامنة وراء هذه النزعة واضحة لكل باحث اكاديمي وتتمثل بالاسباب الدينية والسياسية التي تاتي في المقام الاول ، وتتبعها عوامل اخرى قد تكون باعتقادنا هي اقل شانا .

لقد اعتمد المستشرقون على بعضهم في الحصول على المعلومات المتعلقة بالإ ِسلام او الاعتماد على القصص والاساطير الخيالية التي زينت بعض الكتب الاوربية ، التي تعد من المآثر التي يشار لها بالبنان في نظر الكثيرين من الادباء في العصور الوسطى او في عصرنا الحالي .

من بين تلك القصص والملاحم ، (الكوميديا الآلهية) لمؤلفها دانتي [Dant Alagherii] (1265-1321م) ، وهي ملحمة من نسج رؤاه الخاصة ، يصور من خلالها الآخرة على انها رحلة ذات عوالم ثلاث ، (الجحيم ، المطهر ، الفردوس) ، وقبل الجحيم هناك مكان يدعى (الشفا) ، مخصص لارواح الاطفال الذين يتوفاهم الله قبل ان يعمّروا ، وارواح ((الوثنيين الفاضلين)) الذي يقصد دانتي بهم اولئك الذين عاشوا قبل ظهور المسيحية[2] .

ان مايهمنا هنا هو النظر في رؤى دانتي التي عرضها في ملحمته عن الإ ِسلام ؛ وكذلك ما تناوله من افكار حول بعض الشخصيات الإ ِسلامية الموجودة في ملحمته.

---

(2) ينظر، دانتي ، الجيري ، الكوميديا الالهية ، ترجمة حسن عثمان ، دار المعارف (مصر -1955) ، الصفحات 61-68 .

وضع (دانتي) النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في المنطقة الثامنة من مناطق ((الجحيم)) وهي المنطقة المقسمة الى عشرة جيوب للشر ، وقد وصفها دانتي على انها جيوب كالحة مظلمة تحيط بمعقل ابليس في الجحيم[3] .

اما الصورة التي تخيلها دانتي في ((العذاب)) المزعوم للنبي محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، فقد ظهرت على نحو مثير للتعجب ، وملخصها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((يُشق)) الى نصفين ابتداءاً من الذقن باتجاه اسفل الجسم ، ثم يتناول دانتي بالبحث المستفيض احشاء النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)[4] .

وذكر دانتيالإِمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، فوضعه في الدرجة نفسها التي وضع فيها ابن عمه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ووصف الطريقة التي ((يعذب)) فيهاالإِمام علي (عليه السلام) ، بان يقوم الشيطان المكلف ((بشقه)) الى شطرين ابتداءًمن الذقن صعوداً حتى فروة الرأس ، وقد اراد دانتي بهذا الوصف ان يجعل عقاب الإِمام علي (عليه السلام) بشقه من الذقن الى الجبهة مكملاً للعقاب الذي انزل بأبن عمه النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ان طريقة العقاب التي صورها دانتي بحق النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والإِمام علي (عليه السلام) ، هي التصوير الرمزي في نظرة نتيجة ((للشقاق)) الذي بذراه هما واتباعهما في جسد الكنيسة التي تعد بمثابة جسد المسيح نفسه (عليه السلام)[5] .

ويبدو لنا من خلال وصف دانتي الخيالي للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وللامام علي (عليه السلام) ، مدى الكره الذي يكنه للاسلام لما احدثه من تغييرات جوهرية في خارطة العالم نتيجة لقوته التي كانت تزداد يوما بعد يوم ، لتوقف زحف المبشرين النصارى .

وقد برزت قصص واساطير اخرى كان القاسم المشترك في طبيعة تناولها لسيرة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)يتمثل بانه كان مسيحياً وانشق عن الكنيسة او كان متاثرا بها.

ويعد المتشرق البريطاني جورج سيل (George Sale 1697-1736) الذي وصف بانه نصف مسلم لشدة اهتمامه بالإِسلام[6] ، والمترجم للقرآن الكريم والذي مهد لترجمته

---

(3) ينظر ، الصباح ، رشا حمود ، التصورات الاوربية للاسلام في العصور الوسطى وتاثيرها في الكوميديا الالهية ، مجلة عالم الفكر ، مجلد /11 ، ع/3 ، 1980 ، ص94 .

(4) ينظر ، الصباح ، التصورات الاوربية للاسلام ، ص95 .

(5) ينظر ، الصباح ، التصورات الاوربية للاسلام ، ص95 .

بملاحظات متزنة ، تعد بحق تاريخية وموضوعية على رأي لأحد الباحثين[7] ، من المؤيدين لفكرة ان يكون للديانة المسيحية تاثيرها الفاعل في وظهور الدين الإ ِسلامي الى حيز الوجود وبلورته .

ففي اثناء تعليق (سيل) على قول الله سبحانه وتعالى : ((إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ الصَّالِحِينَ))[8] .

قال سيل : ((يبدو ان هذه الحكايات مأخوذة من بعض التراثيات الخرافية للمسيحيين الشرقيين)) ، وحاول (سيل) في مواضع اخرى من كتابه الذي ترجم فيه (القرآن) النيل من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خلال تعليقاته على بعض الايات القرانية التي خصت موضوع الزواج ، فقد ذهب الى ان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد ميز نفسه عن باقي المسلمين في قضية الزواج وانه كان يفضل ما يحلو له في عدد الزوجات وطبيعة تعامله معهن ، في حين يراه قيّد غيره من المسلمين في عدد الزوجات وكيفية التعامل معهن[9] .

ان المستشرق جورج سيل وعلى الرغم من تصريحاته بالتزام الموضوعية في ترجمة القرآن الكريم ، الا انه قد تاثر بالآراء الاستشرقية التي كانت سائدة في عصره والمتعلقة بالسيرة[10]،ومنها ما يتعلق بتعدد زوجات الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فالرسول الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم- لم يكن كما يصوره بعض المستشرقين من انه رجل يتلاعب بعقله الهوى فيجعله يسعى وراء الشهوة او الغرام ، واذا كان بعض الكتاب المسلمين في بعض العصور قد اباحوا لانفسهم ان يقولوا هذا القول ، وان يقدموا لخصوم الإ ِسلام عن حسن نية هذه الحجة ، فالسبب يعود الى إيمان هؤلاء واولئك بالمادية،فارادوا ان يصوروا محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم- عظيما في كل شيء،

---

(6) ينظر ، عقيقي ، نجيب ، المستشرقون ، دار المعارف ، ط3 (مصر – 1965) ، 471/2 .

(7) ينظر ، مغلي ، مناهج البحث في الإ ِسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ، ص396 .

(8) آل عمران ، 51 ، 52 .

(9) ينظر، بشير ، مشتاق ، تطور الاشتشراق البريطاني في كتابة السيرة النبوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد ، (جامعة بغداد - 2001م) ، ص70 .

(10) بشير ، تطور الاستشراق البريطاني ،ص70 .

عظيما حتى في شهوات الدنيا ، وهذا التصور خاطئ ينكره تاريخ الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اشد انكار وتأبى حياته كلها ان تقره[11] .

ويمكننا ان نذكر دليلا آخرا على ان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقصد المتعة من وراء تعدد الزوجات ، اذ كان عمره بعد وفاة خديجة (رضي الله عنها) قد تجاوز الخمسين ومن المتعارف عليه ان نشاط الانسان الجنسي في هذه المرحلة وبعدها يتراجع الى الحد الذي لا يستطيع الزواج باكثر من امرأة او على اكثر تقدير من امرأتين، اذ لابد من اسباب اخرى دفعته لذلك . وقد اشارت اليها بعض الدراسات[12] .

ومن الدراسات الاخرى التي ركزت على موضوع التاثير المسيحي ما اشار اليه المستشرق البريطاني (بودلي Bodly,R.V.E) ، حيث اكد برواج مثل تلك القصص في فكر مؤرخي العصور الوسطى بقوله : ((كانت بعض الافكار المقبولة في تلك الاوقات وهمية خيالية ، فقد اظهر محمد مثلاً في شعر القرن الثاني عشر كأمير من امراء الاقطاع يتلقى الاوامر المسيحية المقدسة ، فلما اخفق في ان ينصب نفسه بابا ثأر لنفسه بان ابتدع ديناً جديداً))[13] .

وهناك بعض الاشارت الاستشراقية التي حاولت ايجاد علاقة بين معتقدات الرسول محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - والنصرانية واليهودية ، ومن بينها ما ذكره المستشرق الفرنسي (درمنغهم Dermenghem,e) الذي اتهم الرسول محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بانه التقى بالراهب (بحيرى) في احدى رحلاته الى الشام وان الراهب رأى فيه علامات النبوة على ما تدله عليه انباء الكتب الدينية . وفي الشام عرف النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اخبار الروم ونصرانيتهم وكتابهم[14] .

---

(11) ينظر، هيكل ، محمد حسنين ، حياة محمد ، مكتبة النهضة، ط5 (مصر – 1952) ، ص317 .

(12) ينظر ، الصراف ، محمد محمود ، زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن ، ط3 ، (القاهرة – 1979) ، ص55، النعمة ، ابراهيم ، الإِسلام وتعدد الزوجات ، (الموصل – 1982) ، ص82،83، الرماني ، عبد السلام ، الزواج عند العرب في الجاهلية والإِسلام ، (الكويت – 1984)، ص25،26 .

(13) بودلي ، رونالد فكتور ، حياة محمد الرسول ، ترجمة عبد الحميد جودة السحار ومحمد محمد فرج (القاهرة – 1964) ، ص12 .

(14) ينظر درمنغهم ، اميل ، حياة محمد ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة احياء الكتب العربية ، (القاهرة – 1368هـ / 1949م) ، ص60 .

ومن الجدير بالذكر ان حادثة بحيرى الراهب قد تناقلها بعض مؤرخينا وكان في مقدمتهم ابن اسحق[15] (ت 151هـ).

وافادت بعض الابحاث التي تبنت دراسة مناهج المستشرقين بان بعضهم قد زعم ان ثقافة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت مستمدة من ((العالِم المسيحي)) ورقة بن نوفل (ت نحو 611م) ، من بني اسد وابن عم السيدة خديجة بنت خويلد (ت 3ق.هـ) الذي كان بجوار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد تنصر وكان يترجم التوراة والانجيل الى العربية وعاش الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بجواره ما يقارب خمسة عشر عاماً قبل البعثة ، هذا ما حمل بعض المستشرقين الى الاعتقاد بان هذه الفترة كافية لان يتعلم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منه تعاليم التوراة والانجيل[16] .

لقد شخص عدد من الباحثين الاسباب الدافعة لمثل هذه الاساطير ، فعلى سبيل المثال يذكر (خودابخش) بان الحملات الصليبية التي هاجمت الشرق الإِسلامي قد اعطت فرصة لاصحاب الخيال الخصب في اختلاق القصص والخرافات ، التي كانت تلاقي رواجا في اوربا ، على الرغم من ان صراع السنوات الطويلة بين الغرب والشرق قد منحت الجنود الاوربيين فرصة الاطلاع المباشر على الإِسلام ، حيث كان معظم هؤلاء ينقلون قصص مزيفة لشعوبهم بدافع التعصب الديني[17] .

واضاف (الخربوطلي) سببا اخرا يتلخص بان الانتشار السريع للاسلام في الشرق والغرب قد جعل رجال الكنيسة الكاثوليكية يشعرون بالخطر ازاء هذا الدين الجديد فعملوا بكل ما في وسعهم من اجل تشويه صورة الإِسلام امام شعوبهم ، لضمان سيطرتهم التامة على عقلية الأوربيين في العصور الوسطى[18] .

ويعلل الدكتور جواد علي محاولة بعض المستشرقين الربط بين الدين الإِسلامي والدين المسيحي الى ان معظم هؤلاء من النصارى ومن رجال الدين او المتخرجين من كليات

---

(15) ينظر في تفاصيل هذه الحادثة ، محمد بن اسحاق بن يسار (ت 151هـ) ، سيرة ابن اسحاق ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، (بيروت-1398هـ/1978م) ،ص73، ابن هشام ، عبد الملك (ت218هـ) ، السيرة النبوية ، تحقيق رضوان جامع رضوان ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، (القاهرة – 1426هـ/2005م) ، ج1 ، القسم الثالث ، ص175 ، 176 .

(16) ينظر نقره ، التهامي ، مناهج المستشرقين ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 1985) ، 103/1 .

(17)ينظر خدابخش ، صلاح الدين ، الحضارة الإِسلامية ، ترجمة علي حسني الخربوطلي ، (بيروت – 1971) ، ص45 .

(18) ينظر، علي حسني ، المستشرقونوالتاريخ الإِسلامي ، (مصر – 1988) ، ص55 .

اللاهوت ، فعندما يتكلمون عن الدين الإِسلامي ، من الطبيعي ان يكون للأفكار والمعتقدات التي يحملونها اثر واضح في التعامل مع الموضوعات الحساسة في الإِسلام ، فيحاولون دائما ارجاعها الى اصل نصراني[19] .

ورد الشيخ محمد الغزالي رداً منطقياً على المزاعم نفسها بقوله :

((ان العقل كان يمكن ان يجيز هذا التوهم لو كان السابق اغنى من اللاحق واقدر . لكن اذا كان الدين الذي اتى به محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اوسع اقطاراً او أرحب آفاقا مما سبقه ، فكيف يتصور ان ياخذ الغني من الفقير ، وان يستعين القادر بالعاجز ؟))[20] .

وافاد الدكتور محمد البهي بان محاولة اثبات هذهالتهمة على الإِسلام يرجع الى عاملين اثنين : احدهما نفسي ويتمثل في الغزو العلمي لدى المستشرقين ، والاخر يرجع الى العداء التاريخي القديم[21]بين الغرب والشرق الإِسلامي .

ومن ابرز المستشرقين والذي تجنى على الحقائق التاريخية ، هو المستشرق النمساوي الاصل ، الانكليزي الجنسية ، (شبرنجر) (Aloys Sprenger 1813-1893) ، ويعد كتابة (حياة محمد وتعاليمه) انجازا علميا لا يحسد عليه فقد كان نموذجا تقليديا ردد فيه شبهات سابقية وافاض ، حيث زعم ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مصابا بهستريا الاعصاب والرأس التي تؤدي الى السقوط على الارض واحمرار الوجه وصعوبة التنفس ، والانكى من ذلك فقد نسب بعض فضائل وجهد الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الخليفتين ابي بكر وعمر (رضي الله عنهما) .

فعلى سبيل المثال يذكر في حق الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) انه : ((استخدم الوسائل التي كان واجبا وممكنا للنبي ان يستخدمها لاخضاع العرب فعلا وحقا ، لا بحسب الظاهر فحسب . ولولا تصرف ابي بكر الحازم لكان الإِسلام قد انحل ، او بقي مجرد فرقة دينية لا اهمية لها))[22] .

---

(19)ينظر، تاريخ العرب في الإِسلام ، مؤسسة الشريف الرضي ، (ايران – 1963) ، ص12 .

(20) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، دار الكتب الحديثة، (القاهرة – 1963) ، ص98 .

(21) ينظر،الفكر الإِسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، دار الفكر ، (بيروت – 1973) ، ص599 .

(22) بدوي ، عبد الرحمن (الدكتور) ، موسوعة المستشرقين ، ، دار العلم للملايين ، ط3 (بيروت – 1993)، ص31 .

فاشبرنجر متحامل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بسبب السياسة التي استخدمها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع القبائل والتي تعد مخطوئة بنظر (شبرنجر) وقد زعم بان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان متسرعا في الثقة بوفود القبائل الذين وفدوا عليه لاعلان اسلامهم ، مما احدث الردة بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم)[23] .

ويقول عن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بانه :

((هو المؤسس الحقيقي للدولة الإِسلامية . وفي نظري ان عمر أسمى من النبي في كل ناحية . فهو خلو من كل انواع الضعف والتساهل التي وصمت اخلاق الاخير ، وكان رجلا مملوءا بالجد والعزم الرجوليّين... في اثناء حلة النبي ادى من الخدمات لانتصار الإِسلام ، بل ولطهارة تعاليمه ، اكثر من محمد هو نفسه ، وقد صان معلمه [النبي] من الوقوع في اخطاء فاحشة بفضل اقدامه الحازم . وكان لعقله الفائق تاثير على نفسية محمد الضعيفة الهستيرية))[24] .

ان مثل هذه العبارات القاسية التي لا تنم الا عن تحامل وسوء فهم قائلها لا تستحق ان تذكر، ولكن اوردناها لبيان المنهج الذي سار عليه (شبرنجر) ، والقائم على قذف الشبهات والنظر في عين واحدة للاحداث التاريخية ، وقد كانت آرائه مبنية على التحامل، والاعتماد على الروايات الضعيفة والغريبة .

وفي هذا الاطار فقد ذكر الطبري(ت 310هـ) ما نستدل به على عدم دقة كلام (شبرنجر)،حيث ان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد اعترض على قرار الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم صلح الحديبية (6هـ) وقد جاهره بذلك وحاول التاثير عليه بالعدول عن قرار الصلح ، وقد ادرك عمر أبن الخطاب خطأه وما تفوه به امام المسلمين ، مما دفعه الى القول : ((ما زلت اصوم واتصدق واصلي واعتق من الذي صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلمت به ، حتى رجوت ان يكون خيراً))[25].

ويمكننا من خلال هذه الرواية الوصول الى امرين مهمين ، الاول : ان اعتراف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بخطأه يدل على انه احس بتجاوزه على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، الذي يمثل السلطة الشرعية على المسلمين ، وبذلك فهو تجاوز صدر من شخص ادنى على سلطة أعلى ، على عكس ما ادعاه (شبرنجر) بان عمر بن الخطاب

---

(23) بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص31 .

(24) ينظر ، بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص31 .

(25) محمد بن جرير (ت 310هـ) ، تاريخ الامم والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف، (مصر – دت)، 634/3 .

(رضي الله عنه) هو معلم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصانه من الوقوع في اخطاء فاحشة ، بل الخطأ الفاحش صدر من عمر بن الخطاب بحق الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) . ولا نستبعد ذلك لان النفس امارة بسوء الظن او لتسرع عمر بن الخطاب.

اما الامر الثاني فهو ان لا نستغرب من كلام المستشرق (شبرنجر) او غيره من المستشرقين عندما يشك في نبوة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، اذا كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي اصبح خليفة للمسلمين فيما بعد وعلى الرغم من معايشته للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعرفته باخلاقه وايمانه بدعوته قد شك في صحة قراره بالصلح ، لأن المستشرق المتحامل يفتش عن أية ثغرة في تاريخ المسلمين، او عن أي خطأ وان كان غير مقصوداً .

اما المستشرق الايطالي (كيتاني) (Leone Caetane 1869-1935) فهو امير من اسرة (ال كيتاني) . وهي من كبار الاسر المالكة في ايطاليا الحديثة ، وذاع صيته من خلال احد مؤلفاته وهو (حوليات الإِسلام) ، ويعد اوسع تاريخ للاسلام في عصر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)[26] .

لقد سلك كيتاني اسلوبا مميزاً في دراسة السيرة ، وتمثل بالرجوع الى المصادر الاولية بمواردها الكثيرة للاحاطة بكل ما ورد عن سير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ودراسة كل خبر ونقده والبحث عن رواته ، لكنه وقع في مثل الاخطاء التي رافقت (شبرنجر) ، فقد اكثر من الاخبار الغريبة ، واخذ بالروايات المتاخرة الضعيفة ، وابدى فيها اراء مبنية على العاطفة في الغالب[27] والشك في كل ما كتبه عن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ان النزعة النقدية التي مارسها (كيتاني) كانت مفرطة ، واتسمت بالشك المبالغ فيه احيانا في قبول وثائق التاريخ الإِسلامي ، وقد عدَّ العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاحوال الجغرافية هي الاساس في بلورة الدعوة الإِسلامية وظهورها الى حيز الوجود مع اهمال واضح للجانب الديني ، وعلى ضوء ذلك فسّر رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والفتوح الإِسلامية التي كان حليفها النصر السريع وخاصة في جبهتي الفرس والروم ، ولم يحسب أي حساب للتاثير العقائدي ، بل فسر تلك الانتصارات على انها كانت نتيجة لما تعانيه دولة فارس من انحلال وما اضطربت به دولة الروم من منازعات دينية

---

(26) بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص493 .

(27) ينظر، جواد علي ، تاريخ العرب في الإِسلام ، ص12 .

بين الفرق المسيحية المتشاحنة[28] . ولم تقتصر انتقادات (المستشرق كيتاني) على شخص الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بل تهجم على بعض اصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل (ابن عباس ت 68هـ/687م) فاتهمه بالكذب ، لاعتقاده بوجود روايات متناقضة او غير صحيحة ، يرجع سندها اليه،فاصدر حكمه القاسي من غير ان يتحرى ويعرف بان الكثير مما اسند الى ابن عباس (رضي الله عنه) كان مدسوسا وليس له دخل فيه[29] .

ويبدو لنا ان (كيتاني) لم يطلع على المؤلفات العربية المتخصصة بالجرح والتعديل ، التي تبنت متابعة النصوص وسلسلة سندها ودراسة ميول واتجاهات قائليها ، والعصر الذي كتبت فيه .

وابرز مستشرق كتب بابتعاد تام عن الحقائق التاريخية هو البلجيكي هنري لامنس (Henri Lammens 1862-1937) ، وكان راهبا يسوعيا شديد التعصب ضد الإِسلام، ويفتقر الى النزاهة في البحث وعدم الامانة في نقل النصوص وفهمها ، ويعد من النماذج التي لا يحتذى بها من الباحثين في التاريخ الإِسلامي[30] .

ان الافكار المغرضة التي تبناها (لامنس) عديدة من بينها ، ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان طفلا فقيرا مجهول المولد ، تبنته اسرة عبد المطلب[31] .

كان دليل لامنس على فكرته هذه هو قول القران الكريم : ((الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلا فاغنى))[32] .

ولو رجعنا الى تفسير هذه الاية في كتب التفسير نجد ان القمي (من اعلام القرن الثالث الهجري) يذكر بان ((اليتيم الذي لا مثل له ولذلك سميت الدرة اليتيمة ، لانه لا مثل لها))، اما ((فوجدك ضالا فهدى)) ، فتعني ((وجدك في قوم لا يعرفون فضل نبوتك فهداهم الله بك)) ، اما ((ووجدكعائلاً فاغنى)) ، أي اغنى بالوحي[33] .

---

(28) ينظر، بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص496 .

(29) ينظر، علي ،تاريخ العرب في الإِسلام ، ص13 .

(30) ينظر ، بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص503 .

(31) ينظر ، غلاب ، محمد ، هذا هو الإِسلام ، مطابع الشعب ، (مصر ، 1959) ، ص113 .

(32) الضحى / 6 ، 7 ، 8 .

(33) القمي ، ابو الحسن علي بن ابراهيم (من اعلام القرن الثالث الهجري) ، تفسير القمي ، (بيروت – 1412هـ/1991م) 2/426-427 .

اما الرازي فقد فسر (الم يجدك) من الوجود الذي بمعنى العلم ، وذكر في تفسير (يتيما) امران ، الاول ان عبد الله بن عبد المطلب فيما ذكره اهل الاخبار ، توفي وام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حامل به ، ثم ولد رسول الله فكان مع جده عبد المطلب ومع امه آمنة فتوفيت أمّهُ وهو ابن ست سنين ثم توفي جده بعد أمِّه بسنتين ، ...، واما التفسير الثاني لليتم ، فهو من قولهم درة اليتيمة ، والمعنى، الم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فآواك ؟ أي جعل لك من تاوي اليه وهو ابو طالب .

اما((ووجدك ضالاً فهدى)) فقد ذكر في تفسيرها عشرين قولا ، واقربها الى الصواب، ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان حائرا في امر قومه ، وضلالهم في عقائدهم وتقاليدهم وفساد اعمالهم وجهلهم وتفرق كلمتهم ... ولا يدري ، ما هو السبيل الى هدايتهم حتى نزل عليه الوحي فيه تبيان كل شيء[34] .

ان الادلة على بطلان فكرة لامنس فضلا عن ما ذكر في كتب التفسير كثيرة من بينها ما ادلى به الدكتور محمد غلاب ، من انه لو كان كلام لامنس صحيحا :

((لما ارتضى زعماء القبائل تحكيمه بينهم حين اختلفوا على وضع الحجر الاسود ، ولما بايعه ابو طالب الجبار على مناصرته رغم انه لم يعتنق دينه ، ولما تردد زعماء مكة في الاقدام على قتله حين ضايقهم بالدعوة الى الإِسلام كما فعلوا رهبة من اسرته ولما شج حمزة [35] رأس أبي جهل حين جرؤ على شتمه))[36] .

واضاف لامنس شبهة اخرى الى شبهاته عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، مفادها انه : ((رجل نؤوم اكول قد كثفت جسمه الملذات))[37] .

كانت السمة المميزة لمنهج لامنس في الكتابه التاريخية و خاصة فيما يتعلق بالحديث الشريف ووقائع السيرة ، هي الشك في كل شاردة وواردة ، فقد شك في امانة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و صدقهِ ، و انكر الروايات التي افادت بان الرسول (صلى الله

---

(34) ابو عبد الله محمد بن عمر (ت606هـ) ، التفسير الكبير ، (طهران – د.ت) ، ص214-216 .

(35) هو الحمزة بن عبد المطلب بن هاشم (54ق.هـ - 3هـ) من قريش وعم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واحد صناديد الإِسلام وسادة قريش في الجاهلية ، ولد ونشا في مكة وكان اعز قريش واشدها شكيمة ، هاجر مع النبي الى المدينة وشهد وقعة بدر وكان اول لواء عقده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) له ، استشهد في معركة احد (3هـ) .ينظر الزركلي،خير الدين،الاعلام،دار العلم للملايين،ط16(بيروت-2005م)،278/2.

(36) غلاب ، هذا هو الإِسلام ، ص114 .

(37) ياسين ، خليل ، محمد عند علماء الغرب ، مؤسسة الوفاء ، ط2 (بيروت - 1983) ،ص82 .

عليه وآله وسلم) كان يتعبد في غار حراء ، و انتقد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، و كان يميل الى المكيين من المعادين للدعوة الإِسلامية[38] .

ووُصف لامنس بانه غير دقيق في نقل الحوادث التاريخية كما عبر عن ذلك الدكتور عبد الرحمن بدوي بقوله :

((وابشع ما فعله لامنس ، خصوصاً في كتابه (فاطمة وأولاد محمد) ، هو انه كان يشير في الهوامش الى مراجع بصفحاتها ، وقد راجعت معظم هذه الاشارات في الكتب التي احال عليها ، فوجدت انه اما يشير لى مواضع غير موجودة اطلاقاً في هذه الكتب ، او يفهم النص فهماً ملتوياً خبيثاً ، او يستخرج الزامات بتعسف شديد يدل على فساد الذهن و خبث النية ...، و لا اعرف باحثاً من بين المستشرقين المحدثين قد بلغ هذه المرتبة من التضليل و فساد النية))[39] .

ويبدو ان لامنس قد احتفظ بعبارات المديح و الاطراء ليجعلها من نصيب الخليفة معاوية الاول (ت 60هـ/679م) ، فقد تضمن كتابه ((دراسات عن حكم الخليفة الاموي معاوية الاول)) دفاعاً عنه و تمجيداً للامويين جميعاً ، على النقيض من المنهج الذي سلكه مع الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و اهل بيته الاطهار (عليهم السلام) ليتحول من ناقد خبيث يجد لكل حق باطلاً مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) و اهل بيته الى مدافع مستميت سوغ جرائم الامويين جميعاً ، ولا سيما جرائم يزيد بن معاوية (ت 64هـ)[40].

ويُنَظِّمْ المستشرق الانكليزي مرجليوث (D.S MarGoliouth - 1858 – 1940) الى قائمة المستشرقين المتعصبين من خلال كتابه (محمد ونشأ الإِسلام) الذي الفه عام(1905) و قفّى عليه بكتاب (الإِسلام) ، و كانت دراسات مرجليوث غير علمية مما جعلها تثير السخط عليه ليس من جانب المسلمين فقط ، بل و من بعض المستشرقين[41].

وعلى الرغم من كونه يُعد من القلائل الذين اتقنوا العربية فهماً و كتابة الا انه لم يوظف هذه الميزة بشكل صحيح من اجل الوصول الى نتائج علمية ، فقد زعم ان محمداً (صلى الله

---

(38) ينظر، عبد الحميد ، عرفان ، المستشرقون و الإِسلام ، (بغداد ـ د. ت) ، ص78 .

(39) بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص504 .

(40) ينظر ، هادي ، علي السيد ، مناهج الكتابة في السيرة النبوية ، سلسلة بحوث على هيئة كتاب تحت عنوان (مشروع اعادة كتابة التاريخ الإِسلامي) ، مجلة المنهاج ، (بيروت ـ 2004م) ، ص179 .

(41) بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص546 .

عليه وآله وسلم) لم يعرف والده حيث ان اسم (عبد الله) باعتقاده يضاف الى مجهولي النسب[42] .

لقد فند احد الباحثين ما زعمه مرجليوث ، بالقول :

((يزعم هذا و هو يعرف مدى اهتمام العرب بالانساب و يعرف عناية قريش بأبنائها وآبائها، فكيف جهل الناسبون الوعاة نسب محمد لبني هاشم ، و قد عرفوا انساب الخيول؟! أفيؤتمن مثل هذا (العلامة) ـ على حد قول بعضهم ـ على قضية،يدرسها، وهو يسمح لقلمه ان يفتري عامدا بما ينكره اطلاعه؟))[43] .

و اضاف مرجليوث افتراءا آخر وصف فيه الرسول المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - بانه كان يعيش من اموال السلب و النهب[44] .

ولا يمكن لباحث يمتلك قدراً يسيراً من الموضوعية و تتوفر فيه ادنى مؤهلات التحليل المنطقي لحوادث التاريخ ان يصف الرسول محمد (صلى الله عليه و اله و سلم) بهذا الوصف ، لانه من غير الممكن ان يكون اساس الدولة التي اسسها النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -و استمرت بعده عدة قرون ، مبنياً على اموال السلب و النهب ، لان الذي يسلب و ينهب لا يطمح من وراء ذلك نشر دعوة او بناء دولة و انما طموحه هو تامين قوته اليومي ليس الا ، و لا يمكن ان يسرق كي يبني مجداً للاخرين .

و لم تتوقف حملة التشويه عند الرسول الكريم محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بل استمرت حتى مع اهل بيته (عليهم السلام) و اصحابه (رضي الله عنهم) ، و نشير في هذه الدراسة الى بعضها لان التعمق فيها يحتاج الى دراسة مستقلة .

يأتي في مقدمة اولئك المستشرقين المغرضين و اكثرهم حقداً البلجيكي (لامنس) و سبق لنا الاشارة اليه في رؤيته لشخص الرسول الكريم محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- التي اتصفت بعدم الانصاف .

فقد وصف (لامنس) الإمام الحسن بن علي (ت مسموماً 50هـ/670م) بن ابي طالب (عليهما السلام) بصفات بعيدة كل البعد عن الحقائق التاريخية التي تناقلتها مصادرنا الإِسلامية المنصفة ، لقد ذكر لامنس ، ان الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكن على وفاق مع ابيه (عليه السلام) و اخوته (عليهم السلام) و انه يميل الى الشهوات و يفتقر الى النشاط و

---

(42) ينظر ، الدسوقي ، محمد ، الفكر الاستشراقي تاريخه و تقويمه ، مؤسسة التوحيد للنشر ، (قم - 1996 م) ،ص94 .

(43) الدسوقي ، الفكر الاستشراقي ، ص94 .

(44) ياسين ، محمد عند علماء الغرب ، ص78 .

الذكاء ، وقد انفق خير سنوات شبابه في الزواج و الطلاق ، حتى وصل عدد نسائه حسب ما يذكر لامنس الى مائة زوجة عداً ، ولكت تلك الزوجات سبباً في ايقاع الإ ِمام علي (عليه السلام) في خصومات عنيفة ، و اثبت الحسن كذلك و الكلام لـ (لامنس) انه مبذر كثير السرف و اسكن كل من زوجاته بمسكن ذي خدم و حشم ، و كيف كان يبعثر المال ايام خلافة والده الإ ِمام علي (عليه السلام) الذي اشتد عليه الفقر[45] .

ان كلام (لامنس) غير دقيق و لا يستند الى ادلة تاريخية وهذا ناتج من تأثره بالامويين كما في كتابه (معاوية) ، و لو القينا نظرة على بعض مصادرنا الإ ِسلامية المعتمدة عند كل المذاهب التي ورد فيها ذكر الإمام الحسن (عليه السلام) ، لوجدنا ما يفند ادعاء (لامنس) .

فقد ذكر الإ ِمام مسلم (ت 261هـ) في صحيحه ، في كتاب فضائل الصحابة، في باب فضائل الحسن و الحسين (عليهما السلام) ، قول الرسول الكريم محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بحق الإمام الحسن -عليه السلام- : ((اللهم اني احبه فاحّبه و احب من يحبه))[46].

و روي هذا الحديث في سنن بن ماجة (ت 275هـ) ، و رواه جمع آخرون من أئمة الحديث[47] .

وجاء في المستدرك على الصحيحين للنيسابوري (ت 405هـ) الذي روى عن الزبير ، ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -قبّل حسناً (عليه السلام) و ضمه اليه و جعل يشمه، و كان عند الرسول رجلٌ من الانصار ، فقال الانصاري : ((ان لي ابناً قد بلغ ما قبلته قط)) ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أرأيت ان كان الله نزع

---

(45) ينظر، دائرة المعارف الإ ِسلامية ، نقله الى العربية، محمد ثابت افندي و اخرون ، د.ت، مجلد 7 ص58 ، مادة الحسن بن علي بن ابي طالب .

(46) القشيري النيسابوري ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج (ت 261هـ) ، صحيح مسلم ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت 1420 هـ / 2000م) ، ص1048 .

(47) ينظر ، البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت256هـ) ، صحيح البخاري ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت – 1422هـ / 2001م) ، ص665 ، ابن ماجة ، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت275هـ) ، سنن ابن ماجة ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت – 1421هـ/2000م) , ص34 ؛ الترمذي ، ابو عيسى محمد بن عيسى (ت 297هـ) ، الجامع الصحيح ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت – 1421هـ / 2000م) ، ص989 .

الرحمة من قلبك فما ذنبي؟[48] وورد في كنز العمال ، عن البراء بن عازب (ت72هـ) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحق الحسن : هذا مني وانا منه وهو يحرم عليه ما يحرم عليَّ[49] .

وذكر ابن سعد (ت230هـ) في طبقاته ، اذ قال ((اخبرنا سريح بن النعمان ، اخبرنا هيثم بن ابي معشر ، قال : حدثني بعض مشيختنا)) ، قال : لما خرج علي (عليه السلام) من القبر، ويعني به قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، القى المغيرة بن شعبة (ت50هـ) خاتمه في القبر وقال لعلي (عليه السلام) : خاتمي ، فقال علي لابنه الحسن (عليهما السلام) ، ادخل فناوله خاتمه ، ففعل[50] .

وكان المغيرة يقصد من القاء خاتمه في قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه : ان دخل القبر الشريف بعدما يخرج الإِمام(عليه السلام) ، فيفتخر على الصحابة بانه هو اخر الناس عهدا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فادرك الإِمام علي (عليه السلام) ذلك ، وامر الإمام الحسن (عليه السلام) باخراج الخاتم ، وبذلك كان الإمام الحسن آخر الناس عهدا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[51] .

ونكتفي بالتدليل على عظمة الإمام الحسن (عليه السلام) وان كان ذلك لا يحتاج الى دليل ، بذكر ما رواه البيهقي (ت 458هـ) بسنده عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : ((ما ندمت على شيء فاتني في شبابي الا اني لم احج ماشيا ، ولقد حج الحسن بن علي (عليه السلام) خمسا وعشرين حجة ماشيا وان النجائب لتقاد معه ، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات))[52] .

ولو قارنا بين ما ذكره (لامنس) وما ورد من احاديث عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يتبين لنا البون الشاسع في وصف الإمام الحسن (عليه السلام) ، فمن حج بيت

---

(48) ينظر ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 405هـ) ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق الدكتور محمود مطرجي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (بيروت – 1422/2002م) ، ص379 .

(49) المتقي الهندي ، علي بن حسام الدين (ت975هـ) ، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، تحقيق، محمود عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية ، ط2 (بيروت – 1424هـ / 2004م) ، 284/13 .

(50) ينظر، محمد بن سعد بن منيع (ت 230هـ) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، (بيروت – 1410هـ/1990م) ، 231/2.

(51) ابن سعد ، المصدر نفسه ، ص231،232 .

(52) ابو بكر احمد بن الحسين (ت 458هـ) السنن الكبرى ، دائرة المعارف النظامية ، (الهند – 1344هـ)، 331/4

الله سبحانه وتعالى خمس وعشرين مرة ماشيا ، ويقول عنه الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم-: ((هذا مني وانا منه ويحرم عليه ما يحرم عليَّ)) ، لا يمكن ولا يحق لاي شخص ان يطعن به، ولا سيما الموصوف هو الإمام الحسن (عليه السلام) الذي تربى في بيت النبوة .

ومن بين الشخصيات الإِسلامية التي لم ينصفها المستشرق (لامنس) ، هو الحمزة بن عبد المطلب ، عم الرسول الكريم محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- واحد الابطال ، الذين ارسوا دعائم الإِسلام .

بدأ (لامنس) كلامه عن الحمزة بالقول : ((حمزة بن عبد المطلب : عم النبي وتزيد الروايات انه اخوه في الرضاعة سعيا منها الى تمجيد هذا البطل من ابطال الإِسلام في عهده الاول ، ولا نعرف عن حمزة فيما عدا ذلك الا القليل))[53] .

واضاف (لامنس) بان الحمزة (عليه السلام) قد دخل في الإِسلام بعد نزول الوحي على النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بسنتين وهاجر الى المدينة وعاش فيها اول الامر (عيشة المغمور البائس حتى بلغ من امره ان خرج من وعيه في يوم من الايام تحت تاثير الافراط في الشراب وحمل بسيفه على جمال لعلي))[54] . وليس غريبا ان يتجاهل المستشرق (لامنس) نسب الحمزة بن عبد المطلب ، فهو من قَبْلْ قد تجاهل مولد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ونسبه ، ويبدو انه يتجاهل كل عظماء الإِسلام.

قال ابن اسحاق (ت 151هـ) ؛ ((فلما اسلم حمزة عرفت قريش ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد عز وامتنع وان حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه))[55].

وذكر الذهبي (ت 748هـ) بان الحمزة هو بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي بن قصي بن كلاب ، ووصفه بانه امام وبطل وضرغام واسد الله ، الهاشمي ، المكي ثم المدني ، البدري ، الشهيد ، عم رسول الله واخوه من الرضاعة[56] .

يضاف الى هذا وذاك بانه احد ابطال الإِسلام الذي شهدت له معركتي بدر واحد موقفا لا يمكن انكاره الا من المتحاملين على الإِسلام .

---

(53) دائرة المعارف الإِسلامية ، مجلد 106/8 ، مادة حمزة بن عبد المطلب .

(54) ينظر، المصدر نفسه ، ص102 .

(55) السيرة ، ص172 .

(56) شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ) ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1425هـ / 2004م) ، 72/3 .

اما الإ ِمام الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) (ت61هـ) ، فقد كان الحكم قاسيا عليه على يد المستشرق الالماني يوليوس فلهوزن (1918-1944) Julius Well Hausen، ويمكن وصفه بانه لا يقل تحاملا عن (شبرنجر) و (لامنس) .

يعد كتاب فلهوزن (احزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإ ِسلام) من المؤلفات المهمة الذي وقف فيه على تفاصيل ووقائع تاريخية تتناسب مع عنوان كتابه ، مستخدما اسلوب نقد الروايات ومقارنتها مع بعضها بالرجوع الى مصادر متعددة ، ولكنه في النهاية يحاول تفضيل رواية على اخريات ، واصدار احكام لا تتلائم مع الجهد المبذول في البحث.

لقد اعتمد فلهوزن روايات (ابي مخنف ت157هـ) [57] وفضلها على باقي الروايات واشاد باسلوب ونزاهة وصفه للاحداث ، في حين قلل من اهمية ما كتبه اخرون امثال اليعقوبي (ت292هـ/904م) الذي لم يتردد فلهوزن باتهامه بـ ((السذاجة))[58] .

يقول فلهوزن في هذا الاطار : ((وعلى الرغم مما فيها [أي رواية ابي مخنف] من الوان الاساطير ، فانها لا تحجب عنا المادة التي بفضلها نستطيع ان نكون احكاما سليمة))[59] .

وباعتقادنا ان الاحكام التي اصدرها فلهوزن بحق الإمام الحسين (عليه السلام) لم تكن سليمة ، بل كان الطابع المميز لها هو التلون ومحاولة التلاعب بالالفاظ لغرض الوصول الى الهدف المنشود وهو النيل من شرعية الثورة التي قام بها الإمام الحسين (عليه السلام).

من جانب قال فلهوزن عن الإ ِمام الحسين (عليه السلام) : ((لقد مضى الحسين كما مضى المسيح في طريق مرسوم ، ليفتح ملكوت الدنيا تحت الاقدام ، ومد يده كالطفل لياخذ القمر))[60].

ومن جانب اخر يصفه (عليه السلام) بانه : ((ادّعى اعرض الدعاوى،ولكنه لم يبذل شيئا في سبيل تحقيق ادناها ، بل ترك للاخرين ان يعملوا من اجله كل شيء. وفي الواقع لم يكن احد يوليه ثقة ، انما قدم القوم رؤوسهم يائسين . ولم يكن يصطدم باول مقاومة حتى ينهار ،

---

(57) هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الاسدي ، راوية ، عالم بالسير والاخبار ، إمامي من اهل الكوفة ، له تصانيف كثيرة ، منها ((فتوح الشام)) و ((الردة)) و ((الجمل)) و ((صفين)) وغيرها ، ينظر ، الزركلي ، الاعلام ، 244/5 .

(58) ينظر ، هاني ، ادريس ، محنة التراث الآخر ، مؤسسة الغدير للدراسات والنشر ، (بيروت – 1998) ، ص58 .

(59) يوليوس ، احزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإ ِسلام – الخوارج والشيعة ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، ط2 (الكويت – 1976) ، ص135 .

(60) احزاب المعارضة ، ص136 .

فاراد الانسحاب ولكن كان ذلك متأخراً فاكتفى بان راح ينظر الى انصاره وهم يموتون في القتال من اجله ، وابقى على نفسه حتى اللحظة الاخيرة))[61] .

ووصف فلهوزن استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) بانه قطعة مسرحية انفعالية (ميلودراما) بينما وصف مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بانه ماساة (تراجيديا).

واضاف بان ((عيوب الحسين الشخصية تختفي امام هذه الواقعة وهي ان دم النبي يجري في عروقه وانه من اهل البيت فلم يكن عليه ان يجهد نفسه))[62] .

والواقع ان كلام فلهوزن آنف الذكر غريب جداً وبعيد عن الحقائق ، فقد قدم الإمام الحسين (عليه السلام) اعز شيء كان يملكه وهو التضحية بنفسه واصحابه واهل بيته من اجل بلوغ هدفه المتمثل بالوقوف بوجه السلطان الجائر الذي ابتعد عن الإسلام ، ولم يرغم الإمام الحسين (عليه السلام) احداً للقتال معه ، حيث وضح لاصحابه بان القوم يستهدفونه هو دون غيره وخيّرهم للانصراف في الليلة التي سبقت المعركة ، ولكن ثقة اصحابه به وايمانهم بقضيتهم جعلتهم يضحون بانفسهم في سبيل ذلك ، ولم نجد في مصادرنا التاريخية ما يفيد بان الإمام الحسين (عليه السلام) اراد الانسحاب من المعركة كما ذكر فلهوزن .

ويعزز قولنا هذا ، ما ذكره ابو مخنف (ت157هـ) من خطبة للامام الحسين (عليه السلام) في الليلة التي سبقت المعركة جاء فيها :

((ألا واني اظن يومنا من هؤلاء الاعداء غداً ، الا واني قد رايت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ، ليس عليكم مني ذمام ، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا ثم لياخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيتي وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله ، فان القوم انما يطلبوني ، ولو قد اصابوني لهْوا عن طلب غيري))[63] .

ان تمادي بعض المستشرقين في النيل من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته وصحبه (عليهم السلام) ادى الى انسياق اخرين وراء نفس الاتجاه ، من امثال المستشرق الانكليزي (انتوني نتنج .Nutting,A) الذي وقع في اخطاء متعمدة في كتابه

---

(61) فلهوزن ، احزاب المعارضة ، ص137 .

(62) احزاب المعارضة ، ص137 .

(63) لوط بن يحيى الازدي الكوفي (ت 157هـ) ، وقعة الطف ، تحقيق الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط3 (قم – 1417هـ) ، ص197 ؛ المقرم ، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين (عليه السلام) ، مطبعة الاداب ، ط4 (النجف – 1392هـ/1972م) ، ص84 ، 85 .

(العرب انتصاراتهم وامجاد الإِسلام) ، ولكن الدكتور راشد البراوي مترجم هذا الكتاب حاول ايجاد المبررات لاستخدام انتوني نتنج هذا الاسلوب في معالجته لاحداث التاريخ .

ففي اثناءحديث نتنج عن الإِمام الحسن (عليه السلام) وهدنته مع معاوية بن ابي سفيان،ذكر بان مبايعة اهل الكوفة للامام الحسن (عليه السلام) جاءت من باب الاحترام لذكرى الإِمام علي (عليه السلام) وان الحسن (عليه السلام) كان يؤثر العافية ويحب السلم،وقد ظفر بكنيته المطلاق الكبير من زيجاته الكثيرة التي يقول البعض على حد تعبير نتنج انها بلغت المائة ، و اضاف (نتنج) بأن الإمام الحسن (عليه السلام) لم يقم الا بحركة واحدة لانقاذ عرشه فوجه جيشاً من الكوفة ضد معاوية ، و لكن لما بلغت الشائعات المدائن ، عن انهزام جيشه تنازل على الفور لمعاوية الذي بعث اليه بصحيفة بيضاء ليكتب فيها الحسن (عليه السلام) ما يشاء[64] .

ووصف نتنج الإمام الحسن (عليه السلام) بالقول :

((لم يخجل الحسن من ان يطلب و يشترط في رده ان يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة الاف درهم(000) وعندئذ ، و قد وضع في جيبه مكاسب لا يستحقها ، انصرف الى المدينة حيث توفي بعد سنوات ثمان على يد احدى زوجاته))[65] .

و قد دافع الدكتور راشد البراوي عن رأي (نتنج) في هذا الموضوع بقوله : ((قد يتراءئ للبعض ان الكاتب متحامل على الحسن بن علي . ان قصة الصحيفة صحيحة اوردها المؤرخون العرب ، و لكنها في الواقع نوع من الترجمة ، كما ان المبلغ جنب العالم الإِسلامي المزيد من الحرب والفتنة. ويلاحظ ان معاوية هو الذي تقدم بالعرض، ومن ثم لا معنى للقول بأن الحسن ، لم يخجل أو انه وضع في جيبه مكاسب مالية لا يستحقها[66] .

فاذا كانت هذه الكلمات التي اصدرها (نتنج)بحق الإِمام الحسن (عليه السلام) لا تعني شيئاً للدكتور البراويفانها تعني للمنصفين في التاريخ الإِسلامي الشيء الكثير، فالإِمام الحسن الذي يتكلم عنه المستشرق (نتنج) والمترجم (البراوي) هو من سلالة (آل البيت)، اما الأموال التي تكلما عنها فهي حقوق المسلمين و لا يمكن للامام الحسن (عليه السلام) ان يسلمها الى ايدٍ غير امينة عليها ، تستخدمها للترف و البذخ و شراء الذمم .

---

(64) ينظر ، نتنج ، انتوني، العرب انتصارتهم و أمجاد الإِسلام ، ترجمة الدكتور راشد البراوي ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة - 1974) ، ص92.

(65) نتنج ، المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(66) مقدمة كتاب (العرب انتصاراتهم و امجاد الإِسلام) للمستشرق انتوني نتنج ، صفحة ، ي ـ ك.

ان المستشرق (نتنج) اعتمد على نصوص وردت في مصادر كان رواتها ضعفاء او يحاولون الدس في كل او جانب مما يتعلق بالائمة (عليهم السلام).

فقد و ضعت على لسان امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) في حق ولده الإمام الحسن (عليه السلام) رواية بسند عن ابو جعفر محمد بن حبيب[67] (ت 245هـ/859م) عن المسيب بن نجبه جاء فيها :

((سمعت امير المؤمنين (عليه السلام) ، يقول : انا احدثكم عني وعن اهل بيتي ، اما عبد الله بن اخي فصاحب لهو وسماع ، واما الحسن فصاحب جفنة وخوان ، فتىً من فتيان قريش ، ولو قد التقت حلقتا البطان[68]لم يغن عنكم شيئاً في الحرب ، واما انا وحسين ، فنحن منكم وانتم منا ....))[69]وروى محمد بن حبيب ايضا رواية اخرى عن الإمام الحسن، جاء فيها :

((قال علي (عليه السلام) : لقد تزوج الحسن وطلق حتى خفت ان اثير عداوة ، قال ابو جعفر: وكان الحسن اذا اراد ان يطلق امرأة جلس اليها ، فقال : ايسرك ان اهب لك كذا وكذا ؟ فتقول له ما شئت ، او نعم ، فيقول : هو لك ، فاذا قام ارسل اليها بالطلاق ، وبما سمى لها[70] .

وبعد ان اطلعنا على هاتين الرواتين من كثير ، فنؤكد بان (نتنج) قد حاول الاعتماد على مثل هذه الروايات ، وبذلك اثرت على تقييمه لشخصية الإمام الحسن (عليه السلام).

وهناك دليل اخر على تحامل نتنج ، فقد تكررت في كتابه آنف الذكر عبارة (الزندقة الشيعية) في صفحات عدة منها (ص221 ، 242 ، 250 ، 253) . وحاول الدكتور البراوي ايضا التقليل من وقع هذه العبارة بقوله : ((التعبير ليس غريبا او متعسفا لاننا نلقاه في مؤلفات كتب اهل السنة في تلك العصور ، فالشهرستاني (ت548هـ) في الملل والنحل

---

(67) هو محمد بن حبيب بن امية بن عمرو ، من موالي بني العباس ، عرف عنه معرفته بالانساب والاخبار والفقه والشعر ، ولد في بغداد وتوفى في سامراء ، له عدة كتب ، منها ، (المحبّر) و (المنمق) وكتاب مختلف القبائل ومؤتلفها ، واخرى ، ينظر في ترجمته ، الزركلي ، الاعلام ، 78/6 .

(68) البطان : مثل يضرب للامر اذا اشتد وجاوز الحد ؛ ينظر ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الجبل ، (بيروت– 1407هـ /1987م) ، ج11/16 .

(69) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،11/16 .

(70) ابن ابي الحديد ، الشرح ، ج12/16 .

والبغدادي (ت249هـ) في (الفَرْق بين الفِرَق) ...الخ ، يتحدثون عن فرق من قبيل الشيعة والخوارج ...الخ باعتبارهم من اصحاب الضلالات او من اصحاب الزنادقة))[71] .

ويبدو لنا من هذا القول بان المؤلف (نتنج) والمترجم الدكتور البراوي كانا احاديي النظرة لانهما لم ياخذا الاحداث التاريخية الا من منهل واحد وهو مؤرخي السنة ، للحديث عن حادثة او ظاهرة تتعلق بالشيعة ، وهذا هو الخطأ الذي يقع فيه اغلب الغربيين سواء كان ذلك عن قصد او دون قصد .

وذكر احد الباحثين سببا منطقيا لاقدام الإِمام الحسن (عليه السلام) على الاحتفاظ بالاموال التي كانت موجودة في بيت مال الكوفة ، وهو ان للامام (عليه السلام) شؤون كثيرة ، فهو مثقل بعبء بني هاشم وأصحابه ، وبحكم مركزه ، فلابد ان يكون في حوزته ما يكفيه من المال ، وهذا شرط طبيعي لا بد ان يورده الإِمام في بنود الصلح مع معاوية[72].

وقد اطرى نتنج معاوية بن ابي سفيان مديحاً و ثناءً بوصفه اياه بأنه ذو خلق عربي رائع ورب اسرة قُدر لها ان تحكم (الإمبراطورية) في اعظم ايام مجدها ، و اضاف بان باب معاوية كان مفتوحاً امام ادنى رعاياه مرتبةً ، من فقراء و ذوي حاجة و كان معاوية على خلاف الشخص المنحل الذي يتحيز لاهله[73] .

ما ذهب اليه (نتنج) يطابقه كلام (فلب حتي) بحق معاوية بوصفه ((لم يكن اول ملوك العرب فحسب بل كان واحداً من أحسنهم أيضاً))[74] .

ولا نريد في هذا المبحث ان نتوسع في عرض الآراء التي اتسم أصحابها بالتحامل على الإِسلام او الرسول الكريم (صلى الله عليه و اله و سلم) او بعض الشخصيات الإِسلامية ، و لكن من دواعي البحث تشخيص الاسباب التي دفعت بالمستشرقين الى اتباع هذا المنهج ، و يمكن تصنيف هذه الاسباب الى صنفين: الاول يتعلق بالمسلمين انفسهم والثاني يرجع الى المستشرقين و ما كانوا يحملون من افكار قد تكون مسبقة عن الإِسلام او انها ناتجة عن سوء فهم او حقد او رجوعهم الى روايات أموية،و قد تمت الاشارة الى بعضها في

---

(71) البراوي ، مقمة كتاب (العرب انتصاراتهم وامجاد الإِسلام) للمستشرق انتوني نتنج ، الصفحات،ي،ك .

(72) ينظر ، فضل الله ، محمد جواد ، صلح الإمام الحسن اسبابه نتائجه ، دار المثقف المسلم ، (قم – د.ت) ، ص132 .

(73) ينظر، العرب انتصاراتهم و امجاد الإِسلام ، ص96-97 .

(74) حتي ، فلب خوري ، تاريخ العرب ، نقله الى العربية ، محمد مبروك نافع ، مطبعة دار العالم العربي ، ط3 (القاهرة – 1952) ص247 .

الصفحات المتقدمة من المبحث ، و نضيف اليها ما قاله المستشرق ساوثرن (R.W.Southern)، بان كتّاب اللاتين بين عام 1100م و عام 1140م الذين اخذوا على عاتقهم توضيح صورة الإِسلام لدى الناس العامين ، ركزوا في اهتمامهم على الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) دون اعتبار للدقة ، فاطلقوا العنان لـ ((جهل الخيال المنتصر)) على حد تعبير (ساوثرن) ، فقد وصفوا النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بانه كان ساحراً هدم الكنيسة في افريقيا و في الشرق واباح الاتصالات الجنسية[75] .

بخصوص ما يتعلق بالمسلمين فيمكننا ان نورد بعض الادلة التي نعتقد بانها كانت سبباً في زيادة الحملة الاستشراقية على الإِسلام .

فقد ورد على لسان بعض رواة الحديث التعمد في الاساءة الى شخصية الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال ما نسبوه اليه من احاديث و اعمال تتنافى مع ابسط القواعد الاخلاقية ، و كان الدافع في ذلك هو الظهور بالوجه الحسن امام ذوي السلطان و الجاه أو رفع شأن خلفائهم ، و لكن على حساب الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته (عليهم السلام)[76].

لقد روى ابو هريرة[77] (ت57هـ) وحده (5374) حديثاً عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في حين انه لم يصاحبه الا عاماً و احداً وبضعة اشهر[78] و قد اتهمه كبار الصحابة بالكذب و التزوير .

وما قاله ابن ابي العوجاء[79] (ت 155هـ/771م) قبل ان تُضرب عنقه : ((وضعت فيكم أربعة آلاف حديث ، أُحرّم فيها الحلال واحل فيها الحرام))[80] .

---

(1) R.W.Southern , western views of Islam in the middle Ages,(Cambridge,Mass,1962) p.p.28 FF.

(76) ينظر ، هيفا ، راجي انور ، الإِسلام و الغرب ، دار العلوم ، (بيروت – 2005) ، ص 72 .

(77) ابو هريرة ، غامض الحسب ، مغمور النسب ، فاختلف الناس في اسمه و اسم ابيه اختلافاً كثيراً ، ولم يتم ضبطه في الجاهلية و لا في الإِسلام ، قيل ان اباه يدعى عمير بن عامر بن عبد ذي الشري، و امه اميمة ابنت صفيح ، اما كنيته فقد اكتسبها نسبة الى هرة صغيرة كانت عنده و احبها كثيراً . ينظر ، الموسوي ، عبد الحسين شرف الدين ، الموسوعة (الفصول المهمة ـ ابو هريرة)، تحقيق ، مركز العلوم و الثقافة الإِسلامية ، قسم احياء التراث الإِسلامي ، دار المؤرخ العربي، (بيروت – 1427هـ/ 2006م) 3/ 1215 و ما بعدها.

(78) ابو رية ، محمد (الشيخ) شيخ المضيرة ابو هريرة ، دار المعارف ، (مصر – 1969) ، ص124 .

ويبدو ان المستشرقين الذين يقرأون قسما من هذه الاحاديث او ما يشبهها من الروايات سوف يصدرون احكامهم و من ثم يعممون هذه الاحكام على الإ ِسلام .

لقد ذهب احد الباحثين بالقول : ((لماذا نغضب من فلوتن[81] و غيره اذا تناول [خالد][82] ابن الوليد بالفخر في دينه و شهامته في الوقت الذي نقرأ فيه عن افعاله الدموية المخزية (في الجزء الثالث من تاريخ الطبري) احد ابرز المؤرخين المسلمين؟!))[83]

لقد ذكر الطبري كيفية مسير خالد بن الوليد (ت21هـ/642م) بأمر من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليدعوا قبيلة (جذيمة) الى الإ ِسلام ، و بعد ان اعطاهم خالد بن الوليد الامان ، جردهم من اسلحتهم ثم امر بعد ذلك بتوثيقهم و قتل جماعة منهم ، و عند وصول الخبر الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)امرالإ ِمام علي (عليه السلام) بان يدفع ديات القتلى نيابة عنه ، ثم وقف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستقبل القبلة قائماً رافعاً يديه ، و هو يقول : ((اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد)) ثلاث مرات[84] .

---

(79) ابن ابي العوجاء : اسمه عبد الكريم وهو من الملحدين المشهورين واعترف بدسه الاحاديث الكاذبة المنسوبة الى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد قتل في خلافة ابو جعفر المنصور وبالتحديد في عام (155هـ) .

ينظر ، الطبري ، التاريخ ، 48/8 ؛

http.//www.alshia.com.

(80) ابو رية ، محمد (الشيخ) ، اضواء على السنة المحمدية ، مؤسسة الاعلمي ، (بيروت – د .ت)، ص10 .

(81) فان فلوتن : مستشرق هولندي : له مؤلفات عديدة اهمها (مجيئ العباسيين الى خراسان) و (ابحاث في السيطرة العربية) و (التشيع و العقائد المهدوية في عهد الخلافة الاموية) ، للمزيد، ينظر، عقيقي، المستشرقون ، 662/2 .

(82) خالد بن الوليد (ت21هـ) ، بن المغيرة المخزومي ، اسلم قبل فتح مكة سنة (7هـ) ، شارك في مقاتلة المرتدين اصحاب مسيلمة الكذاب ، و فتح الحيرة سنة 12هـ في عهد الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) ، مات بحمص بسوريا ، ينظر ، . الزركلي ، الاعلام ، 300/2 .

(83) هيفا ، الإ ِسلام و الغرب ، ص74 .

(84) تاريخ ، ج68/3 .

و قد اتهم عبد الرحمن بن عوف[85] (ت 32 هـ/652م) خالد بن الوليد بقتل هؤلاء عمداً و هم مسلمون و ذلك كي يثأر ثار الجاهلية لعميه اللذين قتلهما بنو جذيمة في وقت سابق[86].

بعد ان لقينا نظرة سريعة على بعض الاراء الاستشراقية التي حاولت التقليل من شأن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و اهل بيته (عليهم السلام) ، يمكننا الخروج بالمؤشرات الاتية :

1- ان معظم الاحكام الاستشراقية التي صدرت بحق الرسول الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم -تدل على انها كانت احكاماً مبنية على افكار مسبقة و لا تنم الا عن تحامل اصحابها على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

2- استخدم المستشرقون الفاظاً بحق الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تمت الى منهجية البحث التاريخي بأية صلة وفيها دلالات واضحة على حقد و كراهية اصحابها .

3 - تتبع المستشرقون اخبار الحوادث الغريبة و الضعيفة ،وكان الهدف منها النيل من شخصالرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والطعن في الإِسلام .

4- ان المنهج الذي استخدمه المستشرقون قائم على النقد المفرط ، الذي يصل الى حد التشكيك في كل صغيرة و كبيرة و الى درجة فساد العقل و الابتعاد عن المنطق .

5- حاولت بعض الدراسات الاستشراقية اضفاء صفة التبعية على الدين الإِسلامي من خلال محاولة ايجاد علاقة بين الإِسلام و النصرانية او اليهودية ، او التصوير بان الإِسلام ليس ديناً مستقلاً بحد ذاته و انما هو مشتق من المسيحية و من بركاتها على الناس.

6- كان الخطأ الذي وقع تحت طائلته فريق من المستشرقين يعود الى استخدام المنهج النقلي فيما يتعلق بتناقل الحوادث عن بعضهم و عدم الرجوع الى المصادر الإِسلامية المنصفة .

---

(85) عبد الرحمن بن عوف بن الحارث ، صحابي احد العشرة المبشرين بالجنة ، احد اصحاب الشورى الذين جعلهم الخليفة عمر بن الخطاب الخلافة فيهم ، شهد بدراً و أحد و جرح يوم احد واعتق في يوم و احد ثلاثين عبداً ، توفي في المدينة في السنة الثانية و الثلاثين من الهجرة . للمزيد ، ينظر، الزركلي، الاعلام ، 3/ 321 .

(86) السماوي ، محمد التيجاني (الدكتور)، الشيعة هم اهل السنه،مؤسسة الفجر،(لندن – 1993م) ص215 .

((المبحث الثاني))

الدراسات الموضوعية

اتخذ المستشرقون من هذه الدراسات مساراً آخراً يختلف كل الاختلاف عن المسار الذي سلكه اخرون في دراساتهم التي تم الاشارة اليها في المبحث الاول ، ولعل السبب في رأينا يعود الى تعامل هذا الصنف من المستشرقين مع الاحداث التاريخية بواقعية ، و تجرد عن الهوى وعدم الانسياق وراء احكام جاهزة اصدرها الاخرون .

سنورد في هذا المبحث نماذج من هذه الدرسات لا حاجة منا اليها في انصاف نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) و لا الى شهادة مستشرق للتدليل على عظمة الدين الإِسلامي ، و لكن ليكون هؤلاء شهوداً على تجني سابقيهم ، رغم ان التاريخ الذي درسوه هو تاريخ و احد و النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي وصفوه هو واحد .

لقد شخص احد الباحثين مجموعة مؤهلات تمكن المستشرق لكي يكون في مصاف المنصفين و اهم هذه الضوابط :

1 التمييز بين معطيات الإِسلام و واقع المسلمين دون الخلط بينهما او تحكيم سلوك الناس بمبادئ الدين ، او الاوضاع بالشرع .

2ـ الاعتماد على المصادر و المراجع الإِسلامية اساساً ، و مقابلة ما يكتبون بها ، و الاحتكام اليها مع الامانة العلمية .

3ـ التحليل الموضوعي القائم على اكتشاف الحقائق بعيداً عن التشويه و التعتيم .

4ـ التزام اخلاقيات البحث النزيه ، بعيداً عن البذاءة و التجريح .

5 المساهمة في تعريف الإِسلام بعد تفهمه ، دون ان ينصب المستشرق او العالم الغربي نفسه معلما للمسلمين[87] .

و يمكننا اضافة جوانب اخرى مهمة بينها:

1ـ ان يكون المستشرق مطلعاً على عادات و تقاليد من يكتب عنه لان ذلك يمكّنه من معرفة دقائق الامور .

2ـ لئلا يقع الباحث تحت تاثير و رحمة المترجمين الذين قد يتلاعب الهوى بعقولهم في اخفاءهم بعض الحقائق ، عليه ان يكون ملماً بلغة القوم الذين يحاول الكتابة في تاريخهم .

---

(87) مغلي ، مناهج البحث في الإِسلاميات ، ص389،390.

3ـ ان يدع خلف ظهره كل اسقاطات سابقيه ، و ان اخذ بها فعليه ان يجعلها نقطة الانطلاق للوصول الى الحقائق .

يأتي في مقدمة المستشرقين المنصفين ، الاسكتلندي توماس كارليل (1795م – 1881م Thomas Carlyle) الذي يعد كتابه (الابطال) من اهم مؤلفاته ، و قد كتب فصلاً رائعاً عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)[88] .

ومن مؤلفاته الاخرى كتاب (الثورة الفرنسية) و كتاب (الماضي و الحاضر) و كتب متعددة[89] . لا يهمنا ذكرها بقدر ما يهمنا كتابه الاول .

قسم كارليل كتابه (الابطال) الى محاضرات ست ، و تناول في محاضرته الثانية التي تحمل عنوان (البطل نبياً) سيرة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، و قد تضمنت هذه المحاضرة ردوداً عنيفة بوجه الغربيين الذين حاولوا تكذيب دعوة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، الذين زعموا بأن الطمع وحب الدنيا هو الدافع الحقيقي وراء هذه الدعوة .

فقد قال كارليل بصدد ذلك : ((يزعم الكاذبون انه الطمع و حب الدنيا هو الذي اقام محمداً و اثاره ؟ حمق و أيم الله ، و سخافة و هوس أي فائدة لمثل هذا الرجل في جميع بلاد العرب ... ، كلا اذن فلنضرب صفحا عن مذاهب الجائرين القائلين ان محمداً كاذب و نعد مواقفهم عاراً ، و سخافة و حمقاً ، فلنربأ بنفوسنا عنه ولنرتفع))[90]

و حاول كارليل التواصل في منهجه المنصف ، و كان اكثر و ضوحاً عندما ابعد الشبهات التي اثيرت حول الدين الإِسلامي و النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بشكل قاطع و دون تردد ـ بل وصف كل من يصدق هذه الشبهات بالعبارات التالية :

((لقد اصبح من اكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر ان يصغي الى القول بان دين الإِسلام كذب ، و ان محمداً خداع مزور ، فان الرسالة التي اداها ذلك الرجل مازالت السراج المنير فترة اثني عشر قرناً لمئات الملايين من الناس امثالنا خلقهم الله الذي خلقنا، اكان احدكم يظن ان هذه الرسالة التي عاشت بها و ماتت عليها هذه الملايين الفائقة الحصر

---

(88) ينظر ، مراد ، يحيى ، معجم اسماء المستشرقين ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2004 م/ 1425هـ)، ص548 .

(89) لغرض الوقوف على جانب من حياة كارليل و مؤلفاته ، ينظر ، عقيقي ، نجيب ، المستشرقون ، ج2 / 481 .

(90) توماس ، الابطال ، ترجمة محمد السباعي ، ط3 (المطبعة المصرية – 1349هـ / 1930م) ، ص54.

و الاحصاءاكذوبة و خدعة ؟ اما انا فلا استطيع ان ارى هذا الرأي ابداً فلو ان الكذب و الغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ، و يصادفان منه ذلك التصديق و القبول فما الناس الا بله و مجانين ، و ما الحياة الا سخف و عبث و اضلولة كان الاولى بها ان لا تخلق))[91]

ووصف الاستاذ الدكتور حسن الحكيم هذا القول بانه رد جميل على ما زعمه بعض المستشرقين الذين حاولوا الحط من هيبة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - و مكانته و التشكيك في الوحي[92].

وعلى الرغم من تمتع كارليل بروح الانصاف الا اننا نجد بعض الباحثين قد انتقدوه على بعض النصوص التي اوردها في كتابه انف الذكر[93] ، لذا من الواجب علينا نحن – الباحثين- الوقوف عند بعض هذه النصوص و التامل في مقاصدها .

قال كارليل : ((اذا خرجت الكلمة من اللسان لم تتجاوز الاذان ، و اذا خرجت من القلب نفذت الى القلب ، القرأن خارج من فؤاد محمد فهو جدير ان يصل الى افئدة سامعيه و قارئيه))[94] .

لو امعنا في ظاهر هذا القول نجد ان كارليل قد نسب القرآن الكريم الى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و هذا هو الشيء الذي انتقده عليه الباحثون ، اما اذا تعمقنا في باطن القول فنعتقد ان كارليل كان يقصد في كلامه بان الكلمات التي تلقاها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) من ربه عز وجل قد نفذت الى قلبه و آمن بها ، و كلما كان الانسان مؤمنا بقضية ما عمل كل ما في وسعه من اجل تحقيقها و ايصالها للآخرين،ولا أحد يستطيع انكار الجهود والاساليب التي استخدمها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في نشر الدعوة السلامية ، و نتيجة لذلك فقد و جدت طريقها الى قلوب الناس،من جانب آخر نحن نؤمن بان هناك آيات في القرآن الكريم لو اخذناها على ظاهرها لاحتملت غير معنى، فعلى سبيل المثال قال سبحانه و تعالى في كتابه العزيز : ((يد الله فوق ايديهم))[95] ،

---

(91) الابطال ، ص58 .

(92) المستشرقون و دراستهم للسيرة النبوية ، مجموعة بحوث القيت في المؤتمر العلمي الاول لكلية الفقه ، الجامعة المستنصرية ، 1986 ، مطبعة القضاء (النجف د.ت)، ص139 .

(93) ينظر بشير ، تطور الاستشراق البريطاني في كتابه السيرة النبوية ، ص74،75 .

(94) الابطال ، ص68 .

(95) الفتح /10 .

فظاهر الاية يدل على ان الله سبحانه وتعالى يد، بينما تفسير هذه الآية يدل على غير ذلك[96].

في هذا القول لا يرمي الباحث الدفاع عن المستشرق (كارليل) بقدر ما يحاول الوصول الى الحقيقة التاريخية ، لان كارليل وان كان يحتمل الجانب السلبي في قوله فهو شان غيره لا يغير من حقائق الإ ِسلام شيء . ولكن يجب ان يعطى لكل ذي حق حقه .

ولا يمكن ان يقل المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون (Gustave Lebon) شأنا عن كارليل ، نظرا للصراحة التي تمتع بها واعترافه بالدور الذي مارسه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في بناء الدولة العربية الإ ِسلامية ، ويظهر ذلك جليا من خلال كتابه (حضارة العرب) .

وصف لوبون حال الامم الاغريقية الرومانية والاسيوية وقت ظهور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بانها كانت فاقدة لمثلها العليا منذ زمن طويل ، ولم يَبْ ْقَ لحب الوطن وعبادة الالهة اثر في نفوس ابنائها ، لذلك اصبحوا عاجزين عن مقاومة قوم اخرين مستعدين للتضحية بانفسهم في سبيل معتقداتهم[97] . ويقصد لوبون بالقوم الاخرين هم المسلمين .

واشاد لوبون بالانجاز الذي حققه النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم- للشعوب العربية التي وصفها لوبون بانها ((لا عهد لها بالمثل العليا)) وعد هذا الانجاز ((من الخيالات لا ريب)) على حد تعبيره ، الى الدرجة التي يعتقد لوبون بان هذه الخيالات اقوى من الحقائق، واضاف بان اصحاب النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم- لم يترددوا في التضحية بانفسهم في سبيل المثل العليا ، طامعين في الجنة التي لا يعادلها شيء من متاع هذه الحياة الدنيا[98] .

---

(96) اورد الفخر الرازي في تفسيره لهذه الاية معنيان ، الاول ان (يد الله) بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم الى الله ، اما المعنى الثاني فهو ان نصرة الله اياهم اقوى و اعلى من نصرتهم اياه ، فيقال اليد لفلان ، أي الغلبة و النصرة و القهر . ينظر ، الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، 87/28 .

(97) ينظر ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، دار احياء الكتب العربية ، ط3 (القاهرة – 1956)، ص132 .

(98) ينظر ، حضارة العرب ، ص132، 133 .

ويعزز لوبون نظرته المنصفة بتوضيح الانجاز العظيم الذي حققه الإِسلام والمتمثل بالوحدة التي منحها للشعوب التي خضعت لسلطانه ، فمنح تلك الشعوب مصالحا وامالا مشتركة ووجه جهودها نحو غرض واحد مع انها كانت ذات مصالح مختلفة قبل ذلك[99] .

ولا ريب ان ماذكره غوستاف لوبون من وصف للدين الإِسلامي وللرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) يعبر عن اعجابه الشديد بهما ، وللتاثير الكبير الذي احدثه الإِسلام في المجتمعات العربية والامم المجاورة التي اضلت طريقها للوصول الى معرفة خالق السموات والارض . وعلى العكس من الاراء المتحاملة على الإِسلام ، التي اظهرته بانه من مؤثرات المسيحية او اليهودية التي اوضحنا بعضها في المبحث الاول .

اما المستشرقة الالمانية (زيغريد هونكة) فترى بان رفعة الإِسلام يمكن الاستدلال عليها من خلال حث الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) للناس على طلب العلم ، فقالت بصدد ذلك:((لقد اوصى محمد كل مؤمن رجلا كان او امرأة بطلب العلم ، وجعل من ذلك واجباً دينياً فهو الذي يقول للمؤمنين:(اطلبوا العلم من المهد الى اللحد) ويرشد اتباعه دائما الى هذا فيخبرهم بان ثواب التعلم كثواب الصيام وان ثواب تعليمه كثواب الصلاة))[100] .

لقد ميزت هونكة بين عالمين مختلفين تمام الاختلاف في قوامهما الفكري والعلمي وفي رؤيتيهما للحياة والكون ، هما الإِسلام والغرب وبهذا الاختلاف قد اتسعت الهوة بين الحضارة العربية الشامخة والمعرفة السطحية المعاصرة في اوربا ، واكدت هونكه بان ما وصلت اليه الكنيسة وكهنتها في المجال الديني لم يكن في الحقيقة عامل انقاذ لحضارتها ، بل كان عائقاً لها، وتعتقد هونكة بانه كانت امام الاوربيين فرصة كالعرب ، بل ان فرصتهم كانت اكبر ، وتتمثل هذه الفرصة بالرجوع الى التراث الاوربي القديم واحيائه وتطويره من اجل صعود سلم الرقي[101] .

ويبدو ان هونكه قد شخصت احد الاسباب التي ادت الى انحسار الحضارة الاوربية امام الحضارة الإِسلامية ، ويمكننا ان نضيف سبباً جوهرياً اخراً قد يغيب عنها ، وهو ان ما يملكه المسلمون لا يملكه الاوربيون ، فالمسلمون يعتنقون الدين الإِسلامي الذي يعد القران دستوراً للحياة عندهم وينظرون الى القران على انه حاو لكل ما يحتاج المسلم معرفته من تنظيم للعلاقة فيما بينهم او مع الاخرين انطلاقا من قوله تعالى ((وما من دابة في الارض

---

(99) حضارة العرب ، ص133 .

(100) ينظر،شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضوني وكمال دسوقي ، (بيروت – 1964) ، ص369 .

(101) شمس العرب ، ص271 .

ولا طير بجناحه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتب من شيء ثم الى ربهم يحشرون))[102] .

.

وتتطابق وجهة نظر المستشرق الفرنسي (مكسيم رودنسون) (M.Rodinson) مع ماذهبت اليه هونكة بشأن الإ ِسلام و تاثيره على الحياة ، فقد و صفه بالقول :

((ان الإ ِسلام نظام و عقيدة و اسلوب حياة ، و نظرة شاملة للكون و الانسان))[103] .

ومن بين المستشرقين الذين اخلصوا للحقائق العلمية و التاريخية الى الحد الذي جعله يعتنق الدين الإ ِسلامي ، هو المستشرق النمساوي (ليوبولد فايس Leopold weiss) المعروف باسم (محمد أسد) الذي أ ُعجب بالإ ِسلام و رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأنقذه الإ ِسلام بأسلامه فكتب بتجرد تام ، و في معرض حديثه عن الإ ِسلام ، ذكر بانه كان يتعرض لسؤال يتكرر عليه بعد حين و اخر يتعلق بالاسباب التي دعته يعتنق الإ ِسلام ، وقد لخص اجابته على ذلك السؤال بقوله : ((ولا استطيع اليوم ان اقول أي النواحي قد استهوتني اكثر من غيرها ، فان الإ ِسلام على ما يبدو لي بناء تام الصنعة و كل اجزاءه قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً فليس هناك شيئ لا حاجة اليه و ليس هناك نقص في شيء ، فنتج من ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص . ولعل هذا الشعور من ان جميع ما في الإ ِسلام من تعاليم و فرائض ((قد و ضعت مواضعها)) هو الذي كان له اقوى الاثر في نفسي))[104] .

و يبدو ان انطباع المستشرق (ليوبولد فايس) عن الإ ِسلام ناتج من عدم كونه اصبح مسلماً وانما يكمن في ايمانه المطلق بالأسباب التي ادت به الى الإ ِسلام .

اما المستشرق الانكليزي (لين بول ستانلي .Lane – poole,S) فقد افاد بوصف دقيق و عادل خص به الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ، و مما قاله : ان محمدا كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة كاللطف والشجاعة و مكارم الاخلاق ، حتى ان الانسان لا يستطيع ان يحكم عليه من دون ان يتأثر بما تتركه هذه الصفات في نفسه من اثر ، ومن دون ان يكون هذا الحكم صادراً من غير ميل او هوى , كيف لا وقد احتمل محمد عداء اهله و عشيرته اعواماً ، فلم يهن له عزم ، ولا ضعفت له قوة ، و بلغ من نبله انه لم يكن

---

(102) الانعام /38 ، ينظر ، تفسير القمي لهذا المقطع من الاية ، الذي يوضح فيه بان الله سبحانه وتعالى لم يترك شيء في الكتاب الا وضحه للانسان ، ثم بعد ذلك الى الله يرجعون ، ج206/1 .

(2) Rodinson,Maxime,Mohomet ,P.87.

(104) ينظر ، الإ ِسلام على مفترق الطرق ، ترجمة عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، ط4 (بيروت – 1955)، ص13 .

في حياته البادئ بسحب يده من يد مصافحته ، حتى و لو كان المصافح طفلاً ، و انه لم يمر بجلسته يوماً ، رجالاً كانوا ام اطفالاً ، دون ان يقرئهم السلام ، و على شفتيه ابتسامة حلوة ، و في فيه نغمة جميلة كانت تكفي و حدها لتسحر سامعها ، و تجذب القلوب الى اصحابها جذباً))[105] .

ان المتمعن في هذا القول يجد بوضوح مدى تعلق هذا المستشرق المنصف بشخصية الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولا شك ان هذه النظرة نابعة من احساس داخلي قد لا نجده الا عند المسلمين ، من جانب اخر في هذا القول تفنيد لكل الدراسات الاستشراقية التي حاولت المساس باخلاق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والنيل من الرسالة الإِسلامية السمحاء .

ولم يكن (لين بول) هو المستشرق الوحيد الذي اشاد باخلاقيات الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بل ان هناك العديد من المستشرقين ، ونكتفي بذكر ما قاله المستشرق الانكليزي (بول Ball,j) ، فقد رفض اتهامات كتاب التراجم والسير من الاوربيين الذين تكلموا عن سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يتحفضوا عن تشويه هذه السيرة، كاتهامهم له بالقسوة[106] ، واكد (بول) بان هذه التهمة غير جديرة بالاعتبار كسائر الاتهامات، لاننا اذا رجعنا الى التاريخ وحكمناه في المسالة على حد بتعبير بول ، لتبين لنا ان القسوة لم تكن قط من اخلاق النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد ساق لنا (بول) دليلا على ذلك ، وهو المعاملة الحسنة التي ابداها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) للاسرى بعد غزوة بدر (2هـ) وتسامحه مع اعدائه وصبره على اذاهم وعطفه على الاطفال والمرضى[107].

اما المستشرق الامريكي (ايرفينح) فقد اصدر كتابا بعنوان (محمد وخلفائه) وقسمه الى تسعة وثلاثين بابا ، والابواب مقسمة الى فصول ، وابتدا بوصف احوال العرب وجزيرتهم قبل الإِسلام ، ثم تطرق الى ولادة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرته ونشره للاسلام وحروبه ، حتى وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد كان دقيقا في سرده للاحداث واستخدم طرائق البحث العلمي ، بعيدا عن التعصب ، مما جعله يسير على خطى

---

(105) علي ، محمد كرد ، الإِسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التاليف والنشر والترجمة ، ط3 (القاهرة – 1968) ، 66/1.

(106) العباسي ، محفوظ ، الغرب نحو الدرب باقلام مفكريه ، (بغداد – 1990) ، ص79 .

(107) العباسي ، الغرب نحو الدرب ، ص79 .

المستشرقين المنصفين ، وقد ختم كتابه بكلمات تستحق ان نذكرها في هذا البحث من الاطروحة جاء فيها :

((واخيرا نجد ان من الصعب حتى على المنكرين لرسالته (صلى الله عليه وآله وسلم) ان ينكروا عليه صدق شعوره الذاتي فيها ، ولا ان ينكروا سمو توجه القرآن الكريم وصدقه وما يتضمنه من حكمه وشموليته كلية بكل زمان ومكان تأسر قارئه ، ولا يمكنها ان تكون موجهة لغرض او اغراض ارضية واهداف نفعية فقط))[108] .

وينقل لنا احد الباحثين اقوال مجموعة من المستشرقين بشان الإِسلام والنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ونكتفي بشهادة واحد منهم .

فقد اشار المستشرق الفرنسي (بلاشيه Blachere) الى ان النبي محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) يعد من ابرز رجال التاريخ ، فقد قام بثلاثة اعمال عظيمة دفعه واحدة وهي : ((انه احيا شعبا ، وانشأ امبراطورية ، واسس دينا))[109] .

ويقول المستشرق الفرنسي (موريس بوكاي)،((ان الاحكام المغلوطة تماماً التي تصدر في الغرب عن الإِسلام ناتجة عن الجهل حينا وعن التسفيه العامد حينا اخر. ولكن اخطر الاباطيل المنتشرة تلك الى تخص الامور الفعلية.واذا كنا نستطيع ان نغفر لاخطاء خاصة بالتقدير فاننا لا نستطيع ان نغفر لتقديم الوقائع بشكل ينافي الحقيقة.بل اننا لنصاب بالذهول عندما نقرأ في اكثر المؤلفات جدية اكاذيب صارخة برغم ان مؤلفي هذه المؤلفات هم بالمبدأ مؤلفون اكفاء))[110].

---

(108) ايرفنج ، واشنطن ، محمد وخلفاؤه ، ترجمة الدكتور هاني يحيى ، المركز الثقافي العربي،(بيروت، 1999) ، ص463 .

(109) زكريا ، هاشم زكريا ، المستشرقون ، (مصر – 1965) ، ص165 .

(110) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة،دار المعارف،ط4(بيروت-1977م).

الفصل الثاني

مناهج المستشرقين في دراسة شخصية الإِمام علي(عليه السلام)

المبحث الاول:أسبقية الإِمام علي(عليه السلام) في الإِسلام.

المبحث الثاني: زواج الإِمام علي (عليه السلام).

المبحث الثالث:الإِمام علي (عليه السلام) وجمع القرآن.

المبحث الرابع:الصفات الشخصية للإِمام علي (عليه السلام).

المبحث الخامس:شجاعة الإِمام علي وفروسيته(عليه السلام).

مدخل

سلك المستشرقون الذين تناولوا شخصية الإ ِمام علي (عليه السلام) و دوره في الدفاع عن الإ ِسلام و نشره في مناطق كانت القاعدة لنشر لإ ِسلام الى ما وصل اليه من بقاع شتى فيما بعد ، منهجاً يكاد لا يختلف عنه في دراستهم عن الرسول محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -، من حيث اهتمامهم بجوانب عدة تمحورت حول شخصية الإ ِمام علي (عليه السلام) ، ابتداءً من طفولته و اسلامه و زواجه و اخلاقه و شجاعته في المعارك التي اشترك فيها من قبل توليه الخلافة وفي اثنائها ، و كذلك ماجرى من احداث في خلافته و المتمثلة في الحروب ضد الناكثين و القاسطين و المارقين و التي سيتم الحديث عنها في الفصل الرابع من الاطروحة بعون الله ، يضاف الى ذلك توضيح المؤامرة التي ادت الى استشهاده و انتقال روحه الطاهرة الى بارئها عز وجل .

الذي يهمنا توضيحه هنا ان الدراسات الاستشراقية التي تناولت هذه الجوانب من شخصية الإ ِمام علي (عليه السلام) ، كانت ضمن كتابات المستشرقين في التاريخ العام للاسلام ، و الخاص في احداث السيرة النبوية ولم تنفرددراسة مختصصة في شخص الإ ِمام علي (عليه السلام) ، عند المستشرقين في حدود علم الباحث ، لذلك سنحاول في هذا الفصل اجتزاء بعض الجوانب التي ركز عليها المستشرقون في مؤلفاتهم فيما يخص الإ ِمام علي – عليه السلام –واثره في احداث التاريخ الإ ِسلامي وعلاقته بالسيرة النبوية الشريفة من وجهة نظرهم .

وبالنظر لتعدد جوانب الموضوع فقد رأى الباحث ان يتناوله من خلال خمسة مباحث متفاوتة في مادتها .

((المبحث الاول))

أسبقية الإمام علي (عليه السلام) في الإسلام

ياتي في مقدمة الجوانب التي ركز المستشرقون عليها في اثناء حديثهم عن الإمام علي (عليه السلام) ، هو كيفية اعتناقه الإسلام و فيما اذا كان أول أو ثاني أو ثالث من آمن بالدعوة الإسلامية ، و قد اختلفوا في هذا الامر شأنهم شأن بعض مؤرخينا المسلمين ، بسبب اعتمادهم في تبيان ذلك على ما ورد في بعض المصادر الإسلامية .

لقد ذكر المستشرق كارليل قولاً يمكن ان نستشف من خلاله بانه‌راد ان يبين بان الإمام علياً (عليه السلام) هو اول من آمن بدعوة النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ، فقال كارليل بصدد ذلك :

((وبينما القوم صامتون حيرة و دهشة و ثب علي (كرم الله وجه) ، و كان غلاماً في السنة السادسة عشرة و كان قد اغاضه سكوت الجماعة فصاح في احد لهجة انه ذلك النصير و الظهير ...))[111] .

واشار كارليل الى هذا القول في اثناء حديثه عن دعوة لرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عشيرته لدخول الإسلام و ضرورة احتضانهم الدين الجديد الذي قدم من خلاله الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لقومه امتيازات لم يقدمها احد من قبله، و لكنه لم يلق اسجابة سوى من ابن عمه الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام).

وقد اطر كارليل حديثه بكلمات تتصف بالاعجاب بشخصية الإمام علي (عليه السلام)، و لا يقل في قوله هذا عما قاله بحق الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد بينا ذلك في الفصل الاول من الاطروحة ، و يبدو انه سلك المنهج نفسه واستخدم المعابير نفسها في تقييمه للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام علي (عليه السلام) .

واضاف كارليل قائلاً :

((اما علي فلا يسعنا الا ان نحبه و نتعشقه ، فانه فتى شريف القدر ، كبير النفس، يفيض وجدانه رحمة و براً ، و يتلظى فؤاده نجده و حماسة ، و كان اشجع من ليث، لكنها شجاعه ممزوجة برقة و لطف و حنان ، جدير بها فرسان الصليب في القرون الوسطى، و قد قُتل في الكوفة غيلة ، و انما جنى ذلك على نفسه بشدة عدله ، حتى حسب كل انسان عادلاً مثله

---

(111) ينظر،محمد المثل الاعلى ، ترجمة محمد السباعي ، المكتبة الاهلية ، ط2 (بيروت ـ د. ت) ، ص34 .

، وقال قبل موته حينما أومر في قتاله : ((ان اعش فالامر لي،وان أمت فالأمر لكم ، فان اثرتم ان تقتصوا فضربة بضربة ، و ان تعفوا اقرب الى التقوى))[112] .

واقتفى المستشرق الفرنسي (اتيين دينيه Etienne Dinet) اثر كارليل واستخدم نفس المنهج عند معالجته موضوع دخول الإ ِمام علي (عليه السلام) في الإ ِسلام و عده اول من آمن برسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من الرجال ، و كذلك في وصفه لشخصية الإ ِمام علي (عليه السلام) ، فقد قال (اتيين دينيه) :

((وكان اول من آمن برسالته من الرجال : (علي بن ابي طالب) ، و كان يومئذ ابن عشر سنين))[113] .

واضاف دينيه : ((فاندفع و اقفاً ـ ناسياً ما تفرضه عليه التقاليد لصغر سنه بين هؤلاء الاشراف ، و صاح و قد ملأه الحماس (انا يارسول الله وزيرك)))[114] .

و ذكر (دينيه) تفاصيل دعوة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - قومه لوليمة الطعام التي اعدها ، و العرض الذي قدمه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم من اجل دخول الدين الإ ِسلامي ، ولكنهم تخلفوا عن ذلك و لم يلبوا دعوته باستثناء الإ ِمام علي (عليه السلام) الذي و صفه (دينيه) بقوله :

((اصبح علي بن ابي طالب بفضل اخلاصه المتناهي و شجاعته التي لا تقاوم و حرصه الشديد على طاهر السجايا ، احد ابطال الإ ِسلام المشاهير ، غير ان فقره الشديد الزمه ، يعمل اجيراً عند احد الملاكين من الانصار ، فكان يقضي يومه بين الصلاة وري النخيل ، و لم يكن باعماله المجيدة ، اهلاً لتلك الحال المتواضعة ، فجدير به ان يحتل مكانة سامية في اعين الناس))[115] .

اما المستشرق الانكليزي (روم لاندو R. Landau) فقد ذكر ان النبي محمد –صلى الله عليه وآله وسلم- عمل على نشر دعوته بين اصدقائه المقربين وانسبائه وذلك بعد نزول

---

(112) محمد المثل الاعلى ، ص34 .

(113) محمد رسول الله ، ترجمة ، عبد الحليم محمود ، مطبعة دار الكتاب ، ط3 (مصر ـ 1959) ، ص94.

(114) محمد رسول الله ، ص101 .

(115) محمد رسول الله ، ص199 .

الايات الاولى من القران الكريم . وكان فيهم الإ ِمام علي –عليه السلام- ابن عمه وصهره ، فضلا عن ابي بكر (رضي الله عنه) خليفته الاول[116].

وقد وصف (لاندو) الإ ِمام عليا (عليه السلام) بانه : ((امسى رمز التجسد عند الشيعة ، [وهو] ابو الحسين ، و اعظم شهيد شيعي))[117] .

وكان المستشرق الروماني (جورجيو) قد تحدث عن الموضوع نفسه ، حيث ذكر بان السيدة خديجة (رضي الله عنها) زوجة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اول من آمنت بدعوته و تلاها في الايمان ابن عمه الإ ِمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وحاول (جورجيو) اثبات بان الوقت الذي أسلم فيه الإ ِمام (عليه السلام) هو قبل حادثة الوليمة التي اعدها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لافراد عشيرته و اقربائه حينما دعاهم لأعتناق الإ ِسلام .

وقال بصدد ذلك : ((اختلف القسم الاخير من هذه الرواية عما ذكره جمهور علماء المسلمين ، لان علياً اسلم قبل الوليمة بحين من الزمان ، وذكرنا بانه كان ثاني من اسلم))[118] .

و تطرق جورجيو الى دور المسلمين الاوائل في الدعوة الإ ِسلامية ، الذين اقتصرهم على ثلاثة افراد حتى السنة الثالثة للهجرة ، فبالإضافة الى السيدة خديجة (رض) و الإ ِمام علي (عليه السلام) ، ذكر ثالثاً لهما و هو الصحابي زيد[119] ، و اوضح ان الإ ِمام عليٌّ (عليه السلام) قد اسلم في الوقت الذي لم يوافق احد على الدخول في الدين الجديد ولم يقبل بدعوة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) سواه ، الذي نهض وقال حسب تعبير (جورجيو):

---

(116) ينظر، الإ ِسلام و العرب ، ترجمة منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، (بيروت - 1962)، ص34 .

(117) الإ ِسلام و العرب ، ص86 .

(118) ينظر ، نظرة جديدة في سيرة رسول الله ، ترجمة الدكتور محمد التونجي، الدار العربية للموسوعات، (بيروت - 1983) ، ص74، 75

(119) هو زيد بن حارثة بن شراحيل (او شرجيل) الكلبي، صحابي ، اشترته خديجة بنت خويلد ووهبته للنبي حين تزوجها ، فتبناه قبل الإ ِسلام و اعتقه ثم زوجه بنت عمته ، و استمر الناس يسمونه (زيد ابن محمد) حتى انزلت آية ((ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله [الاحزاب/5])) ، استشهد في غزوة (مؤتة) عام (8هـ) ، ينظر في ترجمته ، الزركلي ، الاعلام ، 57/3 .

((انا استجيب لدعوتك ، و أؤمن بالله))[120] .

اما المستشرق الانكليزي (ارنولد T.W.Arnold) فيذكر اقوالاً متناقضة بشأن ترتيب اوائل الذين اسلموا ، فهو ينقل بحق الخليفة ابو بكر (رض) قولاً للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يذكر فيه : ((ن كل الذين دعوتهم الى الإِسلام كانوا مترددين و مرتبكين و مهزوزين الا ابا بكر الذي عندما دعوتهالى الإِسلام لم يتأخر و لم يتردد))[121] .

ويبدو أن ارنولد قد اخذ برواية ابن اسحاق التي نقل فيها قولاً عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مفاده : ((ا دعوت احداً الى الإِسلام الا كانت عنه كبوة و تردد و نظر الا ابا بكر ما عتم حين ذكرته له و ما تردد فيه))[122] .

بينما يذكر في موضوع اخر بأن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بدأ بدعوة ابناء عشيرته المقربين و عرض عليهم الامر طالباً منهم الاستجابة ، ((فصمت الجميع الا علي الذي صاح بحماس صبياني ، يانبي الله انا سوف اعينك))[123] .

ولم يعط ارنولد رأياً محدداً بشأن اول من اسلم و هذا ناتج من تأثره بما ورد في بعض مصادرنا الإِسلامية و من بينها ما ذكره ابن اسحاق (ت 151هـ) و ابن هشام (ت218هـ) و الطبري (ت 310هـ) و غيرهم دون تحليل للنصوص التي اعتمدها .

ووقع المستشرق الانكليزي (بودلي Bodley , R.V.E.) في التناقض نفسه الذي ميز كتابات (ارنولد) بخصوص موضوع الاسبقية في الإِسلام ، حيث ذكر بان اخصاء النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - كانوا قليلين على الرغم من كثرة معارفه ، ولم يكن له الا ثلاثة اخصاء بعد زوجته خديجة (رضي الله عنها) ، و قد وصفهم (بودلي) بانهم كانوا يختلفون كل الاختلاف في الطباع و السن و الماضي ، وكان عليٌّ (عليه السلام) و هو أبن ابي طالب و ابن عم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و قد تبناه النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ليخفف عن عمه الذي كانت له عائلة كبيرة ، وكان علي (عليه السلام) فتى في الرابعة عشرة من عمره و يتدفق حيوية و يتمتع بقوة جسمانية[124].

---

(120) نظرة جديدة ، ص74- 75 .

(1) Arnold.T.W, the preaching of Aslam , London , constable ,compong , ltd , 1913 ,P.13 .

(122) ابن اسحاق ، السيرة ص139 .

(3) Arnold , the preaching of Aslam , P.13 ,14 .

(124) بودلي ، الرسول حياة محمد ، ص67

ولم يشر (بودلي) الى الشخصين الاخرين الّذين و صفهم باخصاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . و من المحتمل اراد بهما خديجة و زيد بن حارثة .

واضاف (بودلي) في موضوع اخر من كتابه (الرسول حياة محمد) ، بأنمحمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في اول الامر صريحاً على عدم اعلان الدعوة و عدم الافصاح عما جرى له في غار حراء و لم يقص النبأ الا على علي (عليه السلام) و زوجته خديجة (رضي الله عنها) و ابن عمها ورقة بن نوفل و زيد بن حارثة ، وانه ما قص ذلك على زيد و لكن وجوده بين ابويه في الدار جعله يسمع ما يدور بينهما. اما الإ ِمام علي (عليه السلام) فقد عرف الامر مصادفة ، فقد دخل يوماً فوجد النبي محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) و خديجة (رضي الله عنها) يصليان صلاتهما الجديدة ، و على الرغم من ان علياً (عليه السلام) شب على الوثنية الهاشمية على حد تعبير (بودلي) فانه لم يتوان في دخول دين ابن عمه[125].

وتطرق (بودلي) الى الحادثة التاريخية التي وضحت استجابة الإ ِمام علي (عليه السلام) لنداء النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما دعى قومه لدخول الإ ِسلام،واشارة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن علياً (عليه السلام) سيكون وصياً له[126].

وادلى المستشرق الامريكي (ارفنج W.Irving) بدلوه فيما يتعلق بموضوع الاسبقية في الإ ِسلام ، وقد اورد لنا دعوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لقومه و حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم : ((قد جئتكم بخير الدنيا و الاخرة، و قد امرني ربي ان ادعوكم اليه، فايكم يجيبني الى هذا الامر و يؤازرني عليه ، فيكون وصيي و وزيري و يكون اخي؟)) و يذكر(ارفنج) : ((ظل بعضهم صامتاً ... واخيراً قطع علي هذا الصمت و صاح مدفوعاً بحماسة الشباب ، متناسياً صغر سنه و قلة خبرته حيث قال : ((انا يارسول الله وزيرك)) ، حينئذ احتضن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الإ ِمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) و ضمه الى صدره و قال : ((ها هو ذا وصيي ووزيري ، ها هو ذا اخي))[127].

---

(125) ينظر ، حياة محمد ، ص81 .

(126) حياة محمد ، ص86

(127) محمد وخلفاؤه ، ص 65 ، لغرض الاطلاع على تفاصيل هذه الاحادثة ، ينظر ، الطبري ،تاريخ، 321/2 .

واشار (ارفنج) الى ان هناك روايات كثيرة تدور حول الموقف البطولي للامام علي (عليه السلام) حينما بات في فراش النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عند خروجه من مكة الى المدينة[128] .

ويمكن تقييم المنهج الذي اتبعه (ارفنج) في عرضه للأحداث التاريخية الخاصة بالإِمام علي (عليه السلام) ، بانه استخدم بعض المصطلحات التي حاول من خلالها توضيح الدور المميز الذي مارسه الإِمام علي (عليه السلام) في نصرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من اجل تثبيتاركان الدين الإِسلامي ، مثل ((الشاب الكريم)) و ((المؤمن الصالح)) و ((المخلص)) . و هذا مما يجعلنا نميل الى ان المستشرق (ارفنج) كان اكثر موضوعية من غيره .

اما المستشرقة البولونية (يوجيناغيانه)فقد قالت عن الإِمام علي (عليه السلام) بانه رابع الخلفاء الراشدين و هو اول من اسلم من الصبيان ، و كان اول قاضٍ ولاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القضاء في اليمن ، و قد تربى في بيت النبوة و انتشرت احكامه و فتاواه ، و نقلت هذه المستشرقة قول الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ((لولا علي لهلك عمر)) ، لان عمر كان يستشير الإِمام علي (عليه السلام) في الامور المهمة و المستعصية[129] .

و لكن المستشرقة (يوجينا غيانة) انتقدت بعض غلاة الشيعة بقولها :

((لكن بعض غلاة الشيعة اخذوا كثيراً من علمه بالكذب عليه و ارادوا ان ينفعوا فضروا))[130] . دون ان تعطي نماذج معينة من الروايات التي حاول المغالون فيها المبالغة في ابرازفضائل الإِمام علي (عليه السلام) . و في الواقع ان الغلو قد وقع في كثير من الصحابة (رضوان الله عليهم) . و ان ما خصت المتشرقة الشيعة به يعد باطلا طالما هناك الكثير من التماثل في الصحابة الاخرين .

وتناول المستشرق الالماني (جرهارد كونسلمان) جوانب منشخصية الإِمام علي (عليه السلام) باقتضاب بدءاً من طفولته و تربيته في بيت النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و دوره في مساندته وصولاً الى خلافته و حروبه التي خاضها ضد الخارجين عن سلطته .

---

(128) ينظر ، محمد وخلفاؤه ، ص117 .

(129) شتيسفسكا ، تاريخ الدولة الإِسلامية و تشريعها ، منشورات المكتب التجاري للطباعة،(بيروت - 1966) ، ص56.

(130) تاريخ الدول الإِسلامية ، ص56 .

وبدأ (كونسلمان) حديثه عن الإِمام علي (عليه السلام) بذكر حادثة مبيته في فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال في هذا الصدد : ((فكان علي قد رقد في سرير النبي و كله ثقة بكلام الرسول ، و لقد نام ليلة آمنة بعد وعد محمد (صلى الله عليه وسلم) له بانه لم يمسه سوء))[131] .

وأراد (كونسلمان) بعد ذلك التعريج على طفولة الإِمام علي (عليه السلام) بالقول:((واما علي فقد تعلم ان يثق بمحمد (صلى الله عليه وسلم) . فلقد اقام في بيت محمد (صلى الله عليه وسلم) منذ كان طفلاً . و قد كان ابوه ابو طالب من الفرع الفقير بقبيلة قريش ، ولذا اصابته هو و اهله الفاقة على نحو خاص عندما حلت ازمة اقتصادية بتجار مكة ... و كما روي فقد حصل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على اذن ابي طالب بضم علي اليه ، و قد حدث هذا في وقت لم يكن محمد (صلى الله عليه وسلم) قد سبب ضيقا لاهله بعد ، بمحاولة تحويلهم عن إلهتهم و دعوتهم لعبادة الله . في هذا الوقت كان لا يزال وحيداً في ايمانه بالله الواحد القهار))[132].

وحاول (كونسلمان) ان يجعل من ضم الإِمام علي (عليه السلام) لبيت النبوة لغرض في نفس النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و هو كسب ود عَمّه ابو طالب و ابناء عمومته من اجل دخول الدين الجديد ، و فكرة (كونسلمان) هذه غير موفقة ، لان انضمام الإِمام علي (عليه السلام) الى بيت النبوة قد حدث في وقت لم ينزل الوحي على الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد , و كما ورد ذلك في بعض مصادرنا التاريخية .

فقد اشار ابن اسحاق (ت151هـ) الى ذلك بقوله : ((وكان مما انعم الله به على علي انه كان في حجر الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل الإِسلام))[133] .

و ذكر كل من ابن هشام (ت 218هـ) و الطبري (ت 310هـ) نفس الرواية مما يعني بأنهما قد اقتبساها من ابن اسحاق[134].

وخاض (كونسلمان) نقاشاً بالاعتماد على مصدر مهم من مصادر السيرة النبوية ، الا وهو كتاب سيرة ابن اسحق ، لمعرفة تسلسل الإِمام علي في الإِسلام ، فذكر في بداية حديثه بان الإِمام علي (عليه السلام) كان اول انسان آمن بالإِسلام بعد النبي محمد (صلى الله عليه

---

(131) كونسلمان ، جرهارد ، سطوع نجم الشيعة ، ترجمة محمد ابو رحمة ، مكتبة مدبولي ، ط3 (القاهرة - 2004م) ، ص6 ؛ ينظر الطبري ، تاريخ ، 2/ 372 ،374 لمعرفة تفاصيل هذه الرواية.

(132) سطوع ، ص6 ينظر الطبري ، تاريخ ، 2/312 /313 ، لمطابقة روايته مع ما ذكره كونسلمان.

(133) السيرة ، ص137 .

(134) ينظر ، ابن هشام ، السيرة ، 1/ 425 ، 426 ، الطبري ، تاريخ ، 2/312 ، 313 .

وآله وسلم) ، اما كيف حدث ذلك ، فنقل لنا (كونسلمان) حديث ابن اسحاق الذي يقول فيه : ((ذكر احد العلماء ، انه عندما كان يحين وقت الصلاة ، كان محمد (صلى الله عليه وسلم) يخرج الى شعاب مكة وكان علي يصحبه دون علم بقية افراد الاسرة . فكانا يؤديان هناك صلاتهما ، و يعودان مع حلول الليل الى البيت))[135].

وذكر (كونسلمان) في موضوع آخر بان خديجة (رض) زوجة النبي محمد (صلى اله عليه اله وسلم) قد سبقت الإ ِمام علي (عليه السلام) في الايمان بالله[136] .

وان صحت هذه الرواية فهذا امر طبيعي ان يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد كشف سر دعوته لزوجته اولاً ومن ثم اقرب الناس اليه في داره ، و ابن عمه الإ ِمام علي (عليه السلام) .

واورد (كونسلمان) قولاً بالمعنى و ليس بالنص للامام علي (عليه السلام) مفاده انه (عليه السلام) قال :

((عندماكنت صبياً كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يضعني في حجره و يضمني الى صدره و احياناً كان يمضغ الطعام و يطعمني اياه ، و كنت اتبعه كما تتبع الفرس امها. و كان كل يوم يعلمني شعيرة يجب على المسلم اتباعها ، و يأمرني بالالتزام بها، ولم تكن حينذاك عائلة قد آمنت بالإ ِسلام ، فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) و زوجته خديجة المؤمِنَيْنْ الوحيدَين ، و كنت انا ثالثهم . و لقد رأيت نور الوحي و تبليغ النبي (صلى الله عليه وسلم) بالرسالة ، و قد سمعت ايضا ولولة الشيطان اثناء نزول الوحي على محمد (صلى اله عليه وسلم) فسألته يارسول الله ما هذا الصراخ ، فكان يجيب انه الشيطان الذي يئس من اتباعه ، و انت تسمع ما اسمع و ترى ما ارى الا انك لست رسولاً))[137] .

وبهذا الكلام الذي اقتبسه (كونسلمان) من قول الإ ِمام علي (عليه السلام) ، يكون بذلك قد ايقن بان الإ ِمام علي (عليه السلام) هو ثاني من اسلم بعد خديجة (رضي الله عنه) زوجة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، و يؤكد بانهما كانا يشكلان نواة الإ ِسلام في مكة[138].

وبعد ان عرضنا لآراء بعض المستشرقين في مسألة اسبقية الإ ِمام علي (عليه السلام) في الإ ِسلام نذكر هنا آراء المؤرخين القدامى والمحدثين في هذه المسألة باقتضاب وذلك لغرض

---

(135) ينظر، سطوع نجم الشيعة ، ص6، 7 .

(136) ينظر، سطوع ، ص8 .

(137) كونسلمان ، سطوع ، ص8، 9 .

(138) سطوع ، ص8 .

الموازنة بين الفريقين ، نجد الترمذي في سننه و بسنده عن ابي حمزة و هو رجل من

الانصار،انه قال : ((سمعت زيد بن ارقم (ت 68هـ/687م)[139] يقول:
((آول من اسلم علي))[140].

وذكر النيسابوري في مستدركه بسنده عن سلمان[141] (توفي في خلافة عثمان) ، قال:
((قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((او لكم وارداً عليّ الحوض اولكم اسلاماً علي بن ابي طالب))[142] .

و ذكر في مصادر اخرى بان الدعوة الإ ِسلامية بدأت سرا ، و كان أول من آمن بها هو الإ ِمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) من الرجال و شهد نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم تبعه اخرون ، و بعد ثلاث سنين نزلت الاية الكريمة : ((وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ))[143].

---

(139) زيد بن ارقم : هو احد ابناء الحارث ، من الخزرج ، يكنى ابا سعد ، و أول غزوة شهدها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هي المريسع ، نزل الكوفة وبنى فيها داراً ، و توفى فيها عام ثمان و ستين، ينظر ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 6 / 96 ؛ العسقلاني ، الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر (ت 852هـ) ، تهذيب التهذيب ، تحقيق ، صدقي جميل العطار ، دار الفكر، (بيروت – 1415 / 1995 م) ، 3 / 214 .

(140) ابو عيسى محمد بن عيسى(ت297هـ)،سنن الترمذي (الجامع الصحيح)،دار احياء التراث العربي،(بيروت-1422هـ/2001م)،ص982 .

(141) سلمان الفارسي ، يكنى ابا عبد الله ، اسلم عند قدوم النبي المدينة و كان قبل ذل يقرأ الكتب و يطلب الدين كان عبداً لقوم من بني قريظة فكاتبهم ، فاعتقه رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واسلم و كانت اول مشاهدة له غزوة الخندق ، و كان ينزل الكوفة و توفي في المدائن في خلافة عثمان ، ينظر في ترجمة ، ابن سعد ، الطبقات ، 95/6 .

(142) المستدرك ، ص346 ، حديث 4720 ، الهيثمي ، الحافظ علي بن ابي بكر (ت807هـ) ، مجمع الزوائد و منبع الفوائد ، تحقيق عبد الله محمد الدروشي ، (بيروت - 1414هـ/ 1994م) ، 9 / 124 .

(143) الشعراء / 214 .

فـامر النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) عليـا (عليـه السـلام) باعـداد مأدبـة طعـام خاصة،ليجتمع ال عبد المطلب فيبلغهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) برسالته ، و في اليوم الاول تعذر عليه ذلك بسبب ضجيج ابي لهب و لغطه ، ثم عاد عليهم ذلك في اليوم التالي ، و بعد فراغهم من الطعام ، بدأ كلامه بحمد الله تعالى و انتهى منه و لم ينهض احد لتلبية ندائه و الايمان برسالته السماوية الى علي بن ابي طالب ، حيث قام و صرح بذلك ، فاجلسه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، و تكرر هذا الموقف في المرة الثانية و الثالثة ، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للامام علي (عليه السلام): ((اجلس فانت اخي و وصيي و خليفتي من بعدي))[144] .

و ذكر ابن الاثير (630هـ/1232م) هذه الحادثة التاريخية و تضمنت نهاية حديثه قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) للامام علي (عليه السلام) :

((ان هذا اخي و وصيي و خليفتي فيكم فاسمعوا له و اطيعيوا ، فقام القوم يضحكون و يقولون لابي طالب ، قد امرك ان تسمع لابنك و تطيع))[145] .

واشار بعض المؤرخين و الباحثين الى ان الإِمام علي (عليه السلام) لم يشرك بالله مطلقاً، و كان من بين هؤلاء المؤرخين ، المقريزي (ت 845هـ/1441م) ، الذي ارجع السبب في ذلك هو رعاية الله سبحانه و تعالى للامام علي (عليه السلام) بان جعله في كفالة ابن عمه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ الطفولة ، و عندما جاء الإِسلام فلم يحتج ان يُدعى ، لانه لم يكن مشركاً حتى يوحد[146] .

---

(144) نقل هذه الحادثة بطرق مختلفة كل من : ابن حنبل ، احمد (ت241هـ) ، المسند ، دار الكتب العلمية، (بيروت- 1413/ 1993)،1 /138،الطبري ، تاريخ،321/2، الكنجي ، ابو عبد الله محمد بن يوسف(قتل 658هـ) كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، ط3 (بيروت - 1403هـ)، ص205- 207 ، باب 15 ؛ الحلبي، علي بن برهان (ت975هـ)، السيرة الحلبية في سيرة الامين و المأمون، دار المعرفة ، (بيروت -1400/1980م)، 460/1، 461، البلخي، سليمان بن ابراهيم الحسيني القندوزي (ت1270هـ)، ينابيع المودة، تحقيق علاء الدين الاعلمي، (بيروت - 1418هـ/ 1997م) ، ص132 ، باب 31 .

(145) عز الدين (ت630هـ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، ط4 (بيروت 1424 /2003م) ، 2 / 586 .

(146) ينظر ، المقريزي ، تقي الدين بن علي (ت 845هـ) ، امتاع الاسماع بما للنبي (صلى الله عليه وسلم) من الاموال و الاحوال و الحفدة و المتاع ، تحقيق محمد عبد الحسين النميسي ، دار الكتب العلمية (بيروت – 1420/ 1999م) ، 1 /33 ، 34 ، الاميني ، عبد الحسين احمد ، الغدير في الكتاب و السنة و الادب ، مؤسسة الاعلمي ، (بيروت – 1414هـ / 1994م) ، 295/3 ؛ و اورد

و قال العقاد : ((و كاد علي ان يولد مسلماً ، بل لقد ولد مسلماً على التحقيق اذا نظرنا للى ميلاد العقيدة و الروح ، لانه فتح عينيه على الإِسلام ، و لم يعرف قط عبادة الاصنام، فهو قد تربى في البيت الذي خرجت منه الدعوة الإِسلامية ، و عرف العبادة من صلاة النبي))[147] .

وذكر الخطيب بان الإِمام علي (عليه السلام) قد ولد مسلماً على الفطرة ، اذ انه تربى منذ طفولته في بيت النبوة التي عصمت كل من كان في هذا البيت من شرك الجاهلية و ضلالتها[148] .

وبمهنية المؤرخ يدلو (جورج جرداق) المسيحي بدلوه ليشير الى ان الإِمام علي (عليه السلام) قد وُلد مسلماً ، لانه من معدن الرسول محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- مولداً و نشأة ، ومن ذاته خُلقاً و فطرة ، ثم ان الظرف الذي اعلن فيه عما يكمن في كيانه من روح الإِسلام و من حقيقته ، لم يكن شيئاً من ظروف الاخرين . و لم يرتبط بموجبات العمر ، لان اسلام علي كان اعمق من ضرورة الارتباط بالظروف اذ كان جارياً من روحه كما تجري الاشياء من معادنها و المياه من منابعها[149] .

الاميني مئة حديث اثبت فيه ان الإِ مام علي (عليه السلام) اول من اسلم ، ينظر ، الغدير ، 2/ 273-292 .

(147) عباس محمود ، عبقرية الإِمام علي ، (بيروت – د.ت) ، ص39 .

(148) ينظر، عبد الكريم ، علي بن ابي طالب بقية النبوة و خاتم الخلافة ، (بيروت – د.ت)، ص100.

(149)ينظر ، الإِمام علي صوت العدالة الانسانية ، (البحرين – 1423هـ / 2003م)، ص60- 61 .

((المبحث الثاني))

زواج الإِمام علي (عليه السلام)

من الجوانب الاخرى التي اهتم بها بعض المستشرقين اهتماماً جانبياً هو موضوع زواج الإِمام علي (عليه السلام) من السيدة فاطمة (عليها السلام) بنت النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، و كان المستشرق الفرنسي (اميل درمنغهم) من بين اولئك المستشرقين ، فقد ذكر بان قبول السيدة فاطمة (عليها السلام) بالزواج من الإِمام علي (عليه السلام) كان نتيجة لحيائها من والدها (صلى الله عليه وآله وسلم) و لم يكن لقناعتها بالموضوع ، و اضاف بان السيدة فاطمة (عليها السلام) كانت تعدُّ علياً : ((فقيراً رميماً محدود الذهن مع عظيم شجاعة و ما كان علي اكثر رغبة فيها من رغبتها فيه مع ذلك))[150] .

وتطرق (درمنغهم) الى وصف وقائع الزواج و مستلزمات الاعداد له ، و ذكر ان الإِمام علي (عليه السلام) جمع ثلاثة ارباع تكاليف الزواج من بيع بعض مذخراته ، و ان جهاز فاطمة (عليها السلام) يقدر (400) درهم ، و كان صداقها درع الإِمام علي (عليه السلام) الذي غنمه في معركة بدر الكبرى .

وزعم (درمنغهم) بان الحياة الزوجية للامام علي (عليه السلام) مع السيدة فاطمة (عليها السلام) كانت حياة بؤس منذ اليوم الاول و كانا من الفقر ما خلا معه منزلهما من الفراش واستمرا على هذا الحال الى ان نالا بعض الثراء من الغنائم التي اصابها المسلمون في انتصاراتهم الكبرى[151] .

وتابع (درمنغهم) الوصف بان امور منزل الزوجين (عليهما السلام) المتعبة قد انهكت السيدة فاطمة (عليها السلام) مما دفعها ان تسأل اباها (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً ان يهديها رقيقاً ليعاونها في امور البيت ، فاشار (صلى الله عليه وآله وسلم) عليها بان تتلوا عند منامها دعاءً خاصاً ، في الوقت الذي كان فيه علي بن ابي طالب (عليه السلام) يعمل

---

(150) ينظر ، حياة محمد ، ص227 .

(151) حياة محمد ، ص229 .

في سقي النخيل لاحد اليهود مقابل حفنة تمر ، فاذا ما عاد قال لزوجته (عابساً : كلي و اطعمي الاولاد)[152] .

وبعد كل مشكلة كانت تحدث بينهما (عليهما السلام) يذهب لينام في المسجد بدلاً من ان يواجه مصاعبه ، و كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يعظه و يحاول ان يوفق بينه و بين فاطمة الى حين ، و حدث ذات يوم ، و الحديث لـ (درمنغهم) ، ان رأى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ابنته فاطمة (عليها السلام) في بيته وهي تبكي بسبب ضرب الإِمام علي (عليه السلام) لها[153] .

ويعرج (درمنغهم) على ذكر العلاقة التي كانت بين النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و الإِمام علي (عليه السلام) ، بالقول : ((كان محمداً مع امتداحه قِدَمْ علي في الإِسلام ارضاءً لابنته ، كان قليل الالتفات اليه ، لما كان من مداراة صهريه الامويين عثمان المختار و ابي العاص له اكثر من علي ، و كان علي يتألم من عدم عمل النبي على سعادة ابنته ومن عد النبي اياه قاصراً ، فالنبي و ان كان يفوض اليه ضرب الرقاب كان يتجنب تسليم قيادة له و لما اراد علي ان يتزوج على ضُرِّ غضب النبي و احتج على ذلك جهراً فوق المنبر ، و قد حقد علي على حميه لانه لم يأذن له في الزواج بأخرى كما صنع مع صهريه الاخرين))[154] .

ان ما ذكره (درمنغهم) فيما يتعلق بالعلاقة بين الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و الإِمام علي (عليه السلام) من جانب ، و العلاقة الزوجية للامام علي (عليه السلام) مع فاطمة (عليها السلام) من جانب اخر ، كان بعيدا عن الحقائق التاريخية ، فلو تابعنا بعض الاحاديث النبوية التي خصت هذا الشأن تبين لنا خلاف ما ذكره او اعتقد به المستشرق (درمنغهم) .

فقد ورد عن ابن عباس (رض) ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال بحق الإِمام علي (عليه السلام) : ((من اراد ان ينظر الى ابراهيم في حلمه ، و الى نوح في حكمه ، و الى يوسف في جماله ، فلينظر الى علي بن ابي طالب))[155] .

---

(152) حياة محمد ، ص229

(153) ينظر، حياة محمد ، ص229 .

(154) حياة محمد ، ص230.

(155) الطبري ، محب الدين (ت694 هـ) ، الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة ، (القاهرة – 1372هـ / 1953م) ، 290/2 .

وعن ابي ذر[156] (ت 32هـ) ، قال :

((اخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيد علي بن ابي طالب و قال : هذا اول من آمن بي ، و آول من يصافحني يوم القيامة ، و هذا الصديق الاكبر ، و هذا فاروق هذه الامة، وهذا يعسوب المؤمنين ، و المال يعسوب الظالمين))[157] .

و يمكن الاستدلال على عدم دقة كلام المستشرق (درمنغهم) المزعوم بخصوص تجنب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) تسليمالإ ِمام علي (عليه السلام) أية قيادة سوى تفويضه ضرب الرقاب ، من خلال ما ورد في بعض مصادرنا التاريخية بشأن معركة خيبر ، حيث تمنى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ان يكون قائداً للمقاتلين ، و ذلك حينما قال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((لا عطين الراية غداً رجلاً يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله ، ليس بفرّار ، يفتح الله على يديه))، فتمنى كل واحد من الصحابة ان يعطية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الراية ، و قال عمر بن الخطاب ، في وقت لاحق ، ما تمنيت الاماره الا تلك الليلة[158] .

و في صباح اليوم التالي دعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأصغر اصحابه و هو علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، وكان ارمد العينين ، انذاك ، فبسق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهما فبرأتا باذن الله ، ثم ناوله الراية ففتح الله عليه[159], ويذكر ان الإ ِمام

---

(156) ابو ذر الغفاري ، هو جندب بن جنادة ، خامس من اسلم و اول من حيّا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بتحية الإ ِسلام ، هاجر بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الشام ثم عاد الى المدينة بعد وفاة الخليفة عمر الخطاب (رض) ، و كان يدعوا الى مشاركة الفقراء للاغنياء في اموالهم ، ففاه الخليفة عثمان (رض) الى الربذة و هي قرية تابعة للمدينة ، في الصحراء ، وسكنها الى ان مات فيها ، ينظر ، الزكلي ، الاعلام ، 22/ 140 .

(157) الطبراني ، ابو قاسم سليمان بن احمد (ت 360هـ) ، المعجم الكبير ، تحقيق ، حمدي عبد المجيد، ط2 (الموصل – 1410هـ / 1990م) ، 6 / 229 .

(158) ينظر ، الواقدي ، محمد بن عمر (ت 207هـ) ، المغازي ، تحقيق مارسدن جونسن ، ط2 (قم – 1418هـ) ، 2/ 653 .

(159) ينظر ، الواقدي ، المغازي ، 2/ 654 ؛ ابو نعيم ، احمد بن عبد الله الاصبهاني (ت 430هـ) ، حلية الاولياء و طبقات الاصفياء ، ط3 (بيروت 1400 هـ/ 1980م) ، 1/ 62 ، 63 ؛ الغفار ، عبد

علي (عليه السلام) قد شهد كل غزوات الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان الفتح على يديه عدا غزوة تبوك (9هـ/630م) ، علماً ان هذه الغزوة كانت مدنية و لم يستخدم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها السيف .

وفيما يتعلق بزواج الإِمام علي (عليه السلام) من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ورداً على ما ذكره (درمنغهم) نذكر ما رواه الكنجي (قتل 658هـ) عن أنس ابن مالك (رض) (ت 93هـ) قوله :

((قال : يا أنس تدري ما جاءني به جبرائيل من صاحب العرش ؟ قلت : الله و رسوله اعلم بأبي و امي ما جاءبه جبرائيل ، قال ان الله امرني ان أزوج فاطمة علياً : انطلق فادع لي المهاجرين و الانصار ، قال فدعوتهم فلما اخذوا مقاعدهم قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) : الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرغوب اليه فيما عنده ، المرهوب عذابه ، .. ، ثم ان الله تعالى جعل المصاهرة نسباً و صهراً ، فامر الله يجري الى قضائه ، وقضاؤه يجري الى قدرة ، فلكل قدر اجل ولكل اجل كتاب (يمحوا الله ما يشاء و يثبت وعنده ام الكتاب)[160] ، ثم ان الله امرني ان ازوج فاطمة لعلي، فاشهدكم اني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة ان رضى بذلك علي))[161].

و كان الإِمام علي (عليه السلام) غائباً قد سبقه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حاجته، ويشير الكنجي الى ان السيدة فاطمة (عليها السلام) كانت تفخر على النساء لان اول من خطب عليها جبرائيل (عليه السلام)[162] .

وما ذكره المستشرق (درمنغهم) من الوصف للعلاقة الزوجية بين الإِمام علي والسيدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام) ، لم يكن دقيقاً ، فعند الرجوع لمصادر التاريخ الإِسلامي و بعض المراجع نجد في احداها ما يؤيد قولنا . فقد ورد قولاً للامام علي (عليه السلام) بين فيه ان الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) و بعد ان زوجه فاطمة (عليها السلام) ، قال لها : ((يابنية ان الله عز وجل اطلع الى الارض اطلاعه فاختار من اهلها رجلين : فجعل احدهما اباك و الاخر بعلك ، يابنية ، نعم الزوج زوجك لا تعصي له امراً)) .

الرسول (الدكتور) ، الخبر اليقين في السيرة امير المؤمنين (عليه السلام) ، (النجف – 1417هـ)، ص9- 10 .

(160) الرعد / 39 .

(161) كفاية الطالب ، ص298 – 301 ، باب 78 ،80 .

(162) كفاية الطالب ، ص301 ، باب 80 .

وقال الإِمام علي (عليه السلام) : ((ثم صاح بي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): يا علي ، فقلت لبيك يا رسول الله ، قال : ادخل بيتك ، و ألطف بزوجتك ، وارفق بها فان فاطمة بضعة مني ، يؤلمني ما يؤلمها و يسرني ما يسرها ، استودعكما الله و استخلفه عليكما))[163] .

ثم اضاف الإِمام علي (عليه السلام) بعد ذلك قائلاً :

((فو الله ما اغضبتها و لا اكرهتها على امر حتى قبضها الله عز وجل و لا اغضبتني ولا عصت لي امراً و لقد كنت انظر اليها فتنكشف عني الهموم و الاحزان))[164] .

ومن الشبهات التي اثارها المستشرق (درمنغهم) حول العلاقة الزوجية بين الإِمام علي والسيدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام) ، هو محاولة الإِمام علي (عليه السلام) المزعومة في الزواج من جويرية بنت ابي جهل[165]، و جاءت هذه القصة طبقاً لرواية مسور بن مخرمة[166].

وقد اثبت احد الباحثين بالادلة المقنعة بان هذه الرواية موضوعة[167] ، تضاف الى جملة روايات اخرى لوثت بعض مروياتنا الإِسلامية ، الهدف منها تشويه سيرة الإِمام علي والسيدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام) .

ويضيف هذا الباحث القول بانه من الطبيعي جداً ان يحصل شيء ما يكدر صفو ما بين اعز الاصدقاء او بين أي زوجين ، و لكن لا يمكن تصور ذلك من وجهة نظر العقيدة للشيعية بحق الإِمام علي والسيدة فاطمة (عليهما السلام) ، اذ ان لهما مقام العصمة

---

(163) المجلسي ، محمد باقر (ت 1111هـ) ، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار ، مؤسسة الوفاء ، ط2 (بيروت – 1403هـ / 1983م) ، 43/ 133 ، 134 .

(164) المجلسي ، بحار الانوار ، 134/43 .

(165) للاطلاع على هذه الرواية ينظر ، البخاري ، الصحيح ، 3/ 1364 حديث 3523 .

(166) بن نوفل القريشي الزهري ، روى عن الخلفاء الراشدين (رض) و غيرهم من الصحابة (رض) ، اشترك مع ابن الزبير في الثورة ضد الامويين ، فاصابه حجر من حجارة المنجنيق في حصار مكة عام (64هـ) ، مات على اثره ، ينظر في ترجمة ، العسقلاني ، ابن حجر احمد بن علي (ت 852هـ) ، الاصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – د. ت) ، 3/ 319 ، 400 ، الزركلي ، الاعلام 75 / 225 .

(167) مشهدي ، جعفر ، حياة السيدة فاطمة الزهراء ، ترجمة رياض الاخرس ، (بيروت – 1422 / 2002)، ص110- 112 .

ومنزلتها ، وما ينسب لهما من اختلاف يستدعي تدخل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهما لا يتناغم و لا يتفق مع تلك المنزلة و المقام[168] .

واشار باحث اخر الى ان ما ذكر من اقدام علي (عليه السلام) بان يخطب بنت ابي جهل، عدو الله المعلن بكفره ، وعنده فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فانه حديث مفتعل و موضوع ، ارادوا بذلك الحط من منزلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[169] .

اما المستشرق الامريكي (ارفنج)فقد تطرق الى زواج الإِمام علي (عليه السلام) من السيدة فاطمة (عليها السلام) بالقول :

((تم زواج فاطمة ، البنت الصغرى للرسول ، من المؤمن الصالح علي بن ابي طالب وكانت فاطمة في الخامسة عشرة او السادسة عشرة من عمرها ، على جانب كبير من الجمال، و يذكر المؤرخون العرب انها واحدة من اربع نساء باركهن الله . (آسيا زوجة فرعون التي انقذت موسى و مريم ام عيسى ، و خديجة زوجة محمد ، و فاطمة ابنة محمد))[170] .

وواصل (ارفنج) و صف مراسيم الزواج ، فذكر بان السماء و الارض قد شاركتا في الاحتفال بهاتين الزيجتين المباركتين ، وازدانت المدينة بالانوار ومظاهر الابتهاج و في ليلة الزفاف صحب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ابنته الى بيت زوجها ، و ارسلت السماء ملائكة للمشاركة في الاحتفال ، فوقف جبرئيل (عليه السلام) عن يمينها و ميخائيل (عليه السلام) عن شمالها ، و تابع (ارفنج) التفصيل في نوع الطعام الذي قدم للمدعويين و فراش الزوجين و غيرها من الامور ، و ختم كلامه بوصف هذا الزواج بانه كان يتفق مع بساطة البيت العربي[171] .

و حاول مستشرق آخر ان يجعل من شجاعة الإِمام علي –عليه السلام- وايمانه وتفانيه في الدفاع عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) السبب في موافقته على زواج الإِمام علي (عليه السلام) من ابنته فاطمة (عليها السلام) التي عدها هذا المستشرق بانها

---

(168) ينظر ، مشهدي ، حياة السيدة فاطمة ، ص108 .

(169) معاش ، كمال (الشيخ) ، فاطمة بين النبوة و الإِمامة ، (بيروت – 1424هـ / 2003م) ، ص120.

(170) محمد و خلفاؤه ، ص133 .

(171) ينظر ، محمد و خلفاؤه ، ص134 .

واحدة من اربعة نساء في العالم لا يباريهن احد بالتقوى و هن امرأة فرعون و مريم العذراء العذراء و خديجة الكبرى و فاطمة الزهراء (رضي الله عنهن)[172] .

و ركز المستشرق الانكليزي (شترن Stern) على مهر السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) و ذكر في بداية حديثه بانه ليس من السهل الوصول الى رأي مقنع حول المهر الذي دفعه علي -عليه السلام- لفاطمة (عليها السلام) على الرغم من وجود احاديث اشارت الى هذا الموضوع لكن هذه الاحاديث ذات اختلافات كثيرة بسبب التحيزات السياسية و الدينية لاولئك الذين نقلوا تلك الاحاديث ، و يذكر احد الاحاديث ان عليا (عليه السلام) باع جملاً بمبلغ (480) درهماً و استغل هذا المبلغ كمهر لفاطمة ، و قام باتباع تعليمات النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في صرف المبلغ ، حيث انفق ثلثي المبلغ لشراء عطور و الثلث الباقي لشراء التجهيزات المنزلية او الملابس ، و اورد شترن رواية اخرى عن عكرمة بن ابي جهل[173] حدد فيها المهر بـ (4) دراهم و هو ثمن درع الإمام علي (عليه السلام) ، و تابع (شترن) عرض روايات اخرى ليصل في نهاية نقاشه لهذه

---

(172) بون ، جان ديون ، الاعتذار محمد و القرآن ، ترجمة عباس الخليلي ، مطبعة الاقبال ، 1375هـ ، ص42 .

(173) عكرمة بن ابي جهل (ت13هـ) ، هو ابو عثمان عكرمة بن ابي جهل عمرو بن هشام القرشي ، كان ابوه يكنى بالجاهلية أبا الحكم فكناه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابا جهل ، و كان عكرمة و ابوه من اشد الناس عداوة للاسلام ، فقتل ابوه يوم بدر كافراً ، اما عكرمة فقد اسلم بعد الفتح بقليل ، و لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس الا اربعة كان عكرمة احدهم ، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اقتلوهم و ان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة ، فاضطر الى الهروب عن طريق البحر . و تعرضت السفينة التي يستقلها الى عاصفة ، فقال اصحاب السفينة للركاب اخلصوا فان الهتكم لا تغني عنكم شيئاً ، حينها قرر عكرمة الدخول في الإسلام و الاعتذار من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حال نجاته من المأزق الذي حاق به ، و لكن ذلك لم يتم الا بعد ان وصل اليمن و لحقت به زوجته بعد ان حصلت على الامان له من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و جاءت به و اسلم و حسن اسلامه و استعمله النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على صدقات هوازن عام حجة الوداع ، وشارك في المعارك ضد اهل الردة في زمن الخليفة ابو بكر (رض)، وقتل في اجنادين عام (13هـ) ، ينظر في ترجمة كل من ، النووي ، ابو زكريا محي الدين (ت676هـ) ، تذهيب الاسماء و اللغات ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت)؛ 1/ 338 ، المزي ، جمال الدين ابو الحجاج يوسف، تذهيب الكمال في اسماء الرجال ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، (بيروت - 1422 هـ/ 2002م) ، 20 / 247 ، الزركلي، الاعلام ، 4 / 244 .

المسألة الى القول : ((وبناءً على هذه المعلومات المضطربة ، يحتمل ان مهر فاطمة كان اكثر من (4) دراهم و لكن اقل بكثير من (480) درهم))[174].

اما المستشرق الانكليزي (وليم ميور William Muir)فقد تطرق الى زواج الإِمام علي -عليه السلام- من السيدة فاطمة (عليها السلام) فيذكر انها ، عندما بلغت السابعة عشر من عمرها زوجها ابوها (صلى الله عليه وآله وسلم) من الإِمام علي بن ابي طالب الذي كان عمره انذاك خمسة و عشرين عاماً ، ونلجبت له خلال سنة الإِمام الحسن (عليه السلام) و بعد ذلك بسنة انجبت الإِمام الحسين (عليه السلام) ، الذين قال عنهما (ميور) بانهما من الشخصيات المشهورة في الإِسلام و ذكر (ميور) بان السلالة المحمدية قد دامت من خلال فاطمة (عليها السلام)[175] .

وكان المستشرق الفرنسي (الفريد جيوم A. Guillaume) قد خص موضوع زواج الإِمام علي (عليه السلام) من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بقوله : ((وتزوجت فاطمة علياً ، و تزوجت ام كلثوم عتبة ، و اهم هذه الزيجات هو زواج فاطمة بعلي . اذ ان احفاد الرسول من هذا الفرع يبجلون بصفة خاصة ، كما ان الشيعة ينظرون الى سلالة علي و فاطمة على انهم الورثة الحقيقيون للخلافة ، بما يستتبعه هذا المنصب من ميزات دينية و دنيوية))[176] .

---

(1)Gertrude,H.Stern,Marriage in Early Islam,London . W.I , 1934 , P.47 ,49 , 89 .

(2)Sir William Muir , Muhomet and Islam , The Religious Tract Society , 56 Pateenoster , 63 sr , Paul's Cruecryasd , P. 87 , 89 , 103.

(176) الإِسلام ، ترجمة محمد مصطفى ، (القاهرة – 1958) ، ص28 .

((المبحث الثالث))

الإمام علي (عليه السلام) وجمع القرآن

هناك جانب آخر قدذكره بعض المستشرقين يتعلق بدور الإ ِمام علي (عليه السلام) في مسألة جمع القرآن وترتيبه ، فقد اشار المستشرق (غوستاف لوبون) الى ان القرآن لم يجمع نهائياً الا بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، و حاول توضيح ذلك بقوله: ((وبيان الامر ان محمداً كان يتلقى في حياتة عدة نصوص عن الامر الواحد ، فلما انقضت عدة سنين على وفاته حمل خليفته الرابع علي على قبول نص نهائي للقرآن مقابلاً ما جمعه اصحاب الرسول))[177].

واشار المستشرق الانكليزي (دونلدسن D.M.Donaldson) الى موضوع يتعلق بجمع القرآن و هو انه كان عندالإ ِمام علي (عليه السلام) نسخة من القرآن ، جمعها و رتبها بنفسه وعلق عليها بعض الحواشي ، و هذه الحواشي التي على نسخته هي كما يعتقد (دونلدسن) كل ((ما ادعاه علي)) مما اوصى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) و لم يكن عنده غيرها ، و كانت حقيقة هذه الصحيفة التي كان الإ ِمام علي (عليه السلام) يراجعها تاثيراً على اعتقاد الشيعة بوجود كتاب سري يسمونه (الجفر) .

ويناقش (دونلدسن) موضوع كتاب (الجفر)[178] بقوله : ((اذا كان عُمْرُ علي بين العشرة والخامسة عشرة عند آول اسلامه و انه كان يعرف الكتابة كما تذكر الروايات ، فليس ببعيد الاحتمال ان يكون عنده قرآن علق حواشيه بما حدثه به الرسول . و ان ما جاء في هذه الحواشي قد بينته الروايات بصورة عامة ، فهي عبارة عن بعض تفاصيل للاحكام

---

(177) حضارة العرب ، ص117 .

(178) الجفر : هو عبارة عن العلم الاجمالي بلوح القضاء و القدر ، المحتوي على كل ما كان و ما يكون كلياً و جزئياً ، و هو علم توارثه اهل البيت (عليهم السلام) و من ينتمي اليهم ، و كانوا يكتمونه عن غيرهم كل الكتمان ، و يذكر ان هذا الكتاب لا يقف على حقيقته الا المهدي المنتظر (عجل الله فرجه) ، لغرض معرفة اكثر بهذا الموضوع ، ينظر ، طاش كبري زاده ، احمد بن مصطفى (ت968هـ) ، مفتاح السعادة و مصباح السيادة في موضوعات العلوم ، دار الكتب العلمية ، ط2 (بيروت – 1422/ 2002م)، 2/ 550 ؛ العاملي ، محسن الامين ، اعيان الشيعة ، (بيروت – 1960) ، 1 / 24هـ. مغنية ، محمد جواد ، الشيعة في الميزان ، دار التعارف ، (بيروت – د.ت) ، ص56 .

و غيرها لا غموض او سر فيها و لا علاقة لها بما يدعيه الشيعة من الادعاءات المرتبة في الازمنة المتأخرة عن كتابة الجفر))[179] .

ومن الروايات المتأخرة التي نقلها (دونلدسن) ما ذكره الكليني (ت 329/328هـ) من ان ((النبي (صلى الله عليه وسلم) علم علياً باباً يفتح له منه الف باب)) و ان طول هذه الصحيفة ، و هي بخط الإِمام علي (عليه السلام) ، سبعون ذراعاً بذراع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) و فيها توضيح كل ما هو حلال و حرام و كل شيء يحتاجه الانسان[180] .

وحاول المجري (جولد تسيهر IGNAZ Goldziher) ان يقف موقفاً مناقضاً لما ذكره (غوستاف لوبون) حيث قال : ((و بناءاً على حديث صنعه الشيعة ، رتب علي القرآن على سبع مجموعات)) وعلى رأس هذه المجموعات سورة البقرة ، و المجموعات هي[181].

1 ـ سورة البقرة 2 ـ سورة آل عمران 3 ـ سورة النساء 4 ـ سورة المائدة 5 ـ سورة الأنعام 6 ـ سورة الأعراف 7 ـ سورة الانفال

و تطرق المستشرق (كونسلمان) الى الموضوع نفسه بقوله : ((و يروى ان ((علياً)) قام بترتيب بيت النبي (صلى الله عليه وسلم) مباشرة بعد موت النبي المفاجئ فقد كانت ورقات من القرآن مبعثرة على الموائد و الرفوف . و قد احسن علي بانه مسؤول عن ترتيب و تامين هذه الاوراق))[182].

وللامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) أثرٌ في جمع القرآن لم يغفاه علماء الحديث والتاريخ الإِسلامي ، فهو الذي كتب القرآن و خطه بيده ودوّن آياته على عهد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و بأشرافه و هو الذي اختاره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كاتباً له ، و كان يتلو عليه الآية بعد الآية و يكرر قراءتها و يسأله علي (عليه

---

(179) دوايت م. دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ترجمة ، ع . م ، مكتبة السعادة ،(مصر – د. ت) ، الصفحات ، 63 ، 64 ، 65 .

(180) دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص65 .

(181) اجنس ، جولد تسهر ، مذاهب التفسير الإِسلامي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، 1374هـ / 1955م) ، ص296- 297 .

(182) سطوع نجم الشيعة ، ص15 .

السلام) عن مؤداها و سبب نزولها واين نزلت[183]. و قال الإِمام علي (عليه السلام) بعد ذلك : ((ما من آية الا و قد علمت فيمن نزلت و اين نزلت في سهل او جبل وان بين جوانحي لعلما جما سلوني قبل ان تفقدوني فانكم ان تفقدوني لم تجدوا من يحدثكم مثل حديثي))[184] .

وذكر ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) بسنده عن عبد الرحمن بن بشر الانصاري قال: كنا جلوساً مع النبي (صلى الله عليه وسلم) اذ قال : ((ليضربنكم رجل على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله ، فقال ابو بكر : انا هو يا رسول الله ، قال : لا ، فقال عمر: انا هو يا رسول الله ، قال : لا و لكن خاصف النعل ، فانطلقنا فاذا علي يخصف نعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حجرة عائشة فبشرناه))[185].

وهناك اختلاف و اضح في مصادرنا الإِسلامية حول من جمع القرآن ، مما جعل بعض الباحثين المحدثين يتقصى هذا الموضوع اعتماداً على أدلة مادية بالرجوع الى النصوص الاصلية او الحكم على ذلك بالادلة العقلية .

فقد اشار القمي الى النصوص الدالة على ان اول من جمع القرآن هو الإِمام علي (عليه السلام) ، اعتماداً على ما ورد من رواية جاء فيها : ((ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي : يا علي ، القرآن خلف فراشي في المصحف و الحرير و القراطيس،فخذوه واجمعوه و لا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة ، فانطلق علي فجمعه في ثوب اصفر ، ثم ختم عليه في بيته ، و قال : لا ارتدي حتى اجمعه ، فانه كان الرجل لياتيه فيخرج اليه بغير رداء حتى جمعه))[186] .

و روى المتقي الهندي عن ابن سيرين[187] (ت 110هـ) قال :

---

(183)ينظر ، الساعدي ، نعمة هادي ، الإِمام علي و مدرسة القران ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ، ج2 / ص19 .

(184) الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت 413هـ) ، الامالي المطبعة الحيدرية ، ط3 (النجف - 1380 هـ/ 1916م) ، ص98 .

(185) الاصابة في تمييز الصحابة ، ج2 / 392 .

(186) تفسير القمي ، ج2 / 455 عند تفسيره لسورة الناس .

(187) هو محمد بن سيرين البصري ، الانصاري بالولاء ، تابعي ، ولادته ووفاته في البصرة ، روى الحديث واشتهر بالورع وتفسير الرؤيا له كتاب ينسب له بعنوان (تعبير الرؤيا) واخر عنوانه (منتخب الكلام في تفسير الاحلام) ، وينسب له ايضا ، ينظر في ترجمته ، الزركلي ، الاعلام ، 154/6 .

((لما توفي النبي (صلى الله عليه وسلم) اقسم علي ان لا يرتدي برداء الا الجمعة ، حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل))[188].

و حدد احد الباحثين اربعة معان لكلمة الجمع ، الاول هو الحفظ في الصدور ، و الثاني هو جمع القرآن بمعنى الكتابة و الثالث بمعنى الحفظ مكتوباً خشية الضياع اما المعنى الرابع فهو الجمع ضمن مصحف واحد . و قد اختلف الباحثون في ذلك ، فيرى اغلب علماء الجمهور ان هذا الجمع قد تم عهد الخلفاء الراشدين ، مع اختلاف بينهم في تحديد الخليفة الذي تم الجمع في عهده ، اعتماد على عدد من النصوص التي رووها في مصادرهم .

وخلص هذا الباحث الى القول : (ويبدو من مجموعة النصوص ان توحيد المصاحف قد تحقق في عهد عثمان بن عفان بعد ان تعددت مصاحف الصحابة و تمايزت بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)))[189] .

وهذا ما دفع باحث آخر الى القول بان : ((كل هذه الامتيازات بما فيها ما اكده المستشرقون تتضمن تلويحاً خفياً ، بل تصريحاً جلياً بان القرآن قد مرت عليه عهود و عصور وهو بعد لم يدون ، و انما دون بعد ذلك اعتماداً على نصوص قد تكون ناقصة او ممزقة ، وعلى روايات شفوية قابلة للخطأ و السهو و النسيان ، للقول من وراء هذا بالتحريف، وهو ما نرفضه جملة وتفصيلا))[190].

ومن الجدير بالملاحظة والانتباه ما قاله المستر كربنكو الانكليزي الجنسية والاستاذ في احدى الجامعات الهنية بشأن كتاب نهج البلاغة الذي عده اخاً صغيراً للقرآن عندما اجتمع الاساتذة والادباء حوله في حفلة وسألوه عن اعجاز القرآن فاجابهم:((ان للقرآن اخاً صغيراً يسمى نهج البلاغة،فهل في امكان احد ان ياتي بمثل هذا الاخ الصغير،حتى يسوغ لنا البحث عن الاخر الكبير،وامكان ان ياتي احداً بمثله))[191].

---

(188) المتقي الهندي ، كنز العمال ، 13 / 56 .

(189) الحكيم ، رياض ، علوم القرآن دروس منهجية ، المركز الإسلامي المعاصر للدراسات و الترجمة والنشر، (بيروت – 1424هـ / 2004م) ، ص214- 219 .

(190) الصغير ، محمد حسين (الدكتور) ، تاريخ القرآن ، دار المؤرخ العربي ، (بيروت – 1420 / 1999م) ، ص84 .

(191) بيضون،لبيب (الدكتور)،الاعجاز العددي في القرآن،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،(بيروت-1425هـ/2005م).

((المبحث الرابع))

الصفات الشخصية للإمام علي (عليه السلام)

من الموضوعات المهمة التي اولاها المستشرقون عناية هو بيان صفات الإ ِمام علي (عليه السلام) و تقييم شخصيته ، فقد عبر المستشرق الفرنسي (هنري ماسيه) (Masse.H) عن ذلك بقوله : ((لقد كان دور علي و صفاته ، ولا يزالان ، موضع مناقشة . فالبعض [يعده] شجاعاً و البعض الاخر كرجل عادي جداً و على كل حال فان سياسته معتدلة كسياسة جميع افراد ذريته , و حبه للسلم قد اضاعه كما اضاع كثيرين من غيره فقد ترك ملكه ينتزع منه بسبب التشدد وعدم المهارة و لكن صفات الفارس المنزه عن الخوف و اللوم و المزاج المثالي الذي اسبغه التقليد عليه ، و الشقاء الذي أرهقه ـ بدون ان يضاف الى ذلك المآسي التي حاقت بذريته ـ ان كل هذا الامر قد ظفر له اكيل شهيد ـ و يجب ان لا نندهش من الإ ِسلام الشيعي الذي يعتبره قيساً ، بينما الصوفيون يحيطونه بحبهم و بعض الهراطقة يذهبون الى تأليهه))[192].

ان اهم ما يمكن تشخيصه من خلال كلام (ماسيه) حول الإ ِمام علي (عليه السلام) ، هو انه حاول انصاف الإ ِمام و كان ذلك و اضحاً في كثير من عبارته التي ساقها لنا ، و لكن هذا لا يمنع من وقوعه في بعض الاحكام المخطوءة التي تحسب عليه و كان من ابرزها وصفه للامام علي (عليه السلام) بعدم المهارة و ان حبه للسلم هو الذي اضاع منه ملكه ، و لا نستغرب هذا الوصف لان المستشرقين ينظرون الى الإ ِمام علي (عليه السلام) كأي فرد يكون معرضا للنقد ، هذا منجانب ، و من جانب اخر فان جنوح الإ ِمام علي - عليه السلام - للسلم كان بدافع الحفاظ على وحدة المسلمين ، في الوقت الذي كانت و حدة الإ ِسلام تمر بمرحلة حرجة من حياتها ، و لو كانت غاية الإ ِمام علي (عليه السلام) المُلك ما سكت عن حقه في الخلافة لغيره .

وحاول المستشرق (دونلدسن) الوقوف على بعض فضائل الإ ِمام علي (عليه السلام) ، فبصدد ذلك قال ((ولسوء الحظ انه لما صنفت كتب الحديث من الصحاح الستة او الكتب الشيعية الاربعة ، كان مركز علي في الأقاصيص الشيعية قد احاطت به هالة من الاساطير

---

(192) الإ ِسلام ، ترجمة بهيج شعبان ، (بيروت – 1960م) ص66 .

و لنأخذ مثلاً ما جاء من شجاعته في الحروب ، فيروى انه قتل في صفين (523) رجلاً في يوم واحد))[193] .

ويواصل (دونلدسن) حديثه عن الإِمام علي (عليه السلام) بقوله : ((لابد لنا ان نتهيأ لسماع روايات مبالغ فيها تختص بمزايا علي الاخرى)) ، و نقل لنا قول ابن حنبل (ت 241هـ) في حق الإِمام علي (عليه السلام) ، الذي قال فيه : ((لم ترد رواية بفضل احد من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقدر ما ورد في فضائل علي))[194] .

وذكر (دونلدسن) بان فضائل الإِمام علي (عليه السلام) كانت من الكثرة ما اثارت حسد بني امية و كرههم له ، اما امر اعتماد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه اعتماداً خاصاً فيعترف به الجميع ، و يروى ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما خرج الى غزوة تبوك ابقاه في المدينة و قال له : ((اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى))[195] .

وعلى كل حال والكلام (لدونلدسن) ، فان الإِمام علي (عليه السلام) اذا كلف ببعض الواجبات الادارية الخطيرة كانت اجوبته تفضح عن شعور الشباب و تردد التواضع. وساق (دونلدسن) مثالاً لذلك و هو حادثة بعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الإِمام علي (عليه السلام) ليكون قاضياً على اليمن ، وكيف ان الإِمام (عليه السلام) قد تردد في بداية الامر و لكن دعاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) له قد دفعه لتولي هذا الامر . و ذكر (دونلدسن) بأن عمر بن الخطاب نفسه كان يعد علياً اقضى اهل المدينة و اقرأهم للقرآن[196] .

واكد (دونلدسن) بالقول : (لم يكن ما بلغه علي في الاساطير من المنزلة السامية يرجع الى شجاعته في الحروب و لا لعلمه و لا لعقله و حكمته . فهو لا يقاس بالقديسين و له كرامات لا يتردد شيعته من مقارنتها بالمعجزات ... و قد رد الله له الشمس في الصهباء بعد ان غربت ليتمم صلاة العصر . ورد الإِمام (عليه السلام) في مسجد الكوفة يد عبد اسود قطعت بأمر منه حين يقتضيه الشرع للسارق ... و أحيا ميتاً ، وظهر بعد وفاته بقرون عديدة في المنام و مسح على عيون بعض الناصبيين فأعماهم))[197].

---

(193) عقيدة الشيعة ، ص61 .

(194) ينظر ، دونلدسن ، عقيدة الشيعة، ص61 .

(195) ينظر ، دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص62 .

(196) ينظر ، دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص62 .

(197) دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص67 .

وكانت اغرب حوادث تمجيد الإِمام علي (عليه السلام) في نظر (دونلدسن) هي قصة الاسراء و المعراج ، فبشأن ذلك قال :

((ان هذا الحادث هيأ لخيال الرواة مجالاً خصباً لا روع الوصف لما رآه النبي وسمعه. ومن الظلم الفاضح ان نعتبر هذه المبالغات اموراً اعتقادية ضرورية . و ان العلماء البارزين في مدرسة الإِسلام الحديثة لا يرون في المعراج الا رؤيا))[198] .

ولو قيمنا ما ذكره (دونلدسن) نجد ان ظاهرة الشك كانت هي السائدة في كتاباته المتعلقة بالإِمام علي (عليه السلام) او في بعض حوادث الإِسلام ، مثل حادثة الاسراء و المعراج التي حاول ان يصفها على انها مجرد رؤيا متأثراً باراء بعض العلماء المسلمين الذين لم يحدد اسماءهم . و من المحتمل ان (دونلدسن) اخذ برواية الرؤيا في الاسراء دون الجسد لانها اقرب الى عقيدته اذ ان غالبية المسلمين يعتقدون ان الاسراء بالروح و الجسد .

اما اهم الامور التي اصاب فيها (دونلدسن) ما ذكره من ان فضائل الإِمام علي (عليه السلام) كانت من الكثرة ما أثارت حسد بني امية و كرههم له .

وكان المستشرق الالماني (فلهوزن) قد وصف الإِمام علي (عليه السلام) بهذه العبارات: ((اما علي فقد كان لاصقاً به ان مصدر خلافته يرجع الى الثورة ، و لم يكن لديه لا الزمن الكافي و لا المقدرة على التغلب على هذا النقص بصفات شخصية ممتازة . و لم ينس اهل العراق انهم هم الذين رفعوه الى منصبه و كانوا ابعد عن روح النظام، اوهم كانوا اكثر تديناً من ان يطيعوا خليفتهم حيثما يوجههم))[199] .

ان التحليل المنطقي لما قاله (فلهوزن) يوضح بانه حاول ان يجعل من الإِمام علي (عليه السلام) السبب الرئيس في الثورة على الخليفة عثمان بن عفان (رض) ، وبذلك فهو يخالف الحقائق التاريخية التي وردت على لسان اغلب المؤرخين المسلمين او بعض

---

(198) عقيدة الشيعة، ص67- 68 ، لغرض الاطلاع على طبيعة بعض التناقضات التي دارت حول موضوع الاسراء و المعراج ، ينظر على سبيل المثال لا الحصر ، الشمري ، عباس وهب ، الاسراء و المعراج بين العقل و الوحي ، دار القارئ ، (بيروت – 1425هـ/ 2005م) ، ص59- 129 ؛ ينظر،قانصو، هنادي مشهور ، الاسراء و المعراج رحلة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى السموات و الارض ، تحقيق الشيخ محمود قانصو ، دار التيار الجديد ، (بيروت – 1423هـ/ 2002م) ، ص24.

(199) فلهوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة الإِسلامية من ظهور الإِسلام الى نهاية الدولة الاموية ، ترجمة الدكتور عبد الهادي ابو ريدة ، مراجعة حسين مؤنس ، لجنة التاليف و الترجمة و النشر ، (القاهرة – 1958م)، ص57 .

المستشرقين ، و التي اكدت بان السياسة التي اتبعها الخليفة عثمان (رض) و كانت من بين سماتها الاساسية هي محاباته لاقربائه الامويين و استأثارهم بالسلطة هي سبب النقمة عليه[200]، هذا من جانب و من جانب اخر فقد جرد (فلهوزن) الإِمام علي (عليه السلام) من الصفات الشخصية الممتازة و ذكر بان اهل العراق هم الذين أوصلوه الى الخلافة ، و الأنكى من ذلك فقد وصفهم بانهم كانوا على درجة من التدّين تفوقوا فيها على خليفتهم الذي حاول توجيهم حيثما شاء ، و كانما من اجل مصالحة الشخصية لا من اجل تطبيق مبادئ الإِسلام ، وكل ما قاله(فلهوزن) لا يمت الى الحقيقة بشيء و الدليل على ذلك ما جرى في معركة (صفين) التي سنحاول ايضاح احداثها في فصل لاحق من الاطروحة ، حيث نزل الإِمام (عليه السلام) فيها عند رغبة اهل العراق رغم قناعته بان مصلحة المسلمين تتجه نحو مواصلة الحرب و عدم اللجوء الى التحكيم .

اما المستشرقة الايطالية (فاغليري Veccia Vaglirei) فقد وصفت الأِمام علياً(عليه السلام) وصفاً يحمل صوراً واقعية فذكرت بان ليس هناك أي دليل يمكن من خلاله الحكم على ان الإِمام علي (عليه السلام) كان متطرفاً ، بل على العكس كان معادياً للسبأية، وهم اتباع عبد الله بن سبأ ، الذين رفعوا الإِمام علي (عليه السلام) فوق مستوى البشر، وحينها قامالإِمام (عليه السلام بالتخلص منهم ، واكدت (فاغليري) بأن الإِمام علي (عليه السلام) حاول ان يبقى بعيداً عن الثوار و مناصريهم الذين حاصروا بيت عثمان (رض) ، حالما سمحت اليه الظروف ان يقوم بذلك[201] .

واضافت (فاغليري) بان الإِمام علياً (عليه السلام) كانمتمسكاً بالإِسلام بشدة و حصل على ميزة السبق في الإِسلام وقدم خدمات للاسلام في ايامه المبكرة بالاضافة الى سمو مولده (عليه السلام) و مقدرته السياسية و الادارية ، و من خلال صراعه مع الحكومة كان يبغي تطبيق القرآن و اتباع سنة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) التي اهملت في رأيه ، و بهذه السياسة او بسبب هدفه بالدفاع عن حق البيت الهاشمي بالخلافة كان ملزماً بمعارضة المبدأ الذي يعطي هذا الحق الى كل قبيلة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و جعل قريش تقف ضده رغم انه منها .

---

(200) لمعرفة جانب من محاباة الخليفة عثمان (رض) لاقربائه ، ينظر ، الطبري ، تاريخ ، 4/ 348 ، و للالمام باسباب نقمة الناس على الخليفة عثمان ، ينظر ، الشيخ المفيد ، ابو عبد الله محمد بن النعمان العكبري (413هـ) ، الجمل - النصرة لسيد العترة في حرب البصره -، تحقيق علي مير، ط2 (قم – 1416هـ) ، ص175- 185.

(2)L.Veccia vaglieri , the Encyclopaeda of Islam New Editiom , V.1 , P. 382 .

وفي موضوع اخر نجد (فاغليري)قد نقلت قول لامنس حينما وصفت الإِمام علي (عليه السلام) بعبارات قاسية تستحق ان تهمل[202] .

وعادت (فاغليري) لتبين انه من الصعب تعريف شخصية الإِمام علي (عليه السلام)، لان الكاتب التاريخي لا يجد موجها مؤكداً في افعال و خطب او بيانات الإِمام التي تزودها الصادر ، و تصف (فاغليري) بان ادارة الإِمام علي (عليه السلام) كانت مشلولة او معدله وفقاً للأحداث او مقيدات انصاره ، و تبدو خطبه غامضة و ليس من السهل تمييز الاصلي من المزور ، و عزت (فاغليري) ذلك الى الصراعك التي اشترك فيها الإِمام علي (عليه السلام) ، واثارها التي كانت خالدة لقرون مما يجعل المصادر متحيزة و لذا تكون اقل مثالية ، او عدائية مما تم التاكيد عليه او قد تكون اكثر تحفظاً[203].

وحاولت (فاغليري) انتقاد غيرها من المستشرقين امثال الايطالي (كيتاني)[204] او (لامنس)[205] ، فقد قالت : ((يعتبر الحكم العدائي (للامنس) خاصة فيما يتعلق بفاطمة و معاوية الاول ، و الذي يصل اليه عن طريق انتزاع النصوص عنوة ، يعتبر حكماً مرفوضاً . بينما (كيتاني) الذي يعتبر اكثر اعتدالاً ، عندما يقوم بعرض نقاط ضعف علي ، يعطي اهمية لثقل الظروف عليه ، لكن حكمه يبقى يكتنفه الغموض ، بشكل عام . لم يوضح كل من (لامنس ، و لا كيتاني) تقوى علي (تدين علي) و انعكاساتها على سياسته))[206] .

وتسترسل (فاغليري) في كلامها عن الإِمام علي (عليه السلام) وتذكر ان هنالك الكثير من الملاحظات حول تقشفه (= austerity) و مراعاته الدقيقة جداً للطقوس الدينية (الشعائر الدينية) و انعزاله عن المتع الدنيوية (المنافع الدنيوية) ، و تردده فيما يخص الغنائم و الثار (الانتقام).

---

(1)L.Veccia vaglieri , the Encyclopaeda of Islam V.1 , P.385 .

(2)Ibid,V.1,P.385.

(204) كيتاني (Leone Caetane 1869 – 1935) ، مستشرق ايطالي و امير من آل كيتاني وهي اسرة من كبار الامراء في تاريخ ايطاليا الحديثة ، واشتهر بكتابته (حوليات الإِسلام) ، الذي تناول فيه عصر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و الخلفاء الراشدين ، قام برحلات الى البلاد العربية. ينظر ، بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص493 .

(205) لامنس (Henri Lammens 1862 – 1937) ، مستشرق بلجيكي ، وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإِسلام ، يفتقر الى النزاهة في البحث و الامانة في نقل النصوص و فهمها ، و يعد نموذجاً سيئاً جداً للباحثين في الإِسلام من بين المستشرقين . ينظر ، بدوي ، موسوعة المستشرقين ص520 .

(5) Vaglieri , the Encyclopaeda , V. 1 , P. 385 .

بعد ذلك تواصل فاغليري تقييمها لشخصية الإِمام علي (عليه السلام) . بالقول :

((ليس هناك اسباب لاعتبار هذه الصفات مخترعة او مغالى بها لان كل افعاله كان يحكمها روح الدين ، و لا يمكن تجاهل اخلاصه للاسلام باي حال و ما كان له من اثر في نفسيته , لقد انشغل في حروب مع المسلمين الضالين و اعتبره مسألة واجب لتقوية عرى الايمان و الفوز بالهدى ... و تكمن حقيقة سلوكه في طاعة الامر الالهي ، لكن افكاره كان يحكمها ثقته المفرطة . و يحتمل ان يكون هذا هو السبب الذي دعا اعدائه ان يصفوه بالـ (Mahdud المحدود) أي ضيّق الأُفق . ان علياً لا يستطيع ان يطبع نفسه مع الوضع الجديد و الذي كان مختلفاً جداً عن الوضع في عهد محمد . لذا فهو تنقصه المرونة السياسية التي تعتبر من الصفات المبرزة لمعاوية))[207].

ذكرت (فاغليري) ، بانه من المحتمل ان الإِمام علي (عليه السلام) قد اكتشف استحالة تحقيق برنامجه اليوطوبيا (فاضلاً او مثالياً) عندما صارت السلطة في يده ، وقد اسهم هذا الاحساس و بالاشتراك مع الاحداث الخارجية في تثبيط عزيمته خلال سني حياته الاخيرة[208] .

ونقلت (فاغليري) وجهة نظر المستشرق (كايتاني Caetani) التي تقول بان الهالة نصف السماوية التي ميزت شخصية الإِمام علي (عليه السلام) ليس نتيجة علاقته مع النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فحسب بل من الانطباع الشخصي الذي تركه على معاصريه . و انتقدت (فاغليري) كيتاني بانه لم يشر الى الصفات التي جعلت من شخصية الإِمام علي (عليه السلام) شخصية ملحمية[209] .

و ختمت (فاغليري) حديثها عن الإِمام علي (عليه السلام) بالوصف بانه كان يمتلك روحاً دينيه بشكل عميق وانه قام و من خلال سلطته بدعم برنامج للاصلاحات الاجتماعية و الاقتصادية ، واضعاً في الوقت نفسه هذه الاصلاحات على اساس ديني[210].

من خلال ما كتبته (فاغليري) بخصوص الإِمام علي (عليه السلام) ، يمكننا انتقادها من زوايا مختلفة اهمها :

1 ـ حاولت (فاغليري) في حديثها ان تبرز الجوانب الايجابية في شخصية الإِمام علي (عليه السلام) بوصفه ليس متطرفاً ، و لكن الدليل الذي ساقته لم تكن موفقة فيه لان

---

(1)Vaglieri , Ency , V .1 , P. 385

(2)Ibid , P. 386 .

(3)Ibid , P. 386

(4) Ibid , V.1 , P.386.

شخصية عبد الله ابن سبأ هي شخصية خيالية ورد ذكرها في ابحاث عدد من المؤرخين[211].

2ـ حاولت ان تبين بان موقف الإِمام علي (عليه السلام) تجاه الثورة على الخليفة عثمان (رض) كان محايداً فيه ، و الواقع يشير الى ان الإِمام (عليه السلام) اراد الحيلولة دون ذلك بوساطته بين الثوار و الخليفة عثمان (رض) ، ولكن لم تنجح بسبب عدم التزام الخليفة عثمان بالوعود التي قطعها للثوار ، يضاف لذلك ان الإِمام علي (عليه السلام) قد ارسل ولديه الحسن و الحسين (عليها السلام) من اجل حماية الخليفة و لكن سارت الرياح بما لا تشتهي السفن . و هذا ما تؤكده بعض مصادر التاريخ[212].

3 ـ بعد ذلك حاولت (فاغليري) ابراز بعض الخصائص المميزة للامام علي (عليه السلام) عن غيره من الصحابة ، و من بينها مقدرته السياسية و الادارية ، بينما تجدها في موضع آخر تصف ادارة الإِمام علي (عليه السلام) بانها كانت ((مشلولة او معدلةوفقاً للاحداث او مقتضيات انصاره)).

4- انتقدت (فاغليري) غيرها من المستشرقين من امثال لامنس وكيتاني.

5- ذكرتفي اثناء حديثها عن الإِمام علي (عليه السلام) انه دخل في صراع مع ((المسلمين الضالين)) ، وقد يكون في هذا القول تعميم على كل المسلمين ، او يفهمها البعض بهذا القصد، والاحرى بها ان تسميهم بالخوارج اسوة بغيرها من المستشرقين او مؤرخينا المسلمين .

6- وصفت فاغليريالإِمام علي (عليه السلام) بانه تنقصه المرونة السياسية التي ميزت معاوية بن ابي سفيان عنه ، في حين ان الإِمام علي (عليه السلام) نفسه قد اكد بان معاوية

---

(211) ينظر ، العسكري ، مرتضى ، الاسطورة السبئية كما تخيلها و اختلقها سيف بن عمر ، (بيروت1424هـ) ، ص29- 62 ؛ اما من يؤيد ان ابن سبأ حقيقة فينظر ، عبد الحميد ، صائب ، تاريخ الإِسلام السياسي و الثقافي ، مركز الغدير للدراسات الإِسلامية ، (بيروت – 1417هـ / 1997م) ، ص578- 593 .

(212) لمعرفة دور الإِمامين الحسن و الحسين (عليهما السلام) في الدفاع عن الخليفة عثمان (رض) ، ينظر، ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ) ، الإِمامة و السياسة ، تحقيق علي شري ، (بيروت – 190م) ، ص158 ، المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ)، مروج الذهب و معادن الجوهر ، تحقيق يوسف البقاعي ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت – د. ت)، 2/ 493 . الهيتمي ، ابن حجر (ت 974 هـ) ، الصواعق المحرقة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1420هـ / 1999)، ص182 .

ليس بادهى منه ، ولكنه استخدم الغدر والفجور ، وهذا ما لا يتلاءم مع خط الإ ِمام (عليه السلام) في تعامله مع الخصوم ، ولا سيما انه لا يداهن في تطبيق مبادئ الإ ِسلام حتى مع نفسه ، وان مقولة الإ ِمام (عليه السلام) بالمقارنة بينه وبين معاوية توضح سياسته وتضع معاوية على حقيقته .

قال الإ ِمام علي (عليه السلام) :

((ما معاوية بادهى مني لكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس ولكن كل غَدَرَة فُجَرَة ، وكل فُجَرَة كُفرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة ، والله ما استَغفَلُ بالمكيدة، ولا أُستَغمزُ بالشديدة))[213] .

ان هذه المثالية الانسانية والواقعية قد تحلى بها الإ ِمام (عليه السلام) في قبال الميكافيلية والغدر والابادة التي تحلى بها معاوية ، فكيف اذاً لنا ان نساوي بين خصمين متناقضين في العقيدة والسلوك والانسانية .

وحاول المستشرق (آميل آيسن Emel Esin) وصف الإ ِمام علي (عليه السلام) وصفاً معتدلاً ، فقد قال :

((يمثل علي شخصية معقدة ، ففارس الامة كما يسمى كان قد قدم تضحيات لا تعد ولا تحصى من اجل القضية التي آمن بها واعتنقها وقد كان عمره عشر سنوات ، فقد كان بطلا وشجاعا وقد سماه محمد مرة ابي تراب ، وكان علي صوفيا ومن حفظة القرآن وتميز بصوته العالي في الصلاة ولا يزال الكثير من الناس يقلدونه في هذا بينما يقلد اخرون ابو بكر بصوته الواطئ . ان هناك ميلا فتيا الى علي فقد اتخذه الرسامون في العصور الوسطى زبونا ، وهناك مجلدات من الشعر الصوفي الذي ينسب اليه ، عندما بويع علي للخلافة كان يبلغ من العمر خمسة وخمسين عاماً ، وهو داكن الشعر سمين ، اصلع ذو عينين واسعتين ولامعتين وكان يرتدي دائما السواد ربما كاشارة لحزنه على محمد))[214] .

ان ماذكره (آيسن) في بداية كلامه بوصف الإ ِمام علي (عليه السلام) بانه ذو شخصية معقدة ، باعتقادنا انه لم يقصد التقليل من شأنه وانما كان يقصد بذلك هو التزامه وتمسكه

---

(213) نهج البلاغة ، الخطبة ، 200 ، عبده ، محمد ، شرح نهج البلاغة دار المعرفة ، (بيروت – د.ت) ، 180/1 ، 181 .

(2)Emel Esin , Mecca the Blessed Madina, the Radian , Paul Eleck productions , Limited 1963 , Istituto , Geografic De Agostini S.P.A , November 1963 , Print in Italy , P.124 .

الشديدين في تطبيق مبادئ الدين الإ ِسلامي ، وغالبا ما يطلق صفة التعقيد على بعض الاشخاص المتدينين حتى في مجتمعاتنا الإ ِسلامية .

ويطل علينا المستشرق (صموئيل كراهام Samuel Graham) حاملا صورة مشوهة عن الإ ِسلام وعن الشيعة بالخصوص ، فهو في الوقت الذي يتهم المسلمين بتأليههم النبي محمد (صلى اللهعليه وآله وسلم) ، فهو يتهم الشيعة بتأليههم الإ ِمام علي (عليه السلام) ، فقد قال بصد ذلك ما يلي :

((في الإ ِسلام الشيعي يرفع علي والائمة الاخرين الى مرتبة الالوهية لكن الإ ِسلام الرشيد لا يقنع الا بتاليه محمد ... ، وهكذا فان ما تراه يحدث في بلاد فارس بالنسبة لعلي تراه يحدث في كل ارجاء العالم الإ ِسلامي بالنسبة لمحمد))[215] .

ان مايصوره اكراهام عن المسلمين وعن الشيعة ما هو الا خيال من صنع افكاره ولا يمت الى مبادئ الإ ِسلام او معتقدات الشيعة النابعة من الإ ِسلام بشيء ، حيث لا يوجد في الدين الإ ِسلامي ما يشير الىان المسلمين قد الّهوا النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذلك لم نقرأ في كتب التاريخ ان الشيعة الموجودين في بلاد فارس قد الهوا الإ ِمام علي (عليه السلام) ، لذلك ما ذهب اليه كراهام هو افتراء على الحقائق التاريخية . وكان على هذا المستشرق ان يدخل بين صفوف الشيعة ويقف على معتقداتهم وارائهم حول الأئمة وعند ذلك يتاح له الكتابة ، ولكنه قد اعتمد على مصادر معادية للفكر الشيعي وقد روج لها السلفيون في كتبهم وهي عارية عن الصحة .

---

(1)Graham,Samuel Wilson,Modern Movements among Moslems,London and Edinburgh,1916.(copywright,1916,by Fleming H.Revell Company),P.27,29.

((المبحث الخامس))

شجاعة الإِمام علي وفروسيته (عليه السلام)

اولى المستشرقون اهتماما ملحوظا في شجاعة الإِمام وفروسيته من خلال تطرقهم لبعض مواقفه مع الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) او قيادته واشتراكه في الغزوات والمعارك التي دارت بين المسلمين والمشركين من جانب او مع اليهود من جانب اخر ، لذلك سنبين في هذا المبحث الجوانب التي ركز المستشرقون عليها في كتاباتهم المتعلقة في شجاعة الإِمام علي -عليه السلام- في المعارك التي اشترك فيها لنشر الدين الإِسلامي في الفترة التي سبقت توليه الخلافة .

في مقدمة المواقف البطولية التي اشار اليها بعض المستشرقين هو مبيت الإِمام علي (عليه السلام) في فراش النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، في اثناء هجرته من مكة الى المدينة ، وقد اشار المستشرق الفرنسي (جان بروا) الى هذا الموضوع بقوله :

((ترك [النبي {صلى الله عليه وآله وسلم}] على فراشه نهباً لسيوف المؤامرة البطل المضجعي والمؤمن الشاب ابن عمه وربيبه علي بن ابي طالب))[216] .

واشار المستشرق (ارفنج) الى ان هناك روايات كثيرة تدور حول خروج الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ان ترك مكانه ابن عمه المخلص علي بن ابي طالب (عليه السلام) الذي بات في فراشه[217] .

وذكر الكثير من مؤرخينا المسلمين حادثة مبيت الإِمام علي (عليه السلام) في فراش النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مما يجعله في مقدمة الذين كان لديهم الاستعداد للتضحية في سبيل الإِسلام ونبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)[218] .

ومن بين المستشرقين الذين خصصوا حيزا في مؤلفاتهم لبيان بعض المعارك التي خاضها الإِمام علي (عليه السلام) الى جانب اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الاخرين، المستشرق (بودلي) فقد تطرق الى ذكر معركة بدر الكبرى ، وبدأ بوصف الاعداد للمعركة والسجال الذي دار بين بعض المشركين والمسلمين ، ثم قال:((فما ان انتهى

---

(216) محمد نابليون السماء ، ترجمة ، محمد صالح البنداق ، دار الانصاف للطبع والترجمة والنشر ، (بيروت - 1947م) ، ص54 .

(217) ينظر ، محمد وخلفاؤه ، ص117 .

(218) للاطلاع على تفاصيل هذه الحادثة ، ينظر على سبيل المثال لا الحصر ، المسعودي ، مروج الذهب، 18/3 ، ابن الاثير ، الكامل ، 4/2 .

القريشيون من تعييرهم [ذم المسلمين] حتى برز من صفوف المسلمين علي يتالق في درعه وخوذته ، وتبعه عبيدة بن الحارث ابن عم لمحمد ، وحمزة ... وبذلك كان الصناديد الثلاثة اقرب اقرباء محمد، وانهم لاكفاء لاطفاء عطش قريش الى دماء الهاشميين))[219] .

واشار بودلي الى ان طلحة بن ابي طلحة حامل لواء المشركين في معركة احد كان اول من برز للنزال ، وما ان خرج من صفوف جيش ابي سفيان حتى خرج له الإ ِمام علي (عليه السلام) وابتدا النزال ، وما كان لطلحة فرصة لان سيف علي (عليه السلام) قد تألق في شمس الصباح وطار رأس حامل اللواء طلحة عن كتفيه واخذ يتدحرج على الرمال ، فصاح النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ((الله اكبر))[220] .

واضاف بودلي القول ، في بداية معركة احد تمكن المسلمون من دق اسفين في قلب جيوش قريش وكان كل من الإ ِمام علي (عليه السلام) وحمزة -عليه السلام- وسيفهما البتارين يجولان في كل مكان مما اضطر العدو الى الانسحاب[221] .

ولكن وبسبب الظروف التي رافقت سير المعركة فقد خسرها المسلمون واستشهد فيها الحمزة -عليه السلام- الى جانب مجموعة من الشهداء .

وتطرق (بودلي) الى معركة الخندق فوصفها بانها كانت حرجة للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ورجاله ، قد تقود الى الهزيمة ولكن تمكن الإ ِمام علي (عليه السلام) ومجموعة من المسلمين من سد الثغرة امام المهاجمين ، وبرز الإ ِمام علي (عليه السلام) لنزال عمرو بن عبد ود العامري ، الذي قال عنه بودلي :

((فلما راى المقاتل المحنك من برز له ، ضحك ، فقد كان يعرف عليا مذ كان طفلا ، وانه لا زال يعتبره غلاما ، ولكن عليا لم تداخله رهبة بل هجم على المكي الذي كان قد ترجل ووقف ينتظرا ....))[222] .

وتابع بودلي وصف وقائع النزال الذي دار بين الإ ِمام علي (عليه السلام) وعمرو بن ود ، بالاعتماد على المصادر الإ ِسلامية ولكن دون الاشارة الى أي مصدر ، فذكر بان عمرو بن ود ادار رأسه معتقدا ان هناك من يهاجمه من خلفه ، وما استغرق ذلك ثانية، لكنها كانت كافية للامام علي (عليه السلام) ، الذي قال عنه بودلي : ((فقدنلدفع الى الإ ِمام فاصبح في منخفض، وبضربة خاطفة من سيفه ، اطاح رجل عمرو ، ... ثم تناول العضو المبتور ،

---

(219) ينظر ، حياة محمد ، ص190 ، ينظر ، الواقدي ، المغازي ، 68/1 لمطابقة هذه الرواية .

(220) حياة محمد ، ص216 ، ينظر ، الواقدي ، المغازي ، 225/1 ، 226 .

(221) حياة محمد ، ص218 .

(222) ينظر ، حياة محمد ، ص251 .

والقى به على علي بكل قوته ، وكان هذا اخر حركة اتاها ، وكاد علي يُصرع ، ولكنه أفاق في لحظة ، واغمد سيفه في جسم عمرو))[223] .

واشار بودلي الى معركة خيبر ودور الإ ِمام علي (عليه السلام) في الهجوم على الحصن بعد ان عجز ابو بكر وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) عن تحقيق ذلك ، وفصّل (بودلي) في وصف ما كان يرتديه الإ ِمام علي (عليه السلام) من مستلزمات القتال ومن بينها سيفه ذو الفقار الذي اعطاه اياه النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكذلك في صراع الإ ِمام (عليه السلام) مع المقاتل اليهودي (مرحب) الّذي كان مسلحاً تسليحاً يفوق تسليح جميع المحاربين ، حيث كان يلبس درعين ويتقلد سيفين ، وتميز عليهم بمميزات اخرى ، وقال بودلي :

((وقد هجم مرحب اولاً وقد صوب الى علي رمحه الثلاثي الشُعب فانسحب علي لحظة فما كان معتادا على مثل هذا السلاح ، ثم استعاد رباطة جاشه وراح يبارز اليهودي ، وبمهارة وحذق تمكن من أي يطير رمح مرحب من يده ، وقبل ان يتمكن مرحب من سحب سيف من سيوفه ، كان سيف علي شق المغفر والحجر الذي تحته والعمامتين وفلق هامته حتى انها تهدلت على كتفيه))[224] .

وعلى الرغم من اشادة بودلي بالمقدرة الحربية للامام علي (عليه السلام) في معركة خيبر ، الا انه حاول ان يدس السم بالعسل بقوله :

((فلما راى اليهود قتل بطلهم انسحبوا الى مدينتهم ، فاصدر امره بالهجوم العام ، فتدفق المسلمون ، وراح علي يقود القتل والفتك))[225] .

في هذا القول اشارة الى ان ماقام به الإ ِمام علي (عليه السلام) يعد فتكا ، والفتك باعتقادنا يوجه ضد الناس الابرياء او ان يطال العقاب المسئ والبرئ دون تمييز ، في حين ان ما جرى في معركة خيبر كان عقابا لليهود الذين وقفوا موقفا كان هدفه ضرب الإ ِسلام واشعال الفتنة بين المسلمين في مرحلة حرجة من مراحل التاريخ الإ ِ سلامي . وقد تناسى هذا المشرق الروح الانسانية التي جاء بها الإ ِسلام في تعامله مع اهل الذمة من اليهود والنصارى.

---

(223) حياة محمد ، ص251 .

(224) حياة محمد ، ص251 .

(225) حياة محمد ، ص327 .

ووصف بودلي الإ ِمام علي (عليه السلام) بانه : ((خطيب غير حاذق على قدر ما كان جنـدياً باسـلاً))[226] . وجاء قول بودلي هذا بالاشارة الى حادثة ارسال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الإ ِمام علي (عليه السلام) الى اليمن ليكون قاضيا .

وختم (بودلي) حديثه عن شجاعة الإ ِمام علي (عليه السلام) بهذه الكلمات التي قال فيها:((وعلي الجندي الامين الباسل ، كان محمد بطله ، وكان القتال هوايته ، انه رجل العسكر والقتال ، ولكنه ما كان يصلح للرئاسة ، وعلى الرغم من ان ذلك سيصبح في يوم من الايام خليفة))[227] .

ولم يكن القتال يوما من الايام هواية يمارسها الإ ِمام علي (عليه السلام) كما يدعي (بودلي) ولكنه كان مجبرا على ذلك ، من اجل الدفاع عن عقيدته .

اما المستشرق الروماني (جورجيو) فقد تحدث من خلال المعارك التي ذكرها عن جوانب من مهارات الإ ِمام علي (عليه السلام) الحربية ، ففي صدد معركة بدر الكبرى ، قال (جورجيو) ما يلي : ((كان علي يجيد المبارزة بالسيف ، ويضرب باسرع من ضربات خصمه الوليد ، لذا لم تطل الحرب بينهما اكثر من دقائق ، اذ سرعان ما لقي الوليد ضربة قتلته من سيف علي))[228] .

وفي معركة أ ُحُد نقل جورجيو قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) لابنته فاطمة (عليها السلام) حينما امرها ان تذهب الى علي (عليه السلام) لتضميد جراحه ، فقال لها (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((اذهبي يا فاطمة وضمدي جراح علي انها احوج الى العناية من جراحي)) . وبعد ذلك تحدث (جورجيو) عن ابو عبيدة بن الجراح عندما ذهب الى الإ ِمام علي (عليه السلام) ووجده مصابا بثمانين جرحا فقال له ابو عبيدة متعجبا : ((ارى ان اضمدك يا علي من رأسك الى قدمك ، واحملك الى المدينة لاني لم ار طيلة حياتي شخصا واحدا اصيب في ميدان الحرب بمثل ما اصبت به ، واني لا عجب كيف صبرت على جراحك، وتابعت حربك))[229] .

---

(226) ينظر ، حياة محمد ، ص381 .

(227) ينظر، حياة محمد ، ص412 .

(228) نظرة جديدة في سيرة الرسول ، ص224 .

(229) نظرة جديدة ، ص264 .

وعن معركة الخندق وضح جورجيو الدور المشهود الذي مارسه الإِمام علي (عليه السلام) للقضاء على ابرز مشركي قريش في حينه والمتمثل بـ (عمرو بن عبد ود)[230] الذي وصفه جورجيو بقوله : ((فبالاضافة الى شجاعته كان ذا جسم ضخم ، وقد استطاع في اثناء محاولته ان يجرح عليا بسيفه مرتين ، بيد ان عليا لم يكن ذلك الرجل الذي ينسحب من ساحة الحرب بسبب جرحين ... عندئذ دنا علي منه وضربه بسيفه ضربة قضت عليه ، وقد كان يرتدي درعا ثمينة بحلقات ذهبية ، ففكها عنه ، وارسلها الى اخت عمرو حتى لا يظن احد انه قتله ليربح هذا الدرع))[231] .

وفي ذكر معركة خيبر فقد بين (جورجيو) احداثها مبرزا الدور القيادي للامام علي (عليه السلام) فيها بعد ان عجز غيره من الصحابة (رضي الله عنهم) في حسم نتيجة المعركة ، حيث انتخب الإِمام علي (عليه السلام) من بينهم وسُلِّم اللواء لشجاعته وصبره،وكان ارمد العينين حين بلغه امر القيادة ومع ذلك فقد وافق واقدم على محاصرة قلعة خيبر[232] .

وتابع جورجيو حديثه بالقول : ((ومع ان عيني علي مريضتان ، ولم يكن على جسمه درع ، فانه بارز هذا المدجج [مرحب] بالحديد وقتله وبعد ذلك امر علي ان يحطموا باب القلعة ... وبعد يومين سقطت قلعة نطاة ... وهكذا الثانية واسمها ((ناعم)) ولم تمض عشرة ايام الا وعلي قد ذلل اربع قلاع . وقد بارز علي في هذه الايام العشرة ستة عشر مبارزا ، فقتل فيها خصومه او جرحهم جراحا منعتهم من الاستمرار في المبارزة))[233].

واضاف جورجيو ، حين سقطت اخر قلعة من قلاع خيبر كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بلغه ما احرزه الإِمام علي (عليه السلام) من انتصار باهر ، فقبله بحضور المسلمين ودعاه بـ ((اسد الله)) وغدا ذلك لقباً له[234] .

ويمكن الاشارة الى نقطة واحدة في كلام (جورجيو) ، فقد ذكر بان عيني الإِمام علي (عليه السلام) كانتا مريضتين في اثناء المعركة بينما اكدت بعض مصادرنا الإِسلامية بان

---

(230) عمرو بن ود العامري من بني لؤي من قريش ، فارس وشجاع في الجاهلية ، ادرك الإِسلام ولم يسلم ، قتل في معركة الخندق سنة (٥هـ) على يد الإِمام علي (عليه السلام) ، ينظر ، الزركلي ، الاعلام ، 81/5 .

(231) نظرة جديدة ، ص298 .

(232) ينظر ، نظرة جديدة ، ص331 .

(233) نظرة جديدة ، ص332 .

(234) ينظر ، نظرة جديدة ، ص333 .

عينيه قد شفينا قبل نزوله المعركة ، بعد ان مسح عليهما النبي (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) ودعا له[235] .

وذكر (جورجيو) حادثة يهود بنو قريضة الذين نقضوا العهد مع المسلمين وحاولوا التآمر عليهم بمساعدة مشركي قريش في معركة الخندق بالالتفاف من خلف المسلمين، ولكن حين رأى بنو قريضة ان المشركين رحلوا ، وتفرغ لهم المسلمون ، احسو بالخطر يداهمهم من المسلمين لخيانتهم لهم ، فتحصنوا في قلاعهم ومنازلهم . وتفرس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في وجه ابن عمه علي (عليه السلام) فرأى فيه اخلاصا صادقا ، وبطولة نادرة اثبتها في معركة أُحُد والخندق ، لذا اوكل اليه امر بني قريضة ، فاتجه اليهم ومعه كوكبة من المجاهدين ، وبعد ان حاصرهم علي (عليه السلام) عرض عليهم ان يدخلوا في دين الله ، فاجابوه :

((نحن لا نعترف محمد نبيا ولن ندخل في دينه لانه عربي ولا يكون النبي من العرب ، بل يكون من بني اسرائيل)) ، واستمر حصار يهود بني قريضة اربعة اسابيع ويروى ستة ، مما جعل اغذيتهم تنفذ ، فنادى كعب بن اسد ، رئيس بني قريضة من وراء قلعته: ((يا علي ، يفتقد ابناءنا الى اللبن ، لان اثداء امهاتهم جافة ، لعدم وجود ما يأكلنَّه))[236].

ومن المستشرقين الاخرين الذين حاولوا الوقوف على شجاعة الإِمام علي (عليه السلام) هو (اميل درمنغهم) ، فقد ذكر دور الإِمام علي (عليه السلام) في معركة أُحد من خلال القول الاتي : ((مما حدث ان ابا سعد بن ابي طلحة صاحب لواء المشركين تحدى المسلمين ... فخرج اليه علي بن ابي طالب ، فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه ، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه لانه استقبله بعورته فعطفته عنه الرَحِمْ))[237] .

ثم اشار (درمنغهم) الى المنازلة التي دارت بين الإِمام علي (عليه السلام) وعمرو بن عبد ود العامري اثناء معركة الخندق وكيف تمكن الإِمام (عليه السلام) من التخلص منه بمهارة[238].

واهم ما يمكن ملاحظته على ما كتبه (درمنغهم) بصدد الموضوع هو انه لم يتطرق الى كل المعارك التي اشترك فيها الإِمام علي (عليه السلام) من اجل نشر الدعوة الإِسلامية ، كذلك لم يشر الى المصادر التي استقى منها معلوماته .

---

(235) ينظر ، الواقدي ، المغازي ، 654/2 ؛ الطبري ، تاريخ ، 12/3 .

(236) جورجيو ، نظرة ، ص300-301 .

(237) حياة محمد ، ص252 .

(238) ينظر ، حياة محمد ، ص271 .

وكان المستشرق الفرنسي (اتيين دينيه) قد ذكر معركة واحدة فقط كان الإ ِمام علي (عليه السلام) قد اشترك فيها من بين المعارك التي خاضها للدفاع عن الإ ِسلام وهي معركة خيبر ، وقد وصفه فيها بانه لم يَخَفْ ولم يضطرب رغم غرور خصمه (مرحب) ، بل تقدم متحديا اياه قائلاً :

انا الذي سمتني امي حيدرة ضرغام أُجام وليث قسورة[239]

وعرض (دينيه) تفاصيل النزال الذي دار بين الإ ِمام علي (عليه السلام) ومرحب ، وهذا جانب مما قاله : ((ولم يترك علي لعدوه فسحة من الوقت لانتشال سيفه ، بل امسك عن ترسه ، الذي اصبح ولا فائدة منه ، ثم حمل على غريمه بضربة قوية كسرت مغفر مرحب ، ونفذت الى عمامته فشقتها والى رأسه فهشمته ، وانتشر مخه على الارض ولم يتوقف السيف الا عندما بلغ الاضراس ، فَخَرَّ العملاق صريعاً))[240] .

اما المستشرق (ميور) فقد خصص جانبا مما كتبه للحديث عن معركة بدر الكبرى ومعركة أُحد ولكن باختصار،حيث بدا بتوضيح عملية الاستطلاع لمعركة بدر التي قام بها مجموعة من المسلمين بقيادة الإ ِمام علي (عليه السلام) وتمكنهم من الامساك برجلين من المشركين حصلوا من خلالهم على المعلومات المتعلقة باعداد المشركين ومعداتهم ، بعد ذلك تحدث عن سير المعركة ودور الإ ِمام علي والحمزة (عليهما السلام) فيها[241] .

واشار (ميور) الى موقف الإ ِمام علي (عليه السلام) في معركة احد ، بهذه العبارة :

---

(239) ذكر الطبري بيت الشعر هذا على النحو التالي :

انا الذي سمتني امي حيدرة اكيلكم بالسيف كيل السَّنْدَرة

والسندرة مكيال كبير ، ينظر ، الطبري ، تاريخ ، 580/2 .

(240) محمد رسول الله ، ص305 .

(3)SiR . William Muir , Mahomaet and Aslam , P. 103

((سقط حامل لواء المشركين صريعا بسيف علي ، وسقط كذلك ابنه واخوته ، وعددهم خمسة، واحد تلو الاخر ، بسيف علي ، عندما كانوا يتصارعون لحمل اللواء))[242] .

وعلق (ميور) في نهاية حديثه بقوله : ((وكان علي متالقا ورائعا بريشته البيضاء الطويلة))[243] .

وحاول مستشرق اخر الاشادة بالموقف البطولي للامام علي (عليه السلام) في معركة خيبر، عندما تمكن من اقتحام حصن خيبر في الوقت الذي لم يتمكن غيره من الصحابة من دخول الحصن ، عند ذلك اعلن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) انه سوف يعطي الراية غداً (لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) ، وكان هذا الرجل هو الإ ِمام علي (عليه السلام)، وعلق هذا المستشرق على قول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحق الإ ِمام علي (عليه السلام) بانه يظهر ميلاً شيعياً[244] .

وتبلغ كلامه بان الإ ِمام علياً (عليه السلام) قام بقتل رئيس جماعة اليهود ويعني به (مرحب)، بضربة سيف واحدة ، وقال ايضاً :

((واثبت علي مرة اخرى قوته البدنية الاستثنائية . حيث عندما فقد ترسه قام باقتلاع احد ابواب الحصن من مفاصله ودافع عن نفسه به وكان الباب ثقيلا جدا الى درجة انه احتاج الى ثمانية رجال لكي يتعاملوا معه . واظهر علي بسالة وشجاعة في بدر واحد [ويقصد قبل معركة خيبر] ، لكن هذه الحقائق اذهلت المسلمين ، وكان هذا احد الاسباب التي جعلت الفتوّة من علي نموذجا اصليا وجعلته من الابطال))[245] .

وكتبت المستشرقة (فاغليري) بحثاً عن الإ ِمام علي (عليه السلام) وخصصت جانبا من هذا البحث لمآثره العسكرية ، وذكرت بان الإ ِمام علي (عليه السلام) قد اشترك في كل الحملات العسكرية تقريبا كحامل لواء خلال حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان دائما مظهرا من مظاهر الشجاعة وفيما بعد اصبحت شجاعته نموذجا ملحميا وقام في معركة بدر بقتل عدد كبير من القرشيين ، وفي معركة خيبر استخدم احد الابواب الثقيلة كدرعا له ، وكان نصر المسلمين على اليهود نتيجة لحماسته ، وفي (حنين) سنة 8هـ /630م كان احد اولئك الذين دافعوا عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشجاعة[246].

---

(1)Ibid , P,108.

(2)Ibid , P.109

(3)The Encyclopedia of Aslam, New Edition , Vo,V1. P.1140

(4) Ibid , Vo, VI.P.1140

(1)Vaglieri , the Encyclopedia of Aslam , Vo.1.p.381

اما المستشرق (تور اندريه Tor Andrae) فقد مر مرور الكرام على احداث معركة بدر الكبرى ، حيث ذكر بان المسلمين قد ربحوا هذه المعركة وانهزم القرشيون ، وسقط منهم تسعة واربعين قتيلا ، كان اثنان وعشرون منهم على يد الإ ِمام علي (عليه السلام) بمفرده او بمساعدة افراد اخرين ، وتم اسر عدد مساوي لعدد القتلى ، فيما خسر المسلمون اربعة عشر رجلا[247] .

وعلى ما يبدو ان (توراندريه) قد اخذ برواية ابن هشام فيما يتعلق باحصائية عدد القتلى من الطرفين[248] .

وكان المستشرق كونسلمان قد ذكر بانالإ ِمام علي (عليه السلام) قد اثبت حنكة وصلابة في حياة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان مقاتل يعرف كيف يستخدم سيفه ذا الفقار[249] .

واغفل المستشرق (ارفنج) بشكل ملحوظ ذكر المعارك التي شارك فيها الإ ِمام علي (عليه السلام) في دفاعه عن الإ ِسلام ، سوى معركتي خيبر والخندق ، وكانت الاشارة اليهما عابرة ، فعند حديثه عن معركة الخندق واشارته الى تمكن المشركين من اختراق نقطة ضعف في الخندق وتحديهم للمسلمين ، ذكر بان اول من قبل التحدي هو الإ ِمام علي (عليه السلام) وسعد بن معاذ[250] ، وبدا علي (عليه السلام) المبارزة مع عكرمة بن ابي جهل على ظهور الخيل ثم ترجلا ، ثم بالايدي الى ان تمكن الإ ِمام علي (عليه السلام) من خصمه ففر هاربا ، وانتهت المعركة بانسحاب المشركين ، وفي اثناء ذلك عثر حصان المشرك نوفل بن عبد الله القرشي وسقط في الخندق فهاجمه المسلمون بالتبادل لكنه تحداهم بالمبارزة فقفز الإ ِمام علي (عليه السلام) فورا الى داخل الخندق ليسقط نوفل سريعا بسيفه

---

(2)Andrae , Tor , Mohammed the man and his faith , London , 1935,p.195.

(248) ينظر ابن هشام ، السيرة ، 708/2-714 ، لمعرفة تفاصيل الموضوع .

(249) ينظر، سطوع نجم الشيعة ، ص25 .

(250) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الاوسي الانصاري ، اسلم على يد الصحابي مصعب بن عمير ، وكان من الابطال وشهد بدرا ، وأُحداً وكان ممن ثبت فيها ، استشهد في معركة الخندق سنة (5هـ) اثر اصابته بسهم ، وروي ان العرش اهتز لموته وقيل فرحا من الملائكة بقدومه، وكان عمره قد بلغ السبع والثلاثين ودفن بالبقيع ، ينظر ، ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن (ت597هـ) ، صفة الصفوة ، تحقيق ، ابراهيم رمضان وسعيد اللحام ، دار الكتب العلمية ، ط4 (بيروت – 1427هـ/2006م) ، 236/1 ؛ النووي ، تهذيب الاسماء واللغات ، 214/1 .

بعد مبارزة قصيرة، بعد ذلك عاد الإ ِمام علي (عليه السلام) ليشارك قواته بملاحقة فلول خصومه المنهزمة[251] .

وعندما تحدث ارفنج ، عن معركة خيبر وضح الصعوبة التي واجهت المسلمين في اختراق الحصن لعدة ايام فقد ذكر بان ابو بكر (رضي الله عنه) قد هجم ولكنه اضطر الى التراجع بعد قتال جريء ، وتبعه في اليوم الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي قاتل حتى غياب الشمس دون تحقيق نجاح افضل ، اما الهجوم الثالث فقد قاده الإ ِمام علي ابن ابي طالب حاملا باحدى يديه سيف الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ذا الفقار وبيده الاخرى العلم الإ ِسلامي المقدس ، فوصفه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ((برجل يحبه الله ورسوله لن يرجع حتى يفتح الله له))[252] .

وقال ارفنج بعد فتح خيبر : ((والمؤرخون العرب ذهبوا الى تضخيم حدث فتح ((خيبر))فضخموا بطلهم المختار لهذا الفتح فوصفوه (رضي الله عنه) ... وهو يتسلق مع اتباعه الصخور الشاهقة التي يقع الحصن باعلاها ، ثم ركز رايته على قمتها ، مصمما على عدم التراجع حتى تسقط القلعة . فخرج اليه اليهود لرد هجومه ، واشتبكوا مع جماعته بقتال السلاح الابيض ، فقاتل ((عليا)) رضي الله عنه قائدهم ((الحارث)) وصرعه ، فتقدم اخاه ((مرحب)) ليثأر لقتله))[253] .

وواصل ارفنج حديثه عن النزال الذي دار بين الإ ِمام علي (عليه السلام) و (مرحب) وكيف استطاع الإ ِمام وبشجاعة ان ينتصر عليه وان يجعل من باب الحصن درعا له بعد ان فقد درعه[254] .

ومن الامور الاخرى التي ناقشها (ارفنج) هو بعثة الإ ِمام علي (عليه السلام) الى اليمن ليتولى الولاية والقضاء هناك ، فقد ذكر بان هذا القائد الشاب ويعني به الإ ِمام علي (عليه السلام) كان يواجه مهمة صعبة وكان تحت امرته رجال اكبر منه سنا ، ولم يكن له ممارسة في القضاء ، لذلك دعا له الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الله سبحانه وتعالى ان يهدي لسانه ويثبت قلبه ، وعندما وصل الى منطقة الهراطقة في اليمن ، ((بدات قواته تغزو وتدمر على الطريقة العربية ، لولا ان ((علياً)) رضي الله عنه وجههم الى اعتقال الفارين من وجههم من السكان لشرح الإ ِسلام لهم ، ولان لسانه استمد هديه من دعاء

(251) ينظر، ارفنج ، محمد وخلفاؤه ، ص282،283

(252) ينظر ، محمد وخلفاءه ، ص2-3 .

(253) محمد وخلفاءه ، ص302-303 .

(254) ينظر ، محمد وخلفاءه ، ص303-304

الرسول (صلى الله عليه وسلم) له ، انطلق بالدعوة لهم بالبينة ، لكن بعظهم اجابه بالرمح والسيف ، مما اضطره الى اعمال السيف بهم حتى يعطوا آذانا صاغية ، وكان علي (رضي الله عنه) بارعا بهذا الامر براعته بتاكيد القول بالفعل ، وقد بدأ بقتل عشرين من المعارضين ، تبعه بمثل هذا المنهج حتى استطاع ان يخضع اسماعهم الى ما سوف يقول ، وبذلك تُسمع كلمة الحق بازاء عناد الانسان ، وبذلك فقط يتمكن الايمان من الوصول الى الاسماع ، وهذا هو منهج الإِسلام بالسيف في نشر العقيدة؟!))[255].

ويمكن لنا مناقشة ما قاله (ارفنج) من وجهين ، الاول فيما يتعلق بقوله :

((بدأت قواته [أي قوات الإِمام علي {عليه السلام}] تغزو وتدمر على الطريقة العربية))، ففي هذا القول تعميم على ان الطابع المميز للفتوحات الإِسلامية هو الغزو والتدمير ، وفيه مجانبة للحقيقة التي اشار اليها (ارفنج) نفسه في نهاية كلامه عن بعثة الإِمام علي (عليه السلام) الى اليمن ، اما الوجه الثاني فيمكن ان نصف قول (ارفنج) بانه كان يحمل تناقضا ملحوظا ، فلو دققنا في قوله : ((وبذلك تسمع كلمة الحق ازاء عناد الانسان ، وبذلك فقط يتمكن الايمان من الوصول الى الاسماع . وهذا هو منهج الإِسلام بالسيف في نشر العقيدة؟!)) ، فنجد ان ارفنج قد اعطى المبرر لاستخدام السيف في حالة عناد الانسان وعدم انصياعه لامر الحق .

وكان المستشرق (جان بروا) قد تطرق الى شجاعة الإِمام علي (عليه السلام) ومقدرته الحربية في معركة خيبر باسلوب قصصي مشوق ، بعد ان وضح عدم مقدرة كل من ابو بكر وعمر (رضي الله عنهما) في الوصول الى قلاع خيبر ، فحين ذاك قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حسب تعبير (بروا) : ((غدا اعطي الراية لفتى يحبه الله ورسوله ، ليس بفرار يفتح الله عليه الحصن)) ، فاضطجع المجاهدون في مضاربهم ، وكل يحلم بفتح الحصن على يديه ، وكل يأمل ان يكون هو ذلك الرجل الذي يحبه الله ورسوله ، وما ان انتهى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من صلاة الفجر ، فاتجهت العيون صوبه ينتظرون من سيجعل الله علي يديه فتح الحصن[256] ، بعد ذلك يقول بروا :

((- علي ! علي ! ينظر المسلمون جميعا شطر ابي الحسن ويتجه علي صوب النبي وقد وضع يده على عينيه لشدة وطأة الرمد ، فيعطيه الراية ويبشره بالفتح ويامره بالذهاب وعلي يستمع ، ولما نَزَل يده على عينيه ، ثم طلب اليه ان يدنو منه فمسح له على عينيه، فارتد

---

(255) ارفنج ، محمد وخلفاؤه ، ص408 ،409 .

(256) ينظر، محمد نابليون السماء ، ص87 .

كاحسن ما كانت عيناه جلاءً وصفاء فيستطير ابو الحسن (اسد الله) فرحا ويمتطي صهوة جواده))[257] .

بعد ذلك يستغرب (بروا) مما جرى للحصن على يد الإ ِمام علي ، بالقول :

((ما بال الحصن يبدو في هذا اليوم متظامنا منخذلا قد انكمش على نفسه فرقاً ؟؟!! ، لقد تراءى جناحا النسر يسدان فضاء الحصن بالشكيمة والباس ، ويملآنه رعباً ويرجانه رجه عنيفة كادت تكبّه على قرنيه ، رجه زلزلته زلزالاً))[258] . بعد ذلك يضيف :

((اقترب البطل علي وملئ ثوبه العزيمة ومعجزة النبوة وبشرى الفتح ، اقترب بهديره وزئيره وجنوده من خلفه والراية ترفرف في يديه ، راية النصر المؤكد والفتح المبين))[259].

اما المستشرق الفرنسي (كاراديفو) فتراه قد اهتم بذكر وقائع بعض المعارك التي خاضها الإ ِمام علي (عليه السلام) ودوره في حسم نتائجها ، وفي مقدمتها معركة بدر الكبرى التي قال عنها كاراديفو :

((كان علي وهو في العشرين من عمره ، يشطر الفارس القرشي شطرين اثنين بضربة واحدة من سيفه)) ، اما عن معركة أ ُحد التي خسرها المسلمون قال كاراديفو : ((تسلح بسيف النبي ذي الفقار فكان يشق المغافر بضربات سيفه ويخرق الدرع))[260] .

وفيما يتعلق بمعركة خيبر ، اشاد بدور الإ ِمام علي (عليه السلام) فيها بقوله :

((قلقل علي بيديه بابا ضخما من حديد ... ثم رفعه فوق راسه متخذا منه ترسا مجنا))[261].

ما ذكره كاراديفو من قول بشان معارك الإ ِمام علي (عليه السلام) لا يتلاءم مع احداثها ولا سيما معركة خيبر على الرغم من ان ما ذكره كان ذا دلالة واضحة على انصافه واعجابه بفروسيته في الحروب .

---

(257) محمد نابليون السماء ، ص88 .

(258) محمد نابليون السماء ، ص88 .

(259) محمد نابليون السماء ، ص88 .

(260) جرداق ، الإ ِمام علي صوت العدالة الانسانية ، ج236/5 .

(261) جرداق ، صوت العدالة الانسانية ج236/5 .

الفصل الثالث

موقف المستشرقين من الخلافة

التمهيد: الخلافة مفهوما وممارسة

المبحث الاول:الدراسات الاستشرقية التي تبنت الموقف الذي يؤيد عدم استخلاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

المبحث الثاني:الدراسات الاستشراقية التي تبنت الموقف الذي يؤيد استخلاف الإمام علي (عليه السلام).

المبحث الثالث:الرد على الدراسات الاستشراقية التي تؤيد عدم استخلاف النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لأحد في ضوء مواقف الشيعة الامامية.

مدخل

لا يختلفـاثنان على اهمية موضـوع الخلافـة فـي التـاثير علـى مسـار التـاريخ الإ ِسـلامي ، ولا نبالغ اذا ما قلنا بان اثارها قد امتدت لافاق المعرفة لتسهم بشكل او باخر في رسم اطـار العلاقة فيما بين المسلمين انفسهم ، اذ ان تاثيرها السلبي اكثر وضوحا في حياة المسلمين من تاثيرهـا الايجـابي وذلـك لان مفهوم الخلافـة اختلط بمفهوم السلطة والسيطرة علـى شـؤون الدولـة منذ احداث السقيفة التي كان من نتائجها وضع اسس للخلافة اضرت تاريخيا بالإ ِسلام والدليل التـاريخي علـى ذلـك هو الاحداث التـي شـهدتها الدولـة الإ ِسـلامية بعد وفـاة الرسـول (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة وما اعقب ذلك من احداث.

انطلاقا من هذه الاهمية فقد اولـى البـاحثون فـي التـاريخ الإ ِسـلامي من عـرب او غـربيين هـذا الموضـوع اهتمامـا يسـتحق الوقـوف عنـده والبحـث فيـه ، ولا سـيما المستشـرقون الـذين حملوا انطباعا عن الخلافة قد يكون مستمدا من رؤية بعض مؤرخينا المسلمين ، او انـه نـاجم عن خلفيـات مسبقة حملهـا هؤلاء المستشـرقون والقت بظلالهـا علـى نتـائج بحـوثهم فـي هـذا الاتجاه .

ولغرض الوقوف علـى مواقـف بعض المستشـرقين ازاء موضـوع الخلافـة فقد خصـص الباحث هذا الفصل الذي يتضمن عرضاً وتحليلا لـبعض نتاجـات هؤلاء ، ومقارنـة ذلك مـع ما وردفي بطون بعض مصـادر التـاريخ الإ ِسـلامي ومراجعـه ، للخـروج بالنتـائج المرجوة التي يمكن من خلالها تقييم موقف هؤلاء المستشرقين من الخلافة بشكل واضح .

تمهيد

الخلافة مفهوماً وممارسة

يرى الباحث محمد جواد مغنية ان حاجة الناس الى قائد يتولى ادارة شؤونهم العامة لا يحتاج الى دليل ، لان الانسان اجتماعي بطبعه ولا يمكن لاي فرد في المجتمع ان يؤدي دوره في الحياة بمعزل عن الاخرين . ويمكن تلمس بعض مظاهر هذه الصفة حتى عند الحيوانات والطيور والنحل ، فضلا عن الحشرات كالنمل ، وهذه الحاجة واضحة للعيان ويحس بها الانسان كاحساسه بالحاجة الى الطعام والشراب ، ولهذا يكون الاستدلال عليها ضربا من الفضول على حد تعبير هذا الباحث ، وبصرف النظر عن شكل الحكم الذي ينبثق عنه القائد ، سواء كان دينيا ام زمنيا ، جمهوريا ام ملكيا[262] .

وذكر الباحث محمد المري كلاما يندرج في المضمون نفسه مفاده : ان لكل انسان حقوقه الطبيعية في الحياة ومنها حق الحصول على الطعام والشراب وحق السكون والحركة والمشي والجلوس والنوم ، كذلك ان له حقوقا سياسية كأبداء الرأي وحق اختيار من يمثله في الحكم ، وكل هذه الحقوق وغيرها ضرب من الحرية ، وهي حقوق ثابتة ومقدسة ما لم تصل الى حد الاعتداء على حرية الغير ، ويضيف هذا الباحث قائلاً :

((ان حكم انسان لانسان وحدّه من حريته وتسلطه عليه وادارته شؤونه العامة امر مخالف للحقوق الطبيعية التي هي ثابتة لكل فرد ولن يصح ذلك الا باذن من مالك تلك الحقوق وتوكيله اياه في ادارة شؤونه وتسليطه اياه على نفسه ومصالحه وامواله وحقوقه))[263] .

واهم ما يمكن تشخيصه من الكلام المتقدم للباحث الاول هو ان الحاجة الى الحاكم هي ضرورة اجتماعية ملحة ، ولما كان الخليفة قد جمع السلطتين الدينية والدنيوية فان مهمته بلغت اقصى واجبات الحكم .

اما اهم ما يمكن استخلاصه من كلام الباحث الثاني هو ان اختيار الحاكم يجب ان يتم على وفق رغبة الرعية ، ويمكن التعبير عن هذه الرغبة بافضل ما يمكن باختيار الشخص المؤهل والامين على ادارة شؤون الناس الدينية والدنيوية ، الحريص على مصالحهم ، وهذا الكلام ينطبق عندما يتم اختيار خليفة للمسلمين قبل غيره من الحكام الدنيويين ، الذين يتم اختيار اغلبهم على وفق المعايير الاجتماعية التي قد لا تتماشى مع المبادئ الإِسلامية.

---

(262) ينظر،امامة علي والعقل ، دار نشر السجدة ، (قم – 2003م) ، ص56 .

(263) ينظر،الخلافة في الدستور الإِسلامي ، مطبعة الاتحاد ، (بيروت – 1946م)، ص7، 8 .

والجدير بالقول ان توضيح مفهوم الخلافة يقودنا بالضرورة الى توضيح مفهوم الامامة،بوصفها مفهومين متداخلين ، يعنيان في واحد من معانيهما المشتركة ؛ ان يحل شخص ما محل شخص اخر عند الوفاة ليتولى ادارة امور المسلمين ، ويمكن ان تكون الخلافة دنيوية اما الامامة فهي دينية خالصة .

فالخلافة في اللغة من (خلفَ – يخلِفُ – اخْلِفْ) ومصدرها خلافة ، فيقال : (خلفه خلافة ، أي اصبح خليفته وبقي بعده ، والجمع خلائف او خلفاء))[264] .

اما في الاصطلاح فقد اخذت الخلافة عند اللغويين والمفسرين معان بمعن قليلة متعددة، اهمها ، قال الفراهيدي (ت175هـ) : ((الخليفة من استخلف مكان من قبله ، ويقوم مقامه))[265] .

وذكر الراغب الاصفهاني (ت 502هـ) بان الخلافة هي : ((النيابة عن الغير اما لغيبة المنوب عنه واما لموته ، واما لعجزه ، واما لتشريف المستخلف))[266].

---

(264) ينظر، الفيروز ابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ) . القاموس المحيط ، دار الجيل ، (بيروت ، د.ت) ، ص142 .

(265) الخليل بن احمد (ت 175هـ) ، العين ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي ، مؤسسة دار الهجرة ، مطبعة الصدر ، (قم – 1410هـ) ، ج267/4 .

(266) ابو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة للطباعة ، (بيروت – د.ت) ، ص156 .

في حين نقل لنا ابن منظور (ت 711هـ/1311م) وجهة نظر غيره عن الخلافة بقوله انها : ((الامارة ، قال الزجّاج[267] جاز ان يقال للائمة خلفاء الله في ارضه ، وقال غيره : الخليفة : السلطان الاعظم))[268] .

والخلافة في نظر ابن كثير (ت 774هـ/1372م) عند تفسيره الاية الشريفة :

((يا داوُد انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق))[269]

قال : ((هذه وصية من الله عز وجل لولاة الامور))[270] . فهذا يعني ان ابن كثير قد فَسَّر كلمة خليفة بولي الامر .

وقال ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) : ((الخلافة : نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به ، والقائم به خليفة))[271] .

وتطرق بعض الباحثين المحدثين الى ما يعنيه مصطلح الخلافة ، فقد قال احدهم بان الخليفة هو الشخص الذي يتولى ادارة شؤون المسلمين ورئاسة دولتهم بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وسمي خليفة كونه قد خلف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذه المهمة[272] .

واهم ما يمكن استنتاجه من التعريفات السابقة لمصطلح خلافة او خليفة هو ان البعض وهم الاكثرية يعتقدون بان الخلافة تتم في حالة وفاة الشخص المخلوف او غيابه في مهمة ما ، اما البعض الاخر وهم القلة ، فقد اعتقدوا بان مهمة الخليفة تبدا بعد وفاة المخلوف .

---

(267) الزجّاج ، هو ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سري بن السهل الزجّاج النحوي ، كان من اهل العلم والادب ، صنف كتابا في معاني القرآن ، وله كتاب ((الامالي)) وغيره ، وكان يخرط الزجاج ، ثم تركه واشتغل بالادب فنسب اليه ، توفي يوم الجمعة ، التاسع عشر من جمادى الاخرة سنة عشر وقيل سنة احدى عشر ، وقيل سنة ست عشرة وثلثمائة للهجرة ، ينظر ، ابن خلكان ، ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر (ت 681هـ) ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق الدكتور يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1419هـ) ، مجلدا ، ص74 ، 75 .

(268) جمال الدين ابو الفضل (ت 711هـ) ، لسان العرب ، تحقيق عامر احمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2005م) ، مجلدٌ / 497 .

(269) سورة ص/26 .

(270) اسماعيل (ت 774هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، (بيروت – 1406هـ) ، 35/4 .

(271) عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ) ، المقدمة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1413هـ) ، ص151.

(272) ينظر ، يعقوب ، احمد حسن ، النظام السياسي في الإسلام ، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر ، (قم – 1412هـ) ، ص17 .

من جانب اخر وجدنا ان الخلافة قد اخذت عند ابن منظور معنى الامارة او السلطان الاعظم ، او خليفة الله في الارض[273] ، وهذا يعني انه جعل للخليفة السلطتين ، الدينية والدنيوية .

اما مصطلح الامامة ، فهو عند اللغويين والمفسرين قد احتمل الدلالات الاتية :

فكلمة إمام في اللغة عند ابن منظور ، من امَّ في الاصل ، ومعناها : الرئيس ، او الدليل الذي يقود القافلة ، وهي مرادفة لكلمة الهادي ، ومنها كل شخص او شيء يتخذ دليلاً او قدوة[274].

وفي الاصطلاح ، فيرى ابن منظور ان الإِمام : ((كل من ائتم به قوم .... وسيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إمام امته ، وعليهم جميعا الائتمام بسنته))[275] .

وقال الفراهيدي : ((كل من اقتدي به ، وقدم في الامور فهو امام ، والنبي (عليه السلام) إمام الامة ، والخليفة امام الرعية))[276] .

والإِمام عند الراغب الاصفهاني : ((المؤتم به انساناً كان يقتدى بقوله او فعله ، او غير ذلك محقا كان ام مبطلا ، وجمعه ائمة))[277] .

وهناك قول للإِمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) (ت 202هـ/817م) ، يوضح فيه فحوى الامامة بوصف اياها بانها : ((هي منزلة الانبياء ، وارث الاوصياء ، ان الامامة خلافة الله عز وجل وخلافة الرسول ومقام امير المؤمنين وميراث الحسن والحسين -عليهما السلام- ان الامامة زمام الدينونظام المسلمين ... ان الامامة اسس الإِسلام النامي وفرعه السامي ...))[278] .

---

(273) لسان العرب ، مجلدٌ ص497 .

(274) ينظر، لسان العرب ، مجلد 7 ، ص23 ،24 .

(275) لسان العرب ، مجلد 7 ، ص22 ،23 .

(276) العين ، ج428/8 .

(277) المفردات في غريب القرآن ، ص24 .

(278) الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ) عيون اخبار الرضا ، تحقيق الشيخ حسين الاعلمي ، منشورات مؤسسة الاعلمي ، (بيروت – 1984م) ، ج196/2 ،197 ؛ الحراني ، ابو محمد الحسن بن علي (ت القرن الرابع الهجري) ، تحف العقول عن ال الرسول ، تحقيق حسين الاعلمي، منشورات مؤسسة الشريف الرضي ، مطبعة شريعت ، (قم – 1421هـ)، ص323 .

واوضح الشيخ الطوسي (ت 460هـ/1067م) معنى كلمة امام بقوله : ((وقولنا : امام يستفاد منه امران : احدهما انه مقتدى به في افعاله واقواله من حيث قال وفعل ... والثاني انه يقوم بتدبير الامة وسياستها))[279] .

ووردت كلمة امام من حيث الاصطلاح في القرآن الكريم لتدل على معان متعددة منها، القدوة والطريق المبين الواضح . والمقتدى بنا وكذلك بمعنى اللوح المحفوظ[280] .

وخلاصة ما تقدم من قول بشان الامامة فانها تعني القدوة وان القائم عليها يجب ان يكون قدوة في كل شيء ، لا كما ذهب الراغب الاصفهاني بان الشخص المؤتم به يجب ان يقتدى باقواله وافعاله سواء كانت حقا او باطلا .

فالامامة او الخلافة في رأى أحد الباحثين المحدثين هي النظام الذي جعله الإِسلام اساسا للحكم بين الناس ، لاختيار الاصلح من المسلمين لتتجمع حوله كلمة الامة وتتحد به صفوفها وتقام به احكام الشريعة[281] .

---

(279) ابو جعفر محمد بن الحسين (ت 460هـ) ، الرسائل العشرة ، مؤسسة النشر الإِسلامي ، جامعة المدرسين ، (قم-1403هـ) ، ص111 ،112 .

(280) ينظر على التوالي ، سورة البقرة / 124 ، الحجر /79 ، الفرقان / 74 ، يس /12 .

(281) ينظر، مهران ، محمد بيومي (الدكتور) ، الامامة واهل البيت ، مركز الغدير للدراسات الإِسلامية ، ط2 (قم – 1995م) ، ج1/27-28 .

الامامة والخلافة عند اهل السنة

ان السمة المميزة لمفهومي الخلافة والامامة عند علماء اهل السنة يغلب عليها الطابع السياسي والتنظيمي الذي يرمي الى جعل كل شيء ممهدا لرئيس الدولة الإِسلامية[282] . ونجد هذا المفهوم واضحا عند الماوردي ، فيشمل اقامة الحدود وتدبير امور الامة ، وتنظيم الجيوش ، وتحصين الثغور ، ورد المظالم ، وحماية المظلوم ، وقيادة المسلمين في حجهم وغزوهم وتقسيم الفيء فيما بينهم[283] .

ومن جانب اخر يبين الماوردي الدور الخطير للامام بشان حراسة الدين بقوله : ((فليس دين زال سلطانه الا بدلت احكامه ، وطمست اعلامه ، وكان لكل زعيم فيه بدعه، ولكل عصر فيه وهية اثر . كما ان السلطان ان لم يكن على دين تجتمع به القلوب ، حتى يرى اهله الطاعة فيه فرضاً ، والتناحر عليه حتماً ، لم يكن للسلطان لبث ، ولا لايامه صفو ، وكان سلطان قهر ومفسد دهر ، ومن هذين الوجهين وجب اقامة امام يكون سلطان الوقت ، زعيم الامة ، ليكون الدين محروسا بسلطانه ، والسلطان جاريا على سنن الدين واحكامه))[284] .

وعلى الرغم من هذا التزاوج الواضح بين سلطات السلطان الدنيوية وبين ما يجب ان يعتقده من دين ، عند الماوردي اذ ان صلاح احدهما لا يكون الا بصلاح الاخر ، الا ان مسألة النظر في ولاية امر المسلمين المتمثلة بالخلافة او الامامة لا تنسجم مع اهميتها العظمى هذه . فعندما صنف العلماء القدماء من اهل السنة فروع الدين واحكامه ، فلم يعدوا الخلافة او الامامة من فروع الدين ، والانكى من ذلك انهم كانوا دائما يحثون على عدم الخوض فيها والكلام عليها ، بحجة ان ذلك قد يجلب النقد ، بحق الخلفاء ولا سيما الاوائل منهم[285] .

---

(282) ينظر، العوا ، محمد سليم ، في النظام السياسي للدولة الإِسلامية ، المكتب المصري الحديث ، ط6 ، (القاهرة – 1983) ، ص126-127 .

(283) ينظر، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت 450هـ) ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) ، ص18 .

(284) ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت 450هـ) ، ادب الدنيا والدين ، دار الكتب العلمية، (بيروت – د.ت) ، ص113 .

(285) ينظر، قاسم ، اسعد (الدكتور) ، ازمة الخلافة والامامة واثارها المعاصرة ، مركز الغدير للطباعة والنشر، (بيروت – 1997م) ، ص33 .

يقول الغزالي (ت505هـ/1111م) بصدد ذلك : ((اعلم ان النظر في الامامة ليس من المهمات، وليس ايضا من فن المعقولات ، بل من الفقهيات ، ثم انها مثار للتعصبات ، والمعرض عن الخوض فيها اسلم من الخائض وان اصاب ، فكيف اذا اخطأ؟))[286] .

وللآمدي (ت631هـ/1233م) رأي في ذلك مطابق لرأي الغزالي ، يقول فيه :

((واعلم ان الكلام في الامامة ليس من اصول الديانات ، ولا من الامور الابديات بحيث لا يسع المكلف الاعراض عنها او الجهل بها ، بل لعمري ان المعرض عنها ارجى من الواغل فيها ، فانها قلما تنقل عن التعصب ، والاهواء ، واثارة الفتن ، والشحناء ، والرجم بالغيب في حق الائمة والسلف بالازراء ، هذا مع كون الخائض فيها سالكا سبيل التحقيق، فكيف اذا كان خارجا عن سواء الطريق ؟))[287] .

ويمكن ان نستشف من هذه الاقوال السالفة بان دور الامامة او الخلافة عند فقهاء اهل السنة كان ثانوياً وليس جوهرياً ، والاعتقاد السائد لديهم هو عدم الخوض حتى في الكلام بهذا المضمون ، لان تعيين الخليفة او الإِمام متروك للناس في كل عصر ليختاروا من يشاءون ، استنادا الى قوله تعالى : ((وامرهم شورى بينهم))[288] .

فهم يجوزون على الخليفة او الإِمام الجهل والخطأ اذا كان في الناس من هو يقوم خطأه ويرده الى الصواب ويهديه . وقد تصل التنازلات عن الشروط حداً لا يبقى معه شيئا ، وربما صيغت الشروط متاخرة كي تنطبق على الواقع المفروض[289] ، كما لاحظنا ذلك فيما اورده الماوردي وغيره من كلام تعرضوا فيه لهذا الموضوع .

---

(286) ابو حامد (ت 505هـ) ، الاقتصاد في الاعتقاد ، تحقيق الدكتور علي بوملحم ، دار الهلال ، (بيروت – 2002م) ، ص253 .

(287) ابو الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي (ت 631هـ) ، غاية المرام في علم الكلام ، تحقيق ، احمد فريد المزيدي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1424هـ / 2004م) ، ص309 .

(288) الشورى / 38 .

(289) ينظر، العاملي ، مصطفى قصير ، الشورى والبيعة ودورها في انعقاد الامامة الكبرى ، المركز الإِسلامي للدراسات ، (بيروت – 1414هـ / 1996م) ، ص27 .

الامامة والخلافة عند الشيعة الإمامية

يولي الشيعة للخلافة او الامامة اهتماما واضحا لارتباطه بالجانب الديني والدنيوي في آن واحد ، ويبدو هذا الكلام واضحا من خلال قول الإِمام علي (عليه السلام) بشان الإِمام ، الذي جاء فيه : ((وانما الأئمة قوام الله على خلقه ، وعرفاءه على عباده ، لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه))[290] .

واوجب الإِمام علي (عليه السلام) وجود الخليفة او الإِمام ، فعندما نادى الخوارج بمقولتهم المشهورة ((لا حكم الا لله)) ، رد عليهم الإِمام علي (عليه السلام) قائلا : ((كلمة حق يراد بها باطل ، نعم انه لا حكم الا لله ، ولكن هؤلاء يقولون : لا امرة الا لله، وانه لا بد للناس من امير))[291] .

فتعامل الشيعة الإِمامية مع الامامة او الخلافة ينطلق من كونهما التكليف الالهي الذي يتابع مسيرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ويؤدي الوظائف جميعها الملقاة على عاتقه ، باستثناء مهمة الوحي الرسالي ، باعتبار ان الرسالة قد اكتملت على عهد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فيكون دور الإِمام او الخليفة هو تطبيق وتوضيح وتذكير الناس بما ورد في مضمون الرسالة ، ، والإِمام هو القدوة للامة في كل ما للكلمة من معنى ، والمرجع لها في جميع امورها وشؤونها الدينية والدنيوية ، ويجب ان يكون للامام او الخليفة معرفة تامة بالكتاب والسنة وفي اقامة الدين والعدل ، والدفاع عن حرمة الإِسلام[292] .

ووصف احد اعيان مؤرخي الشيعة الإِمام بانه ((امين الله في ارضه وحجته على عباده وخليفته في بلاده ، الداعي الى الله ، والذاب عن حرم الله ، الإِمام المطهر من الذنوب ، المبرّأ من العيوب ، مخصوص بالعلم ... ولا يعادله عالم ... مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب بل اختصاص من المفضّل الوهّاب فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإِمام ، ويمكنه اختياره ؟ هيهات هيهات ...))[293] .

---

(290) نهج البلاغة / الخطبة 152 .

(291) نهج البلاغة / الخطبة 40 ، محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، 91/1 .

(292) ينظر ، العاملي ، الشورى والبيعة ، ص27-28 .

(293) الصدوق ، عيون اخبار الرضا ، 1/2 ، المجلسي ، بحار الانوار ، 124/25 .

لذلك وانطلاقا مما تقدم فان الشيعة الإ ِمامية يعدون الامامة اصلا من اصول الدين ولا يكتمل ايمان الفرد الا بالاعتقاد التام بامامة الائمة او الخلفاء المعينين من الله سبحانه وتعالى عبر رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ان الاعتقاد السائد عند الشيعة الإ ِمامية هو ان الإ ِمام يجب ان يكون :

((اعلم الرعية وافضلهم في خصال الفضل ، لان الله تعالى علل تقديمه عليهم بكونه اعلم واقوى فلولا انه شرط والا لم يكن له معنى))[294] .

ويجب على الإ ِمام الالمام بالسياسة لان امره ونهيه منوط بها . وكونه عالما ليس مما يقتضيه مجرد العقل من غير استناد الى شرع ، اذ يجب ان يكون عالما بجميع ما جعل اليه الحكم فيه[295] .

ويذكر الشيخ الطوسي (ت 460هـ) صفة مهمة يجب ان يتحلى بها الإ ِمام وهي ان يكون معصوما من القبائح والاخلال بالواجبات لانه لو لم يكن كذلك لكانت الحاجة قائمة منه الى أمام اخر ، لان الناس انما يحتاجون الى الإ ِ مام ، كونهم غير معصومين[296] .

وذهب الإ ِمامية الى ان الائمة كالانبياء في وجوب عصمتهم من جميع القبائح والفواحش من الصغر الى الموت ، عمدا وسهوا ، لانهم ((حفظة الشرع والقوامون به ، حالهم في ذلك كحال النبي ولان الحاجة الى الإ ِمام انما هي لانتصاف المظلوم من الظالم ورفع الفساد))[297] .

والامامة عند باحث اخر هي ايضا منصب الهي كالنبوة ، فيما ان الله سبحانه وتعالى يختار من يجده مناسبا للنبوة ويُؤَيَّد بالمعاجز ، كذلك يختار للامامة من يشاء ويامر نبيه

---

(294) الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت 460هـ) ، التبيان في تفسير القرآن ، تصحيح وترتيب ، احمد شوقي الامين واحمد حبيب قصير ، المطبعة العلمية ، (النجف – 1376هـ/1957م) ، 292/2 .

(295) ينظر ، الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت 460هـ) ، تلخيص الشافي ، مراجعة السيد حسين بحر العلوم ، مطبعة الاداب ، (النجف – 1383هـ / 1963م) ، 245/1 .

(296) ينظر ، الحكيم ، حسن عيسى (الدكتور) ، الشيخ الطوسي ، مطبعة الاداب ، (النجف – 1975/1395م)، ص432 .

(297) المظفر ، محمد حسن (الشيخ) ، دلائل الصدق ، (قم – 1395هـ) ، ص3 .

بالنص عليه، للقيام بالوظائف التي كان على النبي القيام بها باستثناء الوحي ، وانما يتلقى الاحكام منه مع تسديد الهي ، فالنبي مبلغ عن الله تعالى ، والإ ِمام مبلغ عن النبي [298] .

والامامة عند الشيعة الاثنى عشرية متسلسلة في اثني عشر اماما كل سابق بالنص على اللاحق ويشترط ان يكونوا معصومين من الخطأ ، وبخلاف ذلك تزول الثقة بهم[299] .

وبين اهم ما تعتقده الشيعة الاثنا عشرية هو ان الله سبحانه وتعالى لا يخلي الارض من حجة على العباد ، نبيا كان او وصيا ، ظاهرا او مستترا ، وقد نص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واوصى الى الإ ِمام علي (عليه السلام) ، ليوصي بدوره الى ولده الإ ِمام الحسن (عليه السلام) ثم اخاه الإ ِمام الحسين (عليه السلام) ، وهكذا حتى الإ ِمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عجل الله فرجه)[300] .

وعلى وفق رؤية الشيعة الإ ِمامية للامامة والخلافة فان هناك تداخلا واضحا بين ما يقوم به الإ ِمام والخليفة من واجبات وحقوق تجاه الناس عامة وياتي في مقدمة تلك الواجبات دفع الظلم عنهم والحرص على اقامة العدل في الارض تطبيقا لشرائع السماء .

---

(298) ينظر ، كاشف الغطاء ، محمد حسين ، اصل الشيعة واصولها ، المكتبة الحيدرية ، ط7 (النجف – د.ت) ، ص98.

(299) ينظر ، كاشف الغطاء ، اصل الشيعة واصولها ، ص98 .

(300) كاشف الغطاء ، اصل الشيعة واصولها ، ص105 .

((المبحث الاول))

الدراسات الاستشرقية التي تبنت الموقف الذي يؤيد عدم استخلاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

من بين المستشرقين الذين ناقشوا موضوع الخلافة وتبنوا الموقف الذي يؤيد عدم استخلاف النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، مقتنعين بهذا الموقف او انهم تأثروا بميول بعض مؤرخي الإِسلام ، هو المستشرق الفرنسي (سيديو) الذي ذكر بان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يضع نظاما لخلافته ، مما ادى بالاطراف الطامحة لنيل الخلافة تفسير سكوته لمصلحة كل منهم ، الى الحد الذي دفع بعضهم الى الاعتقاد بان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قصد بعدم تعرضه لامر خلافته ان يكون صهره وابن عمه علي ابن ابي طالب (عليه السلام) خليفة له ، وقيم (سيديو) هذا الموقف بالقول:((ولو قُبل ذلك لحال دون ظهور ما ضَرّج القرن الاول من الهجرة بالدماء))[301] . وكان على هذا المستشرق مراجعة الاحاديث التي تؤثر على الخلافة .

واضاف سيديو بان الإِمام عليا (عليه السلام) خشى ان يعارض نتائج ما الت اليه الخلافة لحداثة سنه ولذلك لم يبرز في الميدان [المنافسة] ، وتابع سيديو ذكر احداث خلافة ابي بكر (رضي الله عنه) ، وادعى ان ((المصلحة العامة)) هي التي املت على الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) استخلاف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي بدوره قد عهد الى خمسة من الصحابة لانتخاب الخليفة من بينهم ، ، واقصي الإِمام علي (عليه السلام) من الخلافة بـ (خدعة) ولم يتم اختيار الاجدر بها في سنة 644م[302] .

واكد سيديو بان اختيار الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كان من عمل بني أُمية الذين وصفهم سيديو بانهم سادة قريش الذين ناهضوا رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عشرين سنة ولم يسلموا الا لمصلحة ، وشخص سيديو الخلل في اثناء خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بالقول : ((فلم يعرف عثمان كيف يدبر امور سلطته بالحقيقة فنجم عن تراكم اغاليطه حدوث الكارثة التي اودت بسلطته وبحياته في سنة

---

(301) ينظر، تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة – 1367هـ /1948م) ، ص125 .

(302) ينظر ، سيديو ، تاريخ العرب العام ، ص126،125 .

655م... ، فاشتعلت الفتن في كل ناحية ، ولم تكن لعلي ضلع في تلك المؤامرة ، فلم يعارض احد في اختياره للخلافة))[303] .

وختم سيديو كلامه بوصف منصف للامام علي (عليه السلام) ، قائلا : ((وعلي هو من تعلم حرية الضمير وحضورا لمجالس المدينة مع ميله الى القيام بشؤون حياته المنزلية الهادئة... ، جمع زوج فاطمة في شخصه حقوق الوراثة وحقوق الانتخاب ، ووجب على كل واحد ان ينحني امام صاحب هذا المجد العظيم الخالص))[304] .

وجاءت المستشرقة البولندية (يوجينا غيانة شتيسفسكا) لتاخذ بما جاء في كتابات غيرها حيث ذكرت بان الرسول محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما توفي بالمدينة بعد هجرته اليها لم يوص بالخلافة لأحد قبل موته ، ولذلك وقع نزاع عقب موته بين المهاجرين والانصار حتى قال بعضهم ، منا امير ومنكم امير ، فرأى عمر بن الخطاب ان الامر سيشتد فبايع ابا بكر ، وذكرت (شتيسفسكا) خطبته ثم قالت : ((لما حضرته الوفاة اوصى بالخلافة بعده لعمر وذلك لانه رأى انه [أي ابو بكر] صاحب الامر ورئيس الامة فله ان يستخدم بعده من يشاء ، لان الخلافة امانة تحت يديه يجب ان يؤديها الى من هو اهلٌ لها وقد فعل ... وخاف على المسلمين ان يتفرقوا ويختلفوا ان هو ترك الامر للشورى لان كثيرا منهم يرون انفسهم اهلا للخلافة ، فاراد ابو بكر ان يفصل في الامر ليحمي المسلمين من الفتن فكان عمله هذا من السياسة الرشيدة الحكيمة))[305] .

ويمكننا مناقشة (شتيسفسكا) في مضمون رأيها هذا من خلال النقاط الاتية :

1- ذكرت بان الخليفة ابا بكر (رضي الله عنه) قد استخلف لانه كان صاحب الامر ورئيس الامة فله ان يستخدم بعده من يشاء . فهل ان الخليفة ابا بكر (رضي الله عنه) اولى بالامر من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

2- قالت (شتيسفسكا) بان الخلافة كانت امانة تحت يدي الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) وعليه ان يؤديها الى من هو اهلٌ لها . فهل يُعقل ان هذه الحقيقة كانت غائبة عن نبي الإِسلام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، او انه لم يجد الشخص المؤهل الذي يسلمه الامانة ؟

---

(303) ينظر، تاريخ العرب العام ، ص126 .

(304) تاريخ العرب العام ، ص126 .

(305) تاريخ الدولة الإِسلامية وتشريعها ، ص37-42 .

3- بينت (شتيسفسكا) بان سبب تعيين الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خليفة لابي بكر (رضي الله عنه) ، هو خوفه على المسلمين ان يتفرقوا ويختلفوا ان ترك هو الامر للشورى ، واراد ابو بكر بعمله هذا ان يحمي المسلمين من الفتن. وباعتقادنا ان اول من وحد المسلمين وحرص على ضرورة ابعادهم عن كل الفتن ، هو الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لذلك من الاجحاف بحقه (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يقال بان غيره كان حريصا على هذا الامر اكثر منه . وهذا امر غريب ان ابا بكر يؤشر على من يستخلفه خلافا للشورى ويعين عمر من بعده ولا يخشى النبي هذا الجانب .

وتابعت شتيسفسكا التفصيل في موضوع الخلفاء الراشدين ، فعندما تطرقت الى خلافة الإِمام علي (عليه السلام) ذكرت بانه رابع الخلفاء الراشدين وتربى في بيت النبوة وزوجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ابنته فاطمة (عليها السلام) ومع ذلك لم يرشحه للخلافة ابعادا له عن السلطة الشخصية عن ساحة الإِسلام ، بل ترك امر الخلافة شورى بين المسلمين يختارون من يريدون[306] .

ويبدو ان شتيسفسكا في قولها هذا قد اوقعت نفسها في تناقض تام ، ففي الوقت الذي اكدت في قولها السابق بان الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) لم يلجأ الى الشورى عند تعيينه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خوفا على المسلمين من الاختلاف والفرقة ، تجدها تذكر فيما بعد بان الرسول الكريم (رضي الله عنه) قد ترك امر الخلافة شورى بين المسلمين يختارون من يريدون . فهل ان الشورى التي لم يستخدمها الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) قد اختلفت عن الشورى التي استخدمها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ .

وواصلت شتيسفسكا الحديث عن خلافة الإِمام علي (عليه السلام) . فقد ذكرت بان مصدر خلافته كانت الثورة على عثمان (رضي الله عنه) وان بعض الثوار مالوا الى توليته وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ الذي وصفته بانه احد يهود اليمن الذين اسلموا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ، الذي قام بدعاية منظمة لاحداث الفرقة في صفوف المسلمين في مدن واسعة من الدولة الإسلامية مثل مصر والبصرة والكوفة[307] .

---

(306) ينظر، تاريخ الدولة الاسلامية وتشريعها، ص56 .

(307) ينظر، تاريخ الدولة ، ص58 .

ولا بد ان نذكر بان شخصية عبد الله بن سبأ هي شخصية اسطورية ، وأورد ذلك عدد من دارسي التاريخ[308] .

وفي محور اخير فصلت (شتيسفسكا) في كر الاحداث السياسية والادارية في عهد الإ ِمام علي (عليه السلام) ومنها الاجراء الذي اتخذه بعزل الولاة الذين عينهم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) من قبل ، ممن كانوا سببا في الثورة واستياء الناس ، رغم تحذير البعض له من اتخاذ مثل هذا الاجراء ، ثم مبادرته باسترداد الاقطاعات التي كان الخليفة عثمان (رضي الله عنه) قد منحها لبعض المقربين منه ، وكذلك اتباع الإ ِمام علي (عليه السلام) الالية التي طبقها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في توزيع العطاء ، وقد وصفت (شتيسفسكا) هذه الاجراءات بقولها : ((وكل هذا راجع الى شدته في الحق وعدم المرونة السياسية التي يتبعها غيره من الرؤساء السياسيين . من اجل ذلك كان عهده عهد اضطراب في البلاد الإ ِسلامية))[309] .

ولم يختلف المستشرق الانكليزي (روم لاندو) عن سابقيه في القول بان وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تركت الإ ِسلام الوليد من دون قائد ، مما ادى الى تنافس ثلاث جماعات في مكة على الخلافة ، واولى هذه الجماعات قد ايدت الإ ِمام علي (عليه السلام) صهر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدته الخليفة الشرعي الوحيد ، ومما زاد اتباع الإ ِمام علي (عليه السلام) او العلويون تشبثا بدعواهم على حد تعبير (روم لاندو) ، هو ايمانهم بان منطق الاشياء يحتم ان يكون الله (سبحانه وتعالى) قد قضى بان يخلف النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خلفاء من اقربائه الادنين .

اما الجماعة الثانية الطامعة في الحكم التي ذكرها (روم لاندو) فهم الفرع السفياني الذين سعوا لاستعادة ثروتهم القديمة ونفوذهم السابق عن طريق الدين الجديد ، والجماعة الثالثة الطامعة في الوصول الى الخلافة هي التي اكدت على العرف السائد القاضي بان يختار ((ارشدهم وارجحهم عقلا)) كي يكون ((زعيما وقائدا)) ، وكانت نتيجة المنافسة بين هذه الجماعات الثلاث بان اختير الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه)[310] .

---

(308) لغرض الوقوف على تفاصيل هذا الموضوع ، ينظر ، حسين ، طه ، الفتنة الكبرى ، دار المعارف، ط/9 (القاهرة – 1976) ، ج46/2 ؛ الوائلي ، احمد (الدكتور) ، هوية التشيع ، دار الكتب للمطبوعات ، (بيروت – 1987) ، ص . العسكري ، مرتضى ، عبد الله بن سبأ واساطير اخرى ، منشورات كلية اصول الدين ، (بغداد – 1968) ، ص37-56 .

(309) تاريخ الدولة الإ ِسلامية ، ص58 .

(310) روم لاندو ، الإ ِسلام والعرب ، ص58،59 .

واهم ما يمكن استنتاجه من كلام المستشرق (روم لاندو) هو انه كان ناقلا لأحداث الخلافة والصراعات التي رافقتها دون ان يكون له رأي محدد في احقية من من الاطراف الطامعة ليتولى الخلافة .

وحاول مستشرق اخر وهو (بيتر ما نسفلد peter Mansfield) مناقشة موضوع الخلافة ، فقد ذكر بانه عندما توفي النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة في الثامن من حزيران عام(11هـ/632م) بعد مرض شديد ، لم يترك تعليمات حول من سيخلفه كونه لم يكن لديه اولادا ، وعلى الرغم من الميزة التي يحظى بها كل من صهره وزوج ابنته علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، وصاحبه ابو بكر (رضي الله عنه) ووالد زوجته عائشة ، ولكن لم يكن هناك سبب تقليدي او قانوني يجوز ان تؤول الخلافة بموجبه لاحدهما ، وبعد جدل طويل بين المسلمين حصل ابو بكر (رضي الله عنه) على الخلافة ، وقد بايعه علي (عليه السلام) على مضض منه بعد عدة اشهر ، وعلى اية حال والكلام لـ (مانسفلد) ، فان العديد من الناس بقوا على اعتقادهم بالخلافة الحقيقية هي من حق الإِمام علي (عليه السلام) وذريته ، وان معاوية وورثته من بني امية هم مغتصبون دنيويون للخلافة[311] .

اما المستشرق الالماني (كارل بروكلمان) فقد انساق وراء الروايات الضعيفة التي حاول واضعوها النيل من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بابتعادهم عن الحقائق التاريخية ، فقال بروكلمان :

((ألحَّ المرض على النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] واشتد ، فصار يهذي في حال وعيه، وفي يوم الاحد ، 7تموز ، حاول ان يملي وصيته الاخيرة ، ولكن عمر رأى من الخير ان يمنعه من ذلك خشية ان يكون في صدور بعض الاوامر عن النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] في تلك الحال التي لا تساعد على التفكير الصافي ، ما يهدد بالخطر قضية المسلمين))[312] .

والباحث في مصادر التاريخ الإِسلامي يجد البخاري قد ذكر هذه الحادثة التاريخية باسلوب اخر خفف فيه من حدة قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي وصف فيه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بانه كان يهجر ، فقد نقل البخاري قولا لأبن عباس (رضي الله عنه) اكد فيه ان الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) عندما حضرته

---

(2)peter Mansfield , the great Arab Explosion , p.35-38.

(12) كارل ، تاريخ الشعوب الإِسلامية ، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط2 (بيروت – 1953) ، ص79 .

الوفاة كان في بيته رجال بينهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ((هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده)) فقال عمر : ((ان النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله))[313].

لكن المستشرق الفرنسي (رسلر) (j.s.Restler) تناول موضوع الخلافة بطريقة مختلفة عن (بروكلمان) فقد ذكر بان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل وفاته لم يعين احدا خليفة له ، وحدث ما يحدث عادة حينما تصبح عملية اختيار الحاكم مرهونة بالموافقة الشعبية ، فتشكلت احزاب مختلفة ، يعارض بعنف بعضها البعض ، واشار (رسلر) الى احد هذه الاحزاب الذي اسماه بحزب الصحابة المهاجرين وحزب الانصار الذين وصفهم باوفياء الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ، واضاف لهم حزبا اخرا اسماه بالمدافعين عن الحقوق الشرعية ، المعارضون لمبدأ التعيين بالانتخاب ، انصار الحق الالهي الذين تمسكوا بالإ ِمام علي (عليه السلام) بوصفه احد السابقين الى الإ ِسلام وزوج السيدة فاطمة (عليها السلام) ، اما اخر حزب ذكره (رسلر) فهو حزب الامويين الذين هم اخر من اعترف بالإ ِسلام ، وانهى حديثه عن الخلافة بهذه العبارة :

((ولم توجد قضية سياسية اراقت كثيرا من الدم الإ ِسلامي مثل مشكلة الخلافة هذه ، وهي المشكلة الاولى التي طرحت امام الإ ِسلام ، ولم تحل بعد قانونا))[314] .

ومما يجدر الاشارة اليه ان موقف (رسلر) من الخلافة لا يختلف عن سابقه المستشرق (روم لاندو) ، واستخدم نفس الاسلوب في عرضه لمجريات الصراعات التي رافقت عملية الاستئثار بها . من جانب اخر فقد استخدم مصطلح (الحزب) وهو من المصطلحات التي استخدمها المؤرخون المحدثون ، ومن استخدم ما يدل عليه من المؤرخين الاوائل فقد استخدم لفظ (الجماعة) ، مثل جماعة المهاجرين او جماعة الانصار[315] .

اما المستشرق الفرنسي (اتيين دينيه) فقد اعطى لموضوع اختيار خليفة رسول الله اهمية اكبر من موضوع دفن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ويبدو ذلك واضحا من خلال قوله : ((كان على المؤمنين قبل التفكير في دفن الرسول [صلى الله عليه وآله وسلم] ان يفكروا في صد الخطر المحدق بالإ ِسلام الذي فقد زعيمه الملهم ، الذي ضم تحت لواء

---

(313) الصحيح ، باب قول المريض قوموا عني ، ص1033 .

(314) ينظر ، رسلر ، جاك س ، الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبد عون ، مراجعة الدكتور احمد فؤاد،الدار المصرية للتاليف والترجمة ، (القاهرة – د.ت) ، ص38 .

(315) ينظر علي سبيل المثال ، اليعقوبي ، احمد بن يعقوب (ت292هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر، (بيروت-د.ت)،ص126.

التآخي في الدين أسَرا وقبائل فرقت بينها قرون من العداء ، فما عسى ان يكون مصير هذا التاخي ؟))[316].

ومن خلال القول المتقدم لـ (دينيه) يتضح لنا بانه اراد ان يعطي فكرة ايجابيه عما جرى في السقيفة بوصف ذلك ضرورة ملحة فاقت حتى مسألة دفن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وان ما اقدم عليه الصحابة لا تشوبه شائبة وحدث في الوقت المناسب .

واضاف (دينيه) بان القتال الدموي من اجل الاستحواذ على الخلافة كان اقرب من حبل الوريد ، ولم يتمكن المسلمون من تجنبه لولا حكمة الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ، الذي اسكت الاطراف المتنازعة وابان لهم ان النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- في اواخر ايامه قد عين ابا بكر -رضي الله عنه- يصلي بالناس بدله ، ولو كان عين احدا للخلافة لما عين الا ابا بكر -رضي الله عنه-[317] .

واهم ما يمكن ان يؤاخذ عليه (دينيه) هو اعتماده على مصادر احادية النظرة التي تؤكد بان النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- لم يستخلف احدا ، وهذه باعتقادنا اهم سلبية تؤثر على الباحث التاريخي ، لان الاخذ بروايات احد اطراف المشكلة يعد خللا واضحا يعترض سبيل الوصول الى نتائج منصفة .

ولم يتجاوز المستشرق الانكليزي (ارنولد Arnord 1864-1930) هذه السلبية حينما تطرق الى الخلافة ، فقد تبنى وجهة نظر المستشرق المسيحي الكاثوليكي (لامنس Lammens) ومفادها ، ان مجرد وصول خبر وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى اذان اخص اصحابه ((فقد عملوا حالا على تامين انتخاب ابي بكر طبقا للخطط التي رسموها بكل تاكيد عندما توقعوا قرب اجل مؤسس عقيدتهم والتحاقه بالرفيق الاعلى))[318].

ووفقا لوجهة النظر هذه فان انتخاب الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) كان على وفق مخطط قد اعد له مسبقا ويبدو ان الكثير من المستشرقين لم يهضموا حالة النص وانما كان الاختيار هو الارجح عندهم وفق المصادر المؤيدة للخلافة .

واشار (ارنولد) ايضا الى وجهة نظر اخرى للمستشرق الايطالي (كايتاني Caetani) بشان تعيين الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لخمسة من الصحابة على ان يتم

---

(316) محمد رسول الله ، ص305 .

(317) ينظر، محمد رسول الله ، ص305 .

(318) ينظر ، ارنولد ، السيدتوماس ، الخلافة ، ترجمة حسن حيدر الشيباني ، مطبعة دار التضامن ، ط2 (بغداد – 1961م) ، ص15 .

اختيار الخليفة من بينهم من بعده ، حيث وصف (كايتاني) هذا الاجراء بالقول: ((ان تعيين عمر لجماعة من الناخبين انما كان بدعة الازمنة المتاخرة لتبرير العملية التي سيطرت طوال العصر العباسي وهي اعلان صلاحية ولي العهد))[319] .

ومن بين المستشرقين الذين اخضعوا الروايات التاريخية المتعلقة بالخلافة الى التحليل والنقد، هو الروماني (كونستانس جورجيو) ، فقد ذكر بان النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- طلب قبيل وفاته كاتبا يسجل له وصاياه ، وكان احداها تعيين خليفة له ، وقد علم بهذا الموضوع كل من الإِمام علي (عليه السلام) وابو بكر (رضي الله عنه) وعمر (رضي الله عنه) ، وعند حضور هؤلاء الثلاثة مجلس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شعر بالاحراج ولم يستطيع تعيين خليفته ، وقد علق (كونستانس) على هذه الرواية التي استقى اطارها العام من مصادرنا التاريخية ، بقوله : ((لكن هذه الرواية ضعيفة جدا ، لان النبي اقوى من ان يتراجع عن تعيين خليفته ، لان هذا الامر ذو اهمية كبيرة لدين الإِسلام ، فلا حاجة للتردد ، ولا يمكن ان يتراجع عن ابداء رايه ، مع العلم ان نفوذ كلامه في المسلمين كبيرا جدا ، ومقبول لديهم جميعا ، ومحمد [صلى الله عليه وآله وسلم] الذي اشترك في ثمانين معركة صغيرة وكبيرة ، وعين قواداً لهذه المعارك دل على عزم وجرأة ، وهو في هذا المقام اقوى من تعيينه القواد لتلك المعارك ، ولهذا نرفض هذه الرواية))[320] .

اما المستشرقة (فاغليري Vaglieri) فقد تناولت جوانب عدة تتعلق بالإِمام علي (عليه السلام) ومنها موضوع الخلافة وموقفه منها ودوره في الاحداث التي ادت الى انهاء خلافة عثمان (رضي الله عنه) ، والاجراءات الادارية التي اتخذها عقب توليه خلافة المسلمين .

واول المواضيع التي اشارتاليها (فاغليري) هو ، حادثة بقاء كل من الإِمام علي (عليه السلام) وطلحة والزبير وعدد من الصحابة في بيت النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- لمعاينة جسده والترتيب لعملية الدفن في الوقت الذي تم فيه اختيار ابو بكر -رضي الله عنه- خليفة ، وعلقت فاغليري على ذلك بالقول : ((ومن المشكوك فيما اذا كان علي يامل بخلافة محمد [صلى الله عليه وآله وسلم])) ، وحجة (فاغليري) في ذلك ان العرب لديهم ((قانون)) ينتخبون بموجبه رؤسائهم من ذوي الاعمار الكبيرة ، وواصلت القول: ((في سنة 11هـ / 632م كان لعلي اكثر من الثلاثين من العمر بقليل وليس لديه ميل لتولي السلطة الشرعية . اما الشيعة فوفقا لمعتقداتهم المخترعة او الماولة فان النبي قد نوى ان يعطي

---

(319) ارنولد ، الخلافة ، ص16 .

(320) نظرة جديدة ، ص386 .

الخلافة بعده الى صهره علي ، ولكن ما هو مؤكد ان النبي في ايام مرضه الاخير لم يوضح هذه الرغبة))[321] .

واضافت (فاغليري) القول بانه على وفق المراجع للعربية ، كان الإِمام علي (عليه السلام) مستشارا قيما للخلفاء الذين سبقوه ولكن من المشكوك فيه فيما اذا كانت نصائحه في القضايا السياسية مقبولة من جانب عمر ، حيث انه كان يساله النصيحة في المسائل القانونية [الشرعية] وذلك لمعرفته الممتازة بالقرآن والسنة ، وكان لإِمام علي (عليه السلام) ذا وجهة نظر تتعارض بشكل تام مع وجهة نظر الخليفة حيث كان يرى ضرورة توزيع مصادر الدخل الحكومي دون ابقاء أي شيء احتياطي وهذا ما كان يعارضه الخليفة عمر (رضي الله عنه)[322].

وركزت (فاغليري) على بعض عوامل الخلاف بين الإِمام علي (عليه السلام) والخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، وفي مقدمة هذه العوامل هو اتهام الخليفة عثمان - رضي الله عنه -بالحيود عن القرآن والسّنة وخاصة في اقامة حدود الله ، حيث اصر الإِمام علي (عليه السلام) على تطبيق القانون الالهي ، وحدث ذلك بعد ادانة الوليد بن عقبة عامل الخليفة عثمان على الكوفة ، بجريمة شرب الخمر[323] .

يُذكر ان المسعودي (ت 346هـ) قد وصف حال الوليد بن عقبة انه كان يشرب الخمر مع ندمائه ومغنيه من اول الليل الى الصباح ، وفي احد الايام صلى بجمع من المسلمين صلاة الصبح اربع ركعات وقال : اتريدون ان ازيدكم؟ ، وشاع هذا الفعل بين اهالي الكوفة ، فهجم عليه جماعة في بيته فوجدوه سكران ومضطجعا على سريره لا يعقل ، فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا الى المدينة يقصدون الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، فشهدوا عنده ان الوليد قد شرب الخمر ، فسألهما عثمان ما يدريكما انه شرب الخمر؟ فاجابوه : هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية . ثم اخرجوا الخاتم ودفعوا به الى الخليفة . بعد ذلك خرجوا الى الإِمام علي (عليه السلام) واخبروه بما جرى ، فاتى عثمان ليقول له : ((دفعت الشهود وابطلت الحدود ، فقال له عثمان : فما ترى؟ قال : ارى ان تبعث الى صاحبك

---

(1)Vagliere . the Encyclopadia of Aslam , New Edition , p.382

(2)Vagliere ,the Encyclopedia , new , p.382.

(3)Vagliere ,the Encyclopedia , new , p.382.

فتحضره))[324]، وبعد ان اقيمت الشهادة ضده فالقى الخليفة السوط الى الإ ِمام علي لينفذ عقوبة الجلد بالوليد ، ولكن الإ ِمام قد كلف ابنه الإ ِمام الحسن (عليه السلام) للقيام بذلك[325] .

والعامل الاخر في الخلاف بين الإ ِمام علي (عليه السلام) والخليفة عثمان (رضي الله عنه) حسب ما ذكرته فاغليري هو قيام الخليفة عثمان بنفي الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري من المدينة بعدما وعظ الناس حول الاعمال الشريرة للجبابرة ، عند ذلك قام الإ ِمام علي (عليه السلام) واولاده بتوديعه عند رحيله رغم منع الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ومعارضته[326] .

ومن الامور المهمة التي اولتها (فاغليري) اهتماما هو الثورة على الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، فقد اتهمت الإ ِمام علي (عليه السلام) بالمشاركة او المساعدة او التشجيع على الثورة التي ادت الى قتل الخليفة ، ويبدو ذلك واضحا من خلال قولها :

((عندما جاء الثوار من مصر الى المدينة ليتفاوضوا مع عثمان ، كان علي وسيطهم او واحد من وسطائهم ، وعندما عادوا الى المدينة مرة اخرى وحاصروا بيت عثمان طلبوا من علي ان يكون قائدهم ، ورغم انه رفض ، الا انه بسلوكه شجع الثوار خلال الحصار. وهناك اسباب للشك كونه على اتفاق معهم بالمطالبة من الخليفة التنحي عن الخلافة ، الوقت نفسه فان أي مشاركة منه في العمل الدموي مستبعدا))[327] .

وحاولت (فاغليري) تثبيت التهمة على الإ ِمام علي (عليه السلام) من خلال القول الاتي:

((ما هو مؤكد ان عليا سمح لنفسه ان يعين كخليفة من قبل الثوار الذين تلطخت ايديهم بدم عثمان ، وكان هذا خطأ لانه عرّضه لأتهامات باشتراكه بالجريمة ، رغم ان بعض الاحاديث تمثل كيف انه كان يسعى ، ولو عبثا للتخلص من اتباعه الاكثر اثارة للشقاق ، ورغم نصائح ابن عباس له بالتمهل الا ان علي وبدون تاخير قام باتخاذ بعض الاجراءات التي طلبتها المعارضة من عثمان ، حيث قام بتنحية الحكام (الولاة) الذين عينهم عثمان واستبدلهم قدر التمكن بولاة من حزبه وقام باسترضاء العامة عن طريق توزيع الاموال عليهم بمساواة جديرة بالثناء))[328] .

---

(324) ينظر، مروج الذهب ، 487/2؛ابن كثير ، ابو الفداء الدمشقي (ت 774هـ) ، البداية والنهاية ، تحقيق ، الدكتور احمد بو ملحم واخرون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) ، 161/7 .

(325) صحيح مسلم ، ص766 ، كتاب الحدود ، باب حد الخمر .

(3)Vagliere , the Encyclopedia . p.382.

(4) Vagliere , the Encyclopedia, p, 382.

(1)Ibid , p, 382.

وابدت فاغليري اعتقادها بان الاحاديث الواردة بخصوص اسلوب انتخاب الإِمام علي - عليه السلام- ورغبته في قبول الخلافة كان يكتنفها الغموض ، ومن جانب اخر ، اعطت معاوية بن ابي سفيان المبرر الذي يجعله يحتج على ان انتخاب الإِمام علي (عليه السلام) لم يكن صحيحا كونه قد تم بالاقلية بسبب مغادرة المدينة بعض الافراد ومنهم طلحة (ت 36هـ/656م) والزبير (ت 36هـ/656م) ، محمد بن مسلمة (ت 43هـ/663م) ، المغيرة بن شعبة (ت 50هـ/670م) ، اسامة بن زيد (ت 54هـ/673م) ، سعد بن ابي وقاص(ت55هـ/674م) و عبد الله بن عمر (ت73هـ) .

ولو حاولنا تقييم ما ذكرته (فاغليري) بشان اتهامها للامام علي (عليه السلام) بالاشتراك في الثورة على الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، او ان انتخاب الإِمام علي (عليه السلام) خليفة للمسلمين كان بسعي من الثوار ، نجد ان في هذا القول تجني على الحقائق التاريخية، ويمكن ادانة فاغليري من خلال قولها انف الذكر ، فقد ذكرت بان انتخاب الإِمام علي (عليه السلام) لم يكن صحيحا كونه قد تم بالاقلية بسبب مغادرة المدينة بعض الافراد وكان على راسهم طلحة والزبير وعبد الله بن عمر . واحداث التاريخ تؤكد بان هؤلاء كانوا فتيل الثورة على الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بل كانوا الاداة التي نفذت مآرب الثوار ، ولو انهم على اتفاقمسبق مع الإِمام علي (عليه السلام) لالتزموا ببيعتهم له عندما قِبل بالخلافة على مضض منه ، ولم يغادروا المدينة .

ولم يختلف المستشرق (مرجليوث D.S. Margolioth) عن فاكليري في محاولته القاء تبعات الثورة التي ادت الى مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) على عاتقالإِمام علي (عليه السلام) ، حيث ذكر هذا المستشرق بان الإِمام عليا (عليه السلام) قد حصل على الخلافة بدعم من المتمردين الذين قتلوا الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، وان الإِمام عليا (عليه السلام) اجبر بعد ذلك على ان يبدي مقته واشمئزازه لذلك العمل ، فجلب بذلك لنفسه عداوة المتآمرين على قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) عندما قبل التحكيم في صراعه ضد معاوية ، وانتقاما منه قام احد الناجين من معركة النهروان التي حدثت سنة (38هـ) باغتياله بعد فترة من المعركة[329] .

وبشان موضوع الفتنة التي اودت بحياة الخليفة عثمان ، ذهب المستشرق (مورغان) ، الى القول : ((وبدا – فترة ما – ان الرأي منصرف لمناصرة علي ، احد كبار الصحابة واوائل الذين دخلوا في الإِسلام ، وابن عم النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] وزوج ابنته

(2) Margoliouth D.S. , Encyclopedia of Religion and Ethics , V.II,P.693.

ووالد احفاده، وكان رجلا متقشفا متعبدا محاربا مبجلا . ولكن القوات التي خرجت من الفتنة متوزعة الاهواء لم يكن بالامكان – وآسفاه – السيطرة عليها ، وقد دفع علي الثمن كاملا لموقفه وتحفظه [في] اثناء الهجوم على سلفه يوم لم يتقدم علنا للدفاع عن القانون وحفظ النظام ، والقى بعضهم المسؤولية عليه في مقتل عثمان وراحوا يطالبونه باقامة البينة على عدم مشاركته في المؤامرة بان يقع القصاص بالجناة المعتدين ، ولكن ذلك لم يكن باستطاعة علي ، لا لانه كان متورطا معهم بل لان مسؤولية ما وقع كانت متوزعة هنا وهناك))[330] .

ويمكن ان يكون (مورغان) قد اصاب فيما قاله الا في نقطة واحدة وهي ان الإ ِمام علي قد تحفظ في اثناء الهجوم على الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ولم يتقدم علنا للدفاع عن القانون وحفظ النظام ، وحقيقة الامر ليس كما يدعيه (مورغان) ، لان الإ ِمام عليا (عليه السلام) حاول بكل الوسائل الحيلولة دون وقوع ذلك ، فارسل ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) الى بيت الخليفة عثمان لتهدئة الموقف مع الثوار وكانا يحملان الماء الى الخليفة المحاصر في داره ، ومن جانب اخر فان الدفاع عن القانون وحفظ النظام كانا بيد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بوصف ان السلطة كانت بيده ، وربما كونه لم يوفق في تطبيق القانون وحفظ النظام بشكل تام ، فقد اثار بذلك حفيظة الناس الى الدرجة التي لم يتوقع الإ ِمام علي -عليه السلام- ان تصل الامور الى حد القتل ، بل حسب بانها عملية ضغط على الخليفة من اجل الوفاء بوعوده التي قطعها للمعارضين ، من اجل تصحيح مسار الخلافة وما آلت اليه الاوضاع في عهده .

وناقش المستشرق الالماني (فلهوزن) بشكل مستفيض موضوع الخلافة ، حيث عد موت النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبروز مشكلة الخلافة من اهم المصاعب التي واجهت المسلمين ، كون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يتلاف ترك رعيته دون راع ، على حد تعبير (فلهوزن) ، رغم وجود القرآن والسُنّة ، ولكن لم يرد فيهما من هو الخليفة ، على ان ذلك لم يكن معناه الاستغناء عن الخليفة ، بل كان لابد من تعيين امام يؤم الناس في الصلاة ويرأس الحكومة ، والمشكلة لا توجد طريقة للانتخاب المنظم ولم يكن هناك حق وراثة النبوة[331] .

---

(330) كينيث و.مورغان ، الإ ِسلام السراط المستقيم ، ص76 .

(331) ينظر تاريخ الدولة العربية ، ص32-38 .

وذكر (فلهوزن) الاحداث التي رافقت اختيار الخليفة ابو بكر -رضي الله عنه- والدور الذي مارسه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في الضغط على الاطراف الطامعة في الخلافة للتنازل الى ابي بكر ، وكيف انه عين من بعده الخليفة عمر بن الخطاب.

وقال فلهوزن بحق خلافة كل من ابي بكر وعمر -رضي الله عنهما- ، : ((وكان ابو بكر وعمر يعلمان انهما لم يتوليا الخلافة بفضل حق شرعي ، بل من طريق الاغتصاب ، وهما لم يستطيعا ان يسبغا على رئاستهما ، التي كانت غير شرعية في اول الامر ، ثوبا شرعيا الا فيما بعد ، وذلك بان سارا في الحكم على المبادئ التي تقضي بها الحكومة الثيوقراطية))[332] .

واصبحت خلافة كل من الخليفتين ابي بكر وعمر (رضي الله عنهما) شرعية بنظر المستشرق فلهوزن ، لانهما كانا يرجعان الى القرآن والسنة في الحكم على الاشياء[333] .

واضاف فلهوزن ان مقتل الخليفة عمر قد اعاد مشكلة الخلافة من جديد ، فلم يكن الخليفة قد اوصى بان يكون الامر من بعده للإمام علي (عليه السلام) ، بحكم كونه ابن عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوج ابنته ، الذي كانت لديه ((مطامع)) في الخلافة، بل لديه شعور بانه قد تخطي من قبل ، اما الذي فعله الخليفة عمر (رضي الله عنه) ، فقد اوصى بان يكون تعيين الخليفة من بعده عن طريق مجلس الشورى ، وقد تخطى اعضاء هذا المجلس الإمام علي (عليه السلام) ايضا ، لانهم لم يعترفوا له بانه صاحب الحق الاول ، فانتخبوا الصحابي المسن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، ولكن النتيجة جاءت مخيبة لظنهم ، لان ما كان عليه الخليفة عثمان (رضي الله عنه) من ضعف لم يجدِ نفعا لهم ، بل كان مفيدا لبني امية[334] .

وتعرض (فلهوزن) الى ممارسات الخليفة عثمان (رضي الله عنه) تجاه اقاربه مما سبب في الثورة عليه ، وقد فصّل في احداث هذه الثورة ، وحمّل كبار الصحابة مسؤوليتها بقوله : ((اما كبار الصحابة الذين كانوا يحملوا الوزر في اندلاع نار الثورة ، وهم علي وطلحة والزبير ، فانهم لم يبذلوا أي جهد لاخمادها ، وربما كان موقفهم من الخليفة ، هو انهم اظهروا اسفهم انهم لا يستطيعون مساعدته لان ايديهم مقيدة ، ولكونهم انما كانوا يظهرون

---

(332) تاريخ الدولة العربية ، ص32-38 .

(333) ينظر، تاريخ الدولة العربية ، ص38 .

(334) ينظر، تاريخ الدولة العربية ، ص38 ، 39 .

غير ما يبطنون ، اما الحقيقة فهي انهم لم يعملوا على ايقاف سير الحوادث آملين ان تنتهي بفائدة لهم))[335] .

ومن الممكن ان يكون المستشرق (فلهوزن) قد شخص السبب الدافع لبعض الصحابة في الثورة على الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، ولكن ليس كل الصحابة الذين اشار اليهم في قوله المتقدم ، فقد جعلالإ ِمام علي (عليه السلام) واحدا منهم ، والحقيقة غير ذلك تماما ، لان الإ ِمام علي (عليه السلام) لو كانت غايته الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، لما رفض تسلمها بادئ الامر بعد ان تحقق له ما يريد حسب اعتقاد فلهوزن .

لذلك نجد في قول الإ ِمام علي (عليه السلام) ما يفند كلام المستشرق فلهوزن وغيره ، فقد ذكر في اشارة منه الى دفاعه عن الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، فقال :

((والله ، لقد دفعت عنه حتى خشيت ان اكون آثماً))[336] .

يضاف الى ذلك وحينما ارسل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بطلب الى الإ ِمام علي (عليه السلام) بالتدخل من اجل تزويده بالماء عندما حاصره طلحة وجماعته ، فقال عثمان (رضي الله عنه) : ((ان فلانا يعني طلحة – قد قتلني بالعطش او القتل بالسلاح اجمل من القتل بالعطش)) ، فخرج الإ ِمام علي (عليه السلام) الى دار الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، وامر طلحة بان يزوده بالماء ، ولكنه لم يستجب ، فدار سجال بين الإ ِمام وطلحة، وخرج الإ ِمام علي (عليه السلام) وارسل براوية من الماء الى الخليفة المحاصر[337] .

ولا يمكن ان نعد موقف المستشرق الانكليزي(مونتغمري واطMontygomery Wat) من الخلافة مختلفا عن سابقيه ، حيث ذكربان في عصر ما قبل الإ ِسلام لم يكن هناك قانون يحق للابن البكر ان يستخلف اباه في رئاسة القبيلة ، ولكن من النادر جدا ان يموت شيخ قبيلة ما قبل ان يصبح ابنه الاكبر في السن اذا كان ذا كلمة مبكرة ، هو الذي يقود العشيرة ، وهذا على حد قول (واط) ربما ينطبق على الخلفاء الراشدين الذين حكموا الدولة الإ ِسلامية اذا ما أُعتبر المهاجرون الاوائل على انهم عائلة منفردة او قبيلة منعزلة ، واضاف (واط) بانه من الخير لهذه الجماعة ان يكون الخليفة هو الشخص المؤهل ، وقال واط بعد ذلك ((ورغم ان الشيعة فيما بعد بالغوا في حقيقة ان عليا يعود نسبه الى محمد [صلى الله عليه وآله وسلم] وقبيلة هاشم ، الا ان هذا ليس بالضرورة ما اهله لان ينصب خليفة في عام

---

(335) تاريخ الدولة العربية ، ص48 ، 49 .

(336) نهج البلاغة /الخطبة 240 ، محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ج233/2 .

(337) ينظر ، الطبري ، تاريخ ، 358/4 ، محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، 148/2 ، 153 ، 154.

656م ، وتم اختياره فيما بعد لانه كان من ابرز المهاجرين الذين بقوا على قيد الحياة))[338] .

واضاف (واط) بان المسلمين المتواجدين في المدينة قد انتخبوا عليا (عليه السلام) وكان انتخابه على اية حال لم يقر بالاجماع بسبب رفض معاوية مبايعته يضاف له قليل من المكيين الذي ينحدر منهم ابو بكر (رضي الله عنه) وعمر (رضي الله عنه) ممن رفعوا السيوف في وجه الإ ِمام علي (عليه السلام) ، وقد غادر الإ ِمام علي (عليه السلام) المدينة متوجها الى الكوفة ليكون قريبا من العمليات العسكرية ، وختم (واط) كلامه عن الإ ِمام علي ، بقوله :

((ولم تزد الخلافة عليا شرفا ولا منصبا))[339] .

ويبدوا لنا من الكلام المتقدم لـ (واط) بانه اراد القول ان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يستخف احداً ، وان ما ورد على لسان الشيعة حول صلة القرابة التي بينه وبين الإ ِمام علي (عليه السلام) لم تكن هي المقياس في انتخاب الإ ِمام علي (عليه السلام) للخلافة ، وبذلك فان (واط) لم يتعرض للروايات التي اكدت استخلاف الإ ِمام علي (عليه السلام) مذ كان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على قيد الحياة .

ولم يكن (واط) دقيقا في قوله بان انتخاب الإ ِمام عليا (عليه السلام) لم يقر بالاجماع ، ولا نبالغ اذا ما قلنا بان بيعته في شرعيتها تفوق البيعات الثلاثة السابقة ، لانها جاءت عفوية وبالحاح عامة الناس .

فنجد عند الطبري ما يشير الى ذلك بوصفه للبيعة قائلا :

((اتاه اصحاب رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] فقالوا ... لا بد للناس من امام ولا نجد اليوم احداً احق بهذا الامر منك ، لا اقدم سابقة ولا اقرب من رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] ، فقال : ((لا تفعلوا ، فاني اكون وزيرا خير من اكون اميرا ، فقالوا ما نحن بفاعلين حتى نبايعك ، قال : ففي المسجد فان بيعتي لا تكون خفيا ، ولا تكون الا عن رضا المسلمين .... وابى هو الا المسجد ، فلما دخل ، دخل المهاجرون والانصار فبايعوه ، ثم بايعه الناس))[340] .

---

(1)Wat, Montygomery , Islam and Integration of Society, London Routled and Kegan Paul,p.165.

(2)Wat,Aslam and the integration of society , p.97, 65.

(340) الطبري ، تاريخ ، 427/4 .

لقد وصف الشيخ المفيد هذه البيعة قائلا : ((ثبتت البيعة لامير المؤمنين باجماع من حوته مدينة الرسول [صلى الله عليه وآله وسلم] من المهاجرين والانصار واهل بيعة الرضوان ، ومن انضاف اليهم من اهل مصر والعراق في تلك الحال ، من الصحابة والتابعين باحسان))[341].

اما المستشرق الانكليزي ((بودلي)) فقد اشار الى خلافة الإ ِمام علي (عليه السلام) فذكر انه بعدما انتهى المسلمون من دفن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اجتمع مجلس الشورى الذي حدد اسماءه الخليفة عمر (رضي الله عنه) قبل ان يقتل ، وعرضت الخلافة على الإ ِمام علي (عليه السلام) اولا ، على ان يعمل بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة الشيخين ، فقبل الشرطين الاولين ورفض الثالث ، وعرضت الخلافة على عثمان (رضي الله عنه) بالشروط نفسها ، وعلق بودلي على هذه الحادثة بالقول : ((ولما كان [عثمان] اقل اخلاصا من علي فقد قبل الشروط بدون اعتراض))[342] .

وتطرق بودلي الى بعض الاحداث في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بايجاز ، فبعد ذِكرهِ مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) قال بودلي ان الإ ِمام علي (عليه السلام) قد هيأ امره بسرعة وعرض نفسه من اجل الخلافة ، وكانت هناك معارضة طفيفة، اذ ان معاوية بن ابي سفيان كان في دمشق ولا يدري ما يجري في المدينة ، في الوقت الذي فر كل من الزبير وطلحة ليلتقيا بعائشة -رضي الله عنها- التي كانت ترتب الحوادث من مكة ، وكان البارزون الاخرون مشغولين بمقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) فلم يكن عندهم الوقت الكافي ليفكروا فيامر الخلافة ، فتمكن الإ ِمام علي -عليه السلام- من ان ((يفرض ترشيحه))[343] .

وقال بودلي ايضا : ((وفي خلال اسابيع قليلة من توليه [الخلافة] كان من الواضح انه سيكون من السهل على المقربين منه ان يحركوه كما كان الحال وعثمان ، وان ذلك فقط ما يبغيه مناصرو خلافة الفاطميين ليأملوا في المناصب الهامة في الادارة المدنية والعسكرية للدولة الإ ِسلامية))[344] .

ولا يمكن ان يكون ما قاله المستشرق (بودلي) دقيقا بل ان في بعضه تناقضا ، ففي الوقت الذي قال بان الإ ِمام عليا (عليه السلام) قد رفض الخلافة حينما عرضت عليه اولا

---

(341) الشيخ المفيد ، الجمل ، ص42 .

(342) ينظر، حياة محمد ، ص420 .

(343) ينظر، حياة محمد ، ص422 ، 423 .

(344) حياة محمد ، ص423 .

بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لاقترانها بشرط العمل بسيرة الشيخين، نجده يقول في موضع آخر بان الإ ِمام عليا (عليه السلام) قد هيأ وعرض نفسه بسرعة من اجل الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، وحقيقة الامر لو كانت غاية الإ ِمام الخلافة ، لكان بامكانه التصرف عندما تهيأت الفرصة له حين عرضت عليه اولا من دون الالتزام بشرط العمل بسيرة الشيخين ، ولكن الإ ِمام علي (عليه السلام) اراد خلافة مقرونة بتطبيق مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تؤكد على احترام العهود والمواثيق .

ومن جانب اخر ذكربودلي بان الإ ِمام عليا (عليه السلام) قد فرض ترشيحه للخلافة ، في حين ذكرت اغلب المصادر عكس ذلك تماما ، فهو ابدى رفضه تسلم الخلافة لا لانه لم يجد في نفسه القدرة على تحمل هذه المسؤولية ، بل لتردي اوضاع الدولة الى الحد الذي يصعب معها الاصلاح دون اللجوء الى الحروب او المساومة على مبادئ الإ ِسلام ، مما جعله ولشدته في الحق ان يفضل سلوك الطريق الاول في بداية الامر .

وقد اشارت بعض مصادرنا الإ ِسلامية الى عدم رغبة الإ ِمام علي -عليه السلام- في تسلم الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان -رضي الله عنه- .

فقد ذكر الطبري بانالناس قصدوا الإ ِمام عليا -عليه السلام- وقالوا له:((نبايعك ، فقد ترى ما نزل بالإ ِسلام ، ما ابتلينا به من ذوي القربى))[345]، فقال لهم الإ ِمام علي (عليه السلام):((دعوني والتمسوا غيري ، فانا مستقبلون امرا له وجوه وله الوان لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول . فقالوا : ننشدك الله ، الا ترى ما نرى ! الا ترى الإ ِسلام! الا ترى الفتنة ! الا تخاف الله ! فقال : قد اجبتكم لما ارى ، واعلموا ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ، وان تركتموني فانما انا كاحدكم ، الا اني اسمعكم واطوعكم لمن وهبتموه امركم))[346] .

اما المستشرق الفرنسي (ولا ستون Wollaston) فقد وصف ما الت اليه اوضاع الدولة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بانه اضطراب ليس بالقليل ، نتيجة لأنقسام المسلمين في اختيار الخليفة ، مما ادى الى ان يتقدم بعضهم الى الإ ِمام علي -عليه السلام- لكي يرغبوه في السلطة ، ولكنه رفض ذلك ، وظلوا يصرون على ان ليس هناك

---

(345) تاريخ ، 427/4 ، ابن الاثير ، الكامل ، 84/3 ، النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ) ، نهاية الارب في فنون العرب ، تحقيق عبد المجيد ترميني ، دار الكتب العلمية ، ط1 (بيروت – 1424هـ) ، ج9/20 .

(346) نهج البلاغة ، خطبة 92 .

احد اصلح منه سواءً من ناحية ماثره ام قرابته من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، واضاف (ولاستون) القول :

((لكن يد الله (كما يحلو لبعض المؤرخين ان يسموه بها) كان عنيدا ولم يقبل بالامر الا بعد ان جاءه [الغافقي بن حرب] زعيم المدينة المنورة مستغيثا بتقواه ومنا شدته بالله ان يتقلد الامر حفاظا على الدين . ولكن هل كان عليا مدركا من ان اعداءه ليس بالقليلين عددا ولا بالضعيفين نفوذاً ؟ بحكمة اصر علي ان تتم مبايعته علنا في المسجد))[347] .

وتابع (ولاستون) سير الاحداث بعد تسلم الإ ِمام علي (عليه السلام) الخلافة ، فذكر الاجراء الاداري الذي اتخذه الإ ِمام علي (عليه السلام) بعزل الولاة الذين عينهم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) على الرغم من اعتراضات بعض الاصدقاء المخلصين ، وانتقد ولاستون هذا الاجراء بوصفه ((طيشا غير ضروري)) تمخض عنه اثارة الخطر المحدق من الاعداء ، قبل التمكن من تحصين اركان الدولة ، فاعقب عملية العزل السريع حال من التذمر وانبرى عن ذلك ظهور كتلة ساخطة كانت بتحريض رجلين من ذوي النفوذ وهما طلحة والزبير ، ومما زاد في اشعال نار الحرب ضد الإ ِمام علي (عليه السلام) هو ((سلوك الحاقدة عائشة زوجة النبي المفضلة)) على حد تعبير (ولاستون)[348] .

ويبدو ان المستشرق ولاستون قد ردد مآخذ غيره على الإ ِمام علي (عليه السلام) فيما يتعلق بتمسكه برأيه في تغيير الولاة السابقين في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) فوصف ذلك الموقف على انه عناد .

وبدأ بعض المستشرقين عند حديثهم عن الخلافة بمقدمة عن الشيعة او السُنّة لارتباطهما الشديد بالموضوع ، لذلك ذكر المستشرق الامريكي (باتون Walter M.Patton) بان اصطلاح الشيعة هو اصطلاح جمعي ويعني (الحزب) او (الاتباع)، وهذا الاصطلاح ينطبق على انصار ال (بيت) علي (عليه السلام) ، ابن عم النبي وصهره،ومنذ الايام المبكرة للاسلام قاما بتشكيل طائفة ، والتسمية الكاملة لها هي شيعة اهل البيت ، أي اتباع اسرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، واضاف (باتون) بان هناك اصطلاح اخر وهو (العلويين) ، ويحتوي هذا المصطلح على مضمون سياسي كونه يشير الى ((مزاعم)) ال (بيت النبي) (عليه السلام) بالخلافة ، وعلى الرغم من ((مزاعم)) الشيعة والاحاديث التي

---

(1)Arthur , N.Wallaston , Half Hours with Mohammad , London , co , limited , 3water 10 , Pall Mall , s.w. 1892 , p.96

(2)Wallaston , Half Hours , P.97 .

استندوا عليها ، الا انه ليس هناك اثر يعتمد عليه من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يشير الى ان الإ ِمام علي (عليه السلام) وسلالته هم خلفاء للنبي في قيادة الإ ِسلام ، ويضيف (باتون) القول : ((يزعم الشيعة ان النبي سمّى وبشكل محدد علي واولاده عند بركة الغدير واشار في مناسبات مختلفة الى تفضيله لعلي ، وهناك اشارات مستترة في القرآن تضع عليا في مصاف النبي في الفضيلة وترفعه فوق مستوى البشر ، وذلك عندما تفسر مجازيا (تأ َول) بان النبي هو الشمس وعلي هو القمر))[349] .

ويؤكد (باتون) ان مسيرة الاحداث في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وما بعده تناقض هذه الحجج مما يؤدي الى ابطالها ((الغائها)) ، لذلك يجب دراسة ((المزاعم)) العلوية في ضوء الحقائق التاريخية ، ومن بينها ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) رفض ان يسمي خليفته ، وان الخليفتين ابو بكر وعمر (رضي الله عنهما) قد انتخبهم المجتمع الإ ِسلامي، في حين لم يجمع في تسمية الخليفة الثالث بشكل حاسم ، حيث عرضت الخلافة اولا على الإ ِمام علي (عليه السلام) شريطة ان يتعهد بالولاء للمصالح التقليدية للاسلام ، لكنه لم يكن متاكدا من جوابه ، وتم اختيار الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، وعندما قام الإ ِمام علي (عليه السلام) وحزبه بتاييد المتامرين معنويا عندما اغتالوا الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، اخذ معاوية بالمطالبة بدمه ،وحتى عندما الت الامور الى الإ ِمام علي (عليه السلام) لان يكون خليفة منتخب ، فانه لم يكن راغبا بالمراجعة باي شيء ضد حقوقه القانونية ولو امكنه لتخلص من الانتخاب . وتقريبا فان الثائرين واصحابه اجبروه على قبول الخلافة[350] .

واراد (باتون) جزافا ان يثبت عدم رغبة الإ ِمام علي (عليه السلام) في الخلافة راجع الى كونه غير مؤمن في الحق الالهي لاهل البيت في الخلافة ، ويضيف (باتون) القول : ((ونتيجة لذلك لم يكن هناك شيعة او حزب يحمل ذلك الاعتقاد (= الايمان بالحق الالهي)، والانكى من ذلك فقد اتهم (باتون) اتباع الإ ِمام علي (عليه السلام) بتزوير الحجج المتطلعة لاقامة الحق الالهي للامام علي (عليه السلام) واهل بيته كي يحكموا المجتمع الإ ِسلامي[351].

---

(1)Walter M.Patton , Encyclopaedia of Religion and Ethics , Edited by James Hasting , Edinburgh.p. 453 , 454

(2) I,bid .p. 453,454

(3) I,bid .p. 454

ويبدو ان (باتون) قد انساق وراء الروايات التي تدعي ان الرسول محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يسم خليفة من بعده ، وبهذا جفاء للانصاف ، يضاف الى ذلك وصفه روايات الشيعة على انها مزاعم في حين اخذ بالروايات السنية التي تدعي عدم استخلاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدها حقائق ، وبذلك لم يف (باتون) بوعوده التي قطعها على نفسه بالرجوع الى الحقائق التاريخية وانما لجأ الى اقتباس الاحكام الجاهزة ، متهما الشيعة بانهم قد زوروا الحقائق .

وحول المستشرق الانكليزي (ترتون A.S.Tritton) قضية ارض (فدك) التي طالبت بعائديتها السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) الى قضية سياسية ارتبطت بموضوع الخلافة.

قال (ترتون) بصدد ذلك : ((كانت لمحمد [صلى الله عليه وآله وسلم] ارض تدعى (فدك) ، وبموته طالبت بها عائلته ، تقلبات هذا الجدال لا تعنينا باي حال من الاحوال ، ولكن مضمونا سياسيا قد يقرا بين سطوره ، تقول احد التقاليد او الاعراف ((بان الانبياء لا يورثون ، ما يترك يذهب للملكية العامة او الاعمال الخيرية)) . المضمون السياسي لهذا القول هو ان نسل علي ليس لهم الحق بالخلافة وان هذا الحق منوط بالجماعة))[352] .

واضاف (ترتون) بان الشيعة قد فسروا مضمون هذا النص بشكل مختلف اذ انهم يعتقدون بان ما ترك لاعمال الخير لا يمكن ان يورث ولكن عدا ذلك ممكنا ، وهذا ما يدعم ادعاء الشيعة وكان منطلقا ((لادعاء)) الإِمام علي (عليه السلام) بالخلافة لانه احد اقرباء الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولكن قسم من اتباعه عدوا هذا الامر مخالفة لسلطة الله وخرجوا ضده ، ومن هنا جاءت تسمية الخوارج[353] .

ويمكننا انتقاد (ترتون) من وجوه عدة ، فبالرغم من اشارته الى الارتباط بين الخلافة والارث ، فعندما رُفض الارث كقضية اقتصادية ، رفضت الخلافة كقضية سياسية وكلاهما ينصبان في موضوع النص من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، الا ان الإِمام علياً (عليه السلام) لم يحتج بهذا الامر ، من جانب اخر فقد خلط (ترتون) بين احداث التاريخ ، ففي الوقت الذي يتحدث فيه عن ((ادعاء)) الإِمام علي (عليه السلام) بانه هو الذي يخلف الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يذكر ان جماعة قد انكروا هذا الامر وسموا بـ

(1)A.S. Tritton,Islam Belief and practics , Hutchinson .

(2)Ibid , p.33

(الخوارج) ، والمتتبع لاحداث التاريخ يعلم بان نشاط الخوارج بدأبانشقاقهم عن الإ ِمام علي (عليه السلام) بعد معركة صفين (37هـ / 657م) .

واطل المستشرق الفرنسي (الفريد جيوم) بكلام اكثر واقعية من غيره حين يذكر ان الإ ِمام علي (عليه السلام) حاول اثبات حقه في الخلافة كونه قد عزل عنها عن طريق ((الخديعة)) وان كان قد ((ظَلّ))في نظر الجماعة الإ ِسلامية المحافظة .

ويضيف الفريد جيوم القول بان الإ ِمام علي (عليه السلام) كان اخر الخلفاء الراشدين الحقيقيين ، ولكنه قد اقصي عن اهم المناطق التي استولى عليها المسلمون الاوائل ، وهي الشام التي تمتلك قوة حربية مدربة الى احد ما . وختم (الفريد جيوم) كلامه بقوله :

((اغتيل علي بن ابي طالب لسوء الحظ على يد الخوارج سنة 661م وتنازل ابنه الحسن عن حقه بالخلافة))[354] .

وفي اطار الخلافة ، ادلى المستشرق الالماني (شبولر Vonbartold Spuler) بقوله :

((لقد كان علي في الحقيقة شخصية شجاعة وشريفة ولكنها فاشلة سياسيا حيث لم يفلح علي بايجاد تسوية وكان عليه ان يدافع عن حقه بحد السيف))[355] .

وحقيقة الامر ليس كما يعتقد (شبولر) ، لان الإ ِمام علي (عليه السلام) اراد بسكوته عن حقه في الخلافة ان يجنب المسلمين اراقة الدماء ، ولا سيما ان الاوضاع التي اعقبت وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت حرجة جدا ، ليحافظ بذلك على وحدة المسلمين رغم ضياع حقه .

ويحمل المستشرق الالماني شاخت انطباعا مماثلا لما ابداه شبولر حول ضرورة استخدام الإ ِمام علي (عليه السلام) القوة في سبيل الاحتفاظ بالخلافة،اذ يقول شاخت:

((من الصعب وصف علي بن ابي طالب بعد البيعة التي حازها انه صاحب سلطة،اذ كان عليه ان يحاول انتزاعها،اذا قرر ان تلك السلطة هي امتداد لما تمتع به سابقوه التي تجد جذرها المعتقدي انطلاقا من اعتبار انه لا يوجد الا اله واحد وقانون الهي واحد،ويجب ان يكون هناك حاكم اعلى واحد على الارض يمثل الله ويطبق القانون))[356]

(54β الفريد جيوم ، الإ ِسلام ، ص113 ،114 .

(2) Spuler , Vonbartold , Geschichte Der Islami Chen Lander , Leiden , E.J.Brill,1952,p.36.

(56β شاخت،جوزف،وكليفورد بوزورت،تراث الإ ِسلام،سلسلة عالم المعرفة،(الكويت-1998م)،1/217.

((المبحث الثاني))

الدراسات الاستشراقية التي تبنت الموقف الذي يؤيد استخلاف الإمام علي (عليه السلام)

يذكر بعض المستشرقين وكان من بينهم ادوارد براون (Edward Browne) وجهة النظر الشيعية التي تؤكد بان النبي محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) قد عين ابن عمه علي بن ابي طالب (عليه السلام) كقائد روحي للاسلام كي يخلفه ، ويخرج هذا المستشرق بنتيجة فحواها ، ان كل من الخلفاء الثلاثة قد اغتصبوا حق الإمام علي (عليه السلام) بالتوالي ، ورغم انه انتخب كخليفة بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) الا انه اغتيل بعد فترة وجيزة من الحكم المضطرب الذي استمر خمسة سنوات (656-661م)[357] .

اما المستشرق (ليونارد بندر Leonard Binder) فقد سلك منهج المستشرق الذي سبقه وهو (ادوارد براون) ، فقد قال : ((شيعة الإسلام تختلف عن سنة الإسلام في موضوع الخلافة المبكرة بعد وفاة النبي محمد [صلى الله عليه وآله وسلم] ... ان الموقف الجوهري للشيعة ينصَبُّ على ان محمدا قد عين صهره خليفة له لكن الاخرين الاقل كفاءة دبروا امر اغتصاب الخلافة ، وكان الخليفة الثالث عاجزا عن كبح جماح اقاربه المرتشين اذ ان عجزه ادى الى اندلاع احتجاج عنيف قُتل الخليفة فيه ، واعترف بعلي عموما ليصبح الخليفة الرابع الا ان خلافته القصيرة الامد قد سادها النزاع))[358] .

واضاف (بندر) بان الخلافة الاموية جاءت بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) واستخدمت الحزم والقمع مع كل من يطالب بخلافة العلويين ، وافضع حادثة تمثل هذا القمع هي استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) الابن الثاني للامام علي (عليه السلام) مع مجموعة من انصاره في كربلاء ، وبالنسبة للشيعة فان الخلافة الاموية وبعدها الخلافة العباسية لم يكونا ابدا شرعيتين ، وان الشرعية الحقيقية لجمهرة الإسلام تكون في الائمة

(1)Edward . Browne , Encyclopedia of religion and Ethics , vol , II P.299.

(2)Leonard Binder , The Ideological Revolution in the middle east , Department of political science university of chicago . p.32 .

الاثني عشر الذين ينحدرون من سلالة الإِمام علي (عليه السلام) ومن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عبر السيدة فاطمة (عليها السلام)[359] .

وافرزت دراسة المستشرق الالماني (شتورثمان R.Strothmann) عندما حاول الربط بين التوقيت الذي ظهرت به ((الشيعة السياسية)) وبين المطالبة بان يكون الإِمام علي (عليه السلام) خليفة للرسول ، عن رأي بعيد كل البعد عن الحقيقة التاريخية ، وهو ان الشيعة نظروا الى الصحابة الذين بايعوا الخليفة ابا بكر (رضي الله عنه) على انهم مرتدين .

وعبر (شتورثمان) عن رأيه هذا بقوله: ((واقدم وقت قامت به الشيعة السياسية وبعبارة ادق شيعة علي هو منذ وفاة النبي (عليه السلام) ، اما اذا اخذنا بروايات الشيعة،فان الشيعة الاولى ، كانت تتألف من ثلاثة اشخاص : هم سلمان الفارسي وابو ذر الغفاري والمقداد بن الاسود الكندي ، فهؤلاء فيما يزعم الشيعة كانوا وحدهم (وبعض الروايات تذكر اسماء اخرى قليلة) الذين دعوا بعد وفاة النبي (عليه السلام) الى ان يكون علي هو خليفة النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] ، أي انهم في رأي الشيعة لم يرتدوا عن الدين ، وذلك ان مبايعة سائر صحابة النبي لابي بكر عدت في نظر غالبية الشيعة (ردة)))[360] .

وزاد (شتورثمان) بان اهم ما كان تبغيه الشيعة هو ان تبقى الامامة في ، الإِسلام للعلويين ، باعتبارهم (آل بيت) النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا ما لم يتحقق ، فخلافة علي (عليه السلام) القصيرة بين عامي (35و40هـ) لم تكن سوى خلافة لم يجمع عليها المسلمون وتنازعوا في شانها تنازعا شديدا ، اما ابنه الحسن والكلام لـ (شتروثمان) ، فانه لا يمكن ان يسلك ((بحق في عداد الخلفاء))[361] .

وما ذكره المستشرق (شتورثمان) يعد كلاما غير دقيق كونه لم يرد على لسان الشيعة الاوائل او مؤرخيهم بان كل من بايع الخليفة ابا بكر (رضي الله عنه) هو مرتد ، بل ان كلمة ردّه قد اطلقت على الذين ارتدوا عن الإِسلام بعد وفاة الرسول محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- .

اما قول شتروثمان بان الإِمام الحسن (عليه السلام) لا يمكن ان يحسب في عداد الخلفاء،فهذا الكلام مرفوض ولا تقره المصادر الإِسلامية ، فان الإِمام الحسن تولى الخلافة

---

(3) Ibid , p.32.

(360) شتروثمان ، س ، دائرة المعارف الإِسلامية ، مادة شيعة ، ص58 .

(361) شتروثمان ، دائرة المعارف الإِسلامية ، مادة شيعة ، ص59 .

بشرعية كاملة وبويع من قبل المسلمين ، وبعد عقد اتفاقية مع معاوية تنازل عن الخلافة (بصفتها الدنيوية) وفق شروط مدونة .

اما المستشرق (اميل آيسن Emel Esin) فلم يفصل بخصوص خلافة الإِمام علي (عليه السلام) واكتفى بالقول :

((استلم الامر عليا ابن عم محمد [صلى الله عليه وآله وسلم] وصهره كرابع واخر الخلفاء الراشدين ويبدوا ان بعض اتباعه بدأوا بتبجيله هو وابناءه كاصحاب الحق المقدس بالخلافة ايمانا قاد الى اختلاف دائم في العالم الإِسلامي))[362] .

واطل المستشرق (سودر بلوم N.Soderblom) بوجهة نظر اشار فيها الى ان الخلافة عند الشيعة المعتدلين لا تاخذ صفة التجسيد (incarnation) بمعناه التام ، ولكن اعتقادهم بان حق الخلافة يعود الى اسلاف الإِمام علي (عليه السلام) ، وهو ابن عم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوج فاطمة (عليها السلام) ، يستند الى صلة قرابة الدم والامر الالهي وليس كما يعتقد السنة بان الخلفاء يجب انتخابهم او تعيينهم من عامة الناس[363] .

واضاف (سودر بلوم) القول بان نظرية الائمة تستند على العديد من الركائز ، وان التعاقب السماوي لهؤلاء الائمة نابع ليس من كونهم ينحدرون من عائلة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ، ومواهبهم فوق البشرية فحسب ، بل لامتلاكهم جوهر نور سماوي ، وهي قوة الهية او جزء من الله -سبحانه وتعالى- ، وانها روح الله التي انحدرت من ادم (عليه السلام) الى سلسلة من الرجال الالهيين ووصلت الى سلف النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- وعلي (عليه السلام) عبر فاطمة (عليها السلام) ، لتنتهي هذه السلسلة بالإِمام الغائب (عجل الله فرجه) ، الذي سيظهر آخر الزمان[364] .

ويذهب المستشرق (فلهوزن) الى الاعتقاد بان اهل البيت يمتلكون علما غزيرا مستمدا من علم النبوة ، وقد اوضح اعتقاده هذا خلال حديثه عن يوم المباهلة الذي قال فيه :

((ولهذه المحاكمة –المباهلة- التي فيها اظهاره الوحيد لاخلاصه المطلق ، جمع النبي اهله –الخمسة- الذين دثرهم بدثاره وهم حفيداه وابنته وزوجها ، رهائن على ايمانه برسالته

---

(1)Emel Esin , Mecca the Blessed Madinah the Radiant , p.124

(2)N,Soderblom , Encyclopaedia of religion , and Ethics , vol,Vii,p.183

(3) Ibid , p.183

النبوية . ومنذ ذلك الحين تحول عند بعض صحابة النبي ما كانوا يحملون من مودة نحو الخمسة الى حب عباده))[365] .

ويعد المستشرق (دونلدسن) واحدا من ابرز المستشرقين الذين اولوا موضوع الخلافة اهتماما في كتابه (عقيدة الشيعة) ، لانه اعتمد في دراسته مصادر ومراجع متعددة واستخدام اليات البحث التاريخي للوصول الى النتائج المقنعة ، وقد احتلت الروايات الشيعية عنده المقام الاول ، ففي قضية الخلافة بدأ كلامه بقول اكد فيه بان دراسة احداث التاريخ بامانة يتطلب فحص الاخبار التي حيكت في سدى التاريخ عند المسلمين ، وهو يرى في المقام الاول ان الشيعة يعلقون اهمية كبرى على الخبر الوارد عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عند عودته من حجة الوداع . حيث نزل مكانا يعرف بـ (غدير خم) وفيه اعلن لمن كان معه رغبته في جعل الإِمام علي (عليه السلام) خليفة من بعده ، ونقل (دونلدسن) رواية لليعقوبي الذي وصفه بانه مؤرخ عربي قديم اشتهر برواية الاخبار المؤيدة للعلويين وميله اليهم[366] .

قال في هذه الرواية : ((وخرج (صلى الله عليه وسلم) منصرفا الى المدينة فصار الى موضع بالقرب من الجحفة يقال له غديرخم لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة وقام خطيبا واخذ بيد علي بن ابي طالب فقال : الست اولى بالمؤمنين من انفسهم؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه ... ثم قال [صلى الله عليه وآله وسلم] : ايها الناس انني فرطكم وانتم واردون علي الحوض واني سائلكم حين تردون عليَّ عن الثقلين ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، قالوا ، وما الثقلان يا رسول الله؟ قال الثقل الاكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بايديكم فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتي اهل بيتي))[367] .

وذكر (دونلدسن) رواية يقول انها للمسعودي مفادها ان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعند انصرافه من غزوة الحديبية وقبل النزول (بغدير خم) باربع سنوات كاملة قال: ((من كنت مولاه فعلي مولاه))[368] . ولم يجد الباحث في كتاب المسعودي ما يشير الى هذه الرواية.

---

(365) ما سنيون ، لويس ، سلمان الفارسي والبواكير الروحية للاسلام في ايران ، ترجمة ، الدكتور عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، (الكويت – 1978م) ، ص45 .

(366) دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص22 .

(367) اليعقوبي ، تاريخ ، ج102/2 ، دونلدسن ، عقيدة ، ص22، 23 .

(368) دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص22 ، 23 .

وقد عقب (دونلدسن) على هذه الرواية بالقول :

((ان تكرار هذا القول الاساسي نفسه للرسول في الحالتين يدل بوضوح على احتمال كون احدهما تكرار للثاني . غير ان هناك ما يستدل به من تسلسل الحوادث احتمال اعادة الرسول هذا القول في الحالتين . فعندما غزا الرسول [صلى الله عليه وآله وسلم] الحديبية سنة (6) للهجرة لم يكن له ولد وكان حفيداه الحسن والحسين ابنا علي وفاطمة لا يزالا طفلين عمر اولهما ثلاث سنوات وعمر الاخر اربع . ولا يمكن ان يخلفه حفيداه الا اذا اعترف بعلي خلفا له ، فانه ليس من عادة العرب رد النسب الى البنت))[369] .

ويضيف (دونلدسن) القول بانه لا يغرب عن بال احد من ان عليا (عليه السلام) لم يكن هو ابن عم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وصهره فحسب ، بل ان ابا طالب كفل محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) ورباه وحماه فلا غرو ان يرغب الرسول في ان ينظر المسلمون الى الإِمام علي (عليه السلام) نظرهم الى المرجع الثاني في الاهمية من بعده ، فيحتمل انه قال في اثناء غزوة الحديبية ((من كنت مولاه فعلي مولاه))[370] .

ويسلك (دونلسن) اتجاها آخرا عند تحليله لقضية ان يكون الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مقتنعا بخلافة الإِمام علي ام لا ، فقد جعل من حادثة زواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من ثلاث زوجات وتسريه باثنتين في السنتين السادسة والسابعة من الهجرة بانه دلالة واضحة على عدم قناعته في امر من يخلفه في بيته عن طريق الإِمام علي (عليه السلام)، حيث كان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) شديد الرغبة في الحصول على ولد من صلبه ، وقد تحققت له هذه الرغبة في السنة الثامنة للهجرة حينما ولدت له زوجته القبطية مارية ، ولدا اسماه ابراهيم ، ففرح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) به فرحا شديدا ونحر له في اليوم السابع كبشا وتصدق بوزن شعره من الفضة وامر بدفن الشعر ، وتساءل دونلسن بعد ذلك السؤال الاتي :

((فهل خطر لمحمد [صلى الله عليه وآله وسلم] ان يحصر المركز الديني ويجعله ارثا في بيته ؟ انه سؤال يصعب البت فيه ، فيما يتعلق بابراهيم ، فان هذا لم يدرك السنتين ، ويمثل

---

(369) ينظر، عقيدة ، ص23 .

(370) ينظر ، دونلسن،عقيدة الشيعة ، ص23 ، 24؛ وروى هذا الحديث كل من ابن حنبل في مسنده،ج148/1 ، وفي فضائله، الصفحات 129 ،159 ،180 ، واخرجه الترمذي في سننه وقال عنه حديث حسن ، وزاد فيه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وادر الحق معه كيفما دار وحيث دار ، السنن، ص879 ؛ ورواه اخرون .

ما رد به الرسول على ازواجه في اهتمامه الخاص بمارية ام ابراهيم ، فانه اغتم غما شديدا بموت ولده ، حتى لم يجرؤ احد الصحابة على التخفيف عنه)) وتساءل (دونلدسن) ايضا : ((هل ان ما يروى عن بيعة علي في غدير خم هو نتيجة لما اصاب النبي اخيرا من الخيبة بوفاة ابراهيم، مضافا الى ذلك حقيقة عدم حمل نسائه الاخريات اللواتي تزوجهن حديثا باولاد له ... وتدعي الشيعة ان محمدا (صلى الله عليه وسلم) كرر بعد (9) اشهر من موت ابراهيم في الثامن عشر من شهر ذي الحجة اعلانه ((من كنت مولاه فعلي مولاه))[371] .

ويمكننا الاجابة على تساؤلات (دونلدسن) السابقة بان الرسول محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) كان على قناعة تامة بان يجعل الإِمام علي (عليه السلام) خليفة من بعده وقد اشار الى ذلك قبل صلح الحديبية وقبل زواجه في السنة السادسة وقبل مجيء ولده ابراهيم (عليه السلام) ، وكان ذلك عندما نزل قول الله سبحانه وتعالى : (وانذر عشيرتك الاقربين)[372] فدعا اقرباءه الى اعتناق الدين الإِسلامي فلم يستجب لدعوته سوى الإِمام علي (عليه السلام) ، حينها قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للامام علي (عليه السلام) قوله المشهور :(انت وصيي ووزيري وخليفتي من بعدي)) ، وهذا الوعد لم يصدر من شخص عادي وانما هو رسول الله ولا ينطق عن الهوى .

ويذكر دونلدسن قولا لابن خلكان (ت681هـ) اكد فيه ان الثامن عشر من ذي الحجة هو عيد الغدير ، وهو غدير خم ، وخم موضع بين مكة والمدينة به غدير او بطيحة ، ويقال ان رسول الله لما عاد من مكة بعد حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة وقف في خم وآخى عليا بن ابي طالب (عليه السلام) وقال : ((علي مني كهرون من موسى ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله))[373] .

وعلق دونلدسن في نهاية هذه الرواية بالقول : ((ويعلق الشيعة على هذا الحديث اهمية كبرى))[374] .

ونقل دونلدسن عن العلامة الشيعي محمد باقر المجلسي (ت 1111هـ) خلاصة الحديث عما جرى في غدير خم ، حيث ذكر بان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد نزل في غدير خم وهو مكان لم يكن نزول المسافرين فيه متعارفا عليه ، وانما السبب في نزوله هناك ما انزل عليه في القرآن الكريم بلزوم نصب الإِمام علي (عليه السلام) خليفة من بعده

---

(371) عقيدة الشيعة ، ص24، 25 .

(372) الشعراء / 214 .

(373) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، 4/344،345 ، دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص25 .

(374) دونلدسن ، عقيدة ، ص25 .

، وقد انزل عليه ذلك عدة مرات ولم يعين الوقت لتبليغ ذلك الامر، وقد اخر الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- هذا الامر خشية اعتراض الناس ، ولو جاوز ذلك المكان أي غدير خم لتفرق الناس وذهبت كل قبيلة ناحية ، فامر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس بالاجتماع ، وقد انزل الله سبحانه وتعالى عليه ((يا ايها النبي بلّغ ما أنزل اليك من ربك ، فان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس))[375] .

وكان ذلك الامر بنصب الإِمام علي (عليه السلام) خليفة هو سبب نزول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن معه في ذلك المكان . وكان الهواء في غاية الحرارة والمكان مملوء بالاشواك ، حتى كان الرجل يضع الرداء تحت قدميه من شدة الرمضاء . وامر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ان ينصب له منبرا من اقتاب الابل ، فلما نصب له واجتمع الناس ارتقى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) المنبر ودعا عليا (عليه السلام) للوقوف الى يمينه ، وبعد ان حمد الله واثنى عليه اخبر الناس بدنو اجله قائلا : ((ولقد دعيت الى ربي واني مجيب ، واني مغادركم من هذه الدنيا واني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي اهل بيتي ، ولن يتفرقا حتى تردا عليّ الحوض ، ثم قال : الست اولى بكم من انفسكم ؟)) ، قالوا (نعم) ، فاخذ بيد الإِمام علي (عليه السلام) ورفعها حتى بان بياض ابطيه ، وقال ((من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله)). فلما نزل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من المنبر صلى صلاة الظهر ثم ذهب الى خيمته وامر بنصب خيمة بجانب خيمته لامير المؤمنين . فجلس علي (عليه السلام) في خيمته وامر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس ان يبايعوه بالامامة ، ويسلموا عليه بامرة المؤمنين ففعلوا نساءً ورجالا وسُرَّ عمر بذلك مثل غيره[376] .

وتطرق دونلدسن الى وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه واله سلم) معتمدا على ما رواه البخاري ومسلم ، فقد جاء في حديث رواه كل من البخاري ومسلم ، ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما دنت وفاته كان عنده في البيت عدة رجال من بينهم عمر بن الخطاب فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ((ائتوني بدواة وصحيفه اكتب لكم كتابا لا

---

(375) المائدة / 67 .

(376) ينظر ، المجلسي ، محمد باقر ، حياة القلوب ، تحقيق سيد علي اماميان ، انتشارات ، مؤسسة سرور ، (قم – 1384هـ)، ج4 /1389-1399 ؛ دونلدسن ، عقيدة ، ص25، 26 .

تضلوا بعده ابدا)) فقال عمر (رضي الله عنه) ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله))[377] .

واختلف الحضور فمنهم من قال قربوا له يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغو والاختلاف ، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم ((قوموا ما ينبغي ان يكون بين يدي النبي خلاف))[378] .

وذكر (دونلدسن) رواية لابن عباس (رضي الله عنه) قال فيها : ((ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم)) وساق لنا (دونلدسن) روايات ما يعتقد بها اهل الجمهور ، ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مات بين ذراعي عائشة (رضي الله عنها) ، كما جاء ذلك في حديث مروي عنها ، واورده نقلا عن كتاب (مشكاة المصابيح)[379] ، وقال بعد ذلك: ((وليس من الغريب ان يكون لدى الشيعة حديث اخر عن اخر ساعات محمد (صلى الله عليه وسلم) في الدنيا يكون فيها لعلي وفاطمة الدور البارز بدلا من عائشة))[380] .

وكانت احدى الروايات التي ذكرها (دونلدسن) ، هي ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بلّغ في مرضه الاخير بعض الاوامر ونزلت عليه سورة ((اذا جاء نصر الله))[381] فساله علي (عليه السلام) اذا كانت هذه اخر كلماته ، فقال : ((نعم يا علي فقد مل قلبي هذا العالم)) ، ثم قال بعد ذلك ((يا جبريل أعِنّي وانجز لي وعدي)) ثم دعا عليا (عليه السلام) اليه فوضع راسه في حجره وتغيرت سحنته وعرق جبينه ، وكانت فاطمة (عليها السلام) جالسة قربه فلما رأت ذلك قامت حزينة واخذت بيدي الحسن والحسين (عليهما السلام) وجعلت تندب اباها . ففتح الرسول عينيه ووضع راسه على صدرها ودعا وقال اللهم الهم فاطمة الصبر ثم قال :

---

(377) ينظر ، البخاري ، الصحيح ، ص781 ، مسلم ، الصحيح ، ص726 ؛ دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص28 .

(378) البخاري ، الصحيح ، ص781 ؛ مسلم ، الصحيح ، ص726 ، دونلدسن ، عقيدة ، ص28 ، 29 .

(379) ينظر ، ينظر التبريزي ، محمد بن عبد الله الخطيب (ت 741هـ) ، شرح مشكاة المصابيح ، تحقيق الشيخ جمال عيتاني ، دار الكتب العلمية ، ط1 (بيروت – 1422هـ) ، مجلد 114/11 ؛ دونلدسن، عقيدة ، ص29 .

(380) دونلدسن ، عقيدة ، ص29 .

(381) النصر / 1 .

((ابشري يا فاطمة فستكونين اول من يلحق بي)) ، واصبح يعالج سكرات الموت فاخذت تبكي بكاءا شديدا فاراد الإِمام علي (عليه السلام) اسكاتها فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ((دعها تبكي اباها)) ثم اغمض عينيه واسلم روحه[382] وابدى دونلدسن رأيا في هذا الموضوع بعد المقارنة بين روايات اهل الجمهور والروايات الشيعية بقوله : ((ويميل الانسان الى التفكير بان هذا الحديث يمثل ما يراه الشيعة لائقا بوفاة النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] اكثر منه ما حدث بالفعل ومهما كان الامر ما يفضلون الاعتقاد به على حديث عائشة))[383] .

بعد ذلك ناقش (دونلدسن) عملية اختيار خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معتمدا في ذلك على مصادر مختلفة ، ومستعرضا كل اوجه الخلاف التي نشأت بين المهاجرين والانصار ، مبينا في الوقت نفسه فضائل كل منهم في الدعوة الإِسلامية ، وذكر (دونلدسن) بان بوادر الشقاق بين المهاجرين والانصار قد ظهرت قبل وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فادرك ذلك وخاف ان يحدث خلاف بينهم ، فصعد المنبر لاخر مرة وخاطب الناس قائلاً :

((اوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوأوا الدار والايمان ممن قبلكم ، ان تحسنوا اليهم ، الم يشاطروكم في الثمار؟ الم يوسعوا لكم في الديار ؟ الم يؤثروكم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة؟ الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقيل عن محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم))[384] .

وذكر (دونلدسن) بانه ، بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اسرعت الانصار لتعمل على الاستئثار بالسلطة لنفسها ، ونقل في صدد ذلك قولا للطبري جاء فيه :

((انها [الانصار] اجتمعت في سقيفة بني ساعدة لتولية سعد بن عبادة ، وبلغ خبر ذلك ابا بكر فانطلق هو وعمر وابو عبيدة بن الجراح اليهم وسألوا عن الخبر فقالت الانصار نختار اميرا ، فقال ابو بكر (رضي الله عنه) منا الامراء ومنكم الوزراء وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين واخذ بيد عمر ويد ابي عبيدة فقال عمر ((ان رسول الله قد امر ابا بكر يؤم

---

(382) ينظر ، ابن سعد ، الطبقات ، ج188/2 ؛ دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص30 .

(383) دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص30 .

(384) ينظر ، البخاري ، الصحيح ، ص669-672 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج2 / 193-194 ، فيما يتعلق بجزء من وصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للانصار التي اوردها دونلدسن ، ص30 ، 31 .

الناس وايكم تطيب نفسه ان يتقدمه ((ثم مد يده وبايع ابا بكر وبايع الناس الا ان بعض الانصار قالوا لا نبايع الا عليا))))[385] .

واورد (دونلدسن) روايات مختلفة حول الجدال الذي دار لتولي الخلافة لا مجال لذكرها ومن الممكن الرجوع اليها في مصادرنا الإِسلامية ، ولكن الذي يهمنا هو النتيجة التي خرج منها دونلدسن حيث قال : ((ومما نستفيده من هذه الروايات انها تبحث بصورة مباشرة وشخصية . وهي تؤلف قصصا جيدة ، فان اهم المسائل في سياسة الدولة تحل في معظم الاحيان بمقدمات رسمية بسيطة[386] . ففي هذه القضية نرى انه عندما بلغ ابو بكر وعمر ((رضي الله عنهما)) منزل فاطمة هجموا في جماعة على الدار ... فخرجت فاطمة وقالت والله لتخرجن ... ، فخرجوا وخرج من كان في الدار ، واقام القوم اياما ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع ابا بكر ولم يبايع عليا الى بعد ستة اشهر وقيل اربعين يوما))[387] .

وخصص (دونلدسن) في كتابة انف الذكر حول موضوع الخلافة بابا كان عنوانه ((الغاصبون الثلاثة)) ونراه قد وضع هذا العنوان بين قوسين ، وبدأ الكلام فيه حول ما يعتقده الشيعة في حق الإِمام علي (عليه السلام) الصريح في الخلافة ، وانه هو امير المؤمنين بالحق، فكان من الواجب نصبه خليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[388].

ونجد ان (دونلدسن) يدخل منعطفا جديدا في تقييمه لمجريات احداث الخلافة من خلال قوله :

((ومن المهم ان نلاحظ ان سن علي كان عند وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) (33) سنة فهو لا يزال حدثا بالنسبة لعرف القبائل العربية ، لتولي المسؤولية الادارية الكبرى فليس من الشاذ ان يختار الناس من هم اكبر منه سنا من الصحابة البارزين بمدة خمس وعشرين سنة . ويظهر بالحقيقة وجوب التقدم في السن في اختيار الخلفاء الراشدين ، فابو بكر استخلف وعمره فوق الستين ، وعمر كان سنّه (53) وعثمان كان قد بلغ نحو السبعين ، وعلي كان عمره اما (59) او (64) ، بالنسبة لسنه عندما امن اول مرة ، فقيل انه كان بالعاشرة وقيل بالخامسة عشر))[389] .

---

(385) تاريخ ، ج201/3 ، 202 ؛ ابن الاثير الكامل ، ج189/2 ، دونلدسن ؛ عقيدة ، ص31 .

(386) ينظر ، عقيدة الشيعة ، ص33،32 .

(387) ينظر ، دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص32 ، 33 ؛ للاطلاع على هذه الرواية ، ينظر ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج126/2 .

(388) ينظر ، دونلدسن ، عقيدة ، ص34 ،35 .

(389) عقيدة الشيعة، ص35 ،36 .

وينتقل دونلدسن بعد ذلك الى جانب اخر يتعلق بتوضيح طبيعة العلاقة التي كانت سائدة بين الإ ِمام علي (عليه السلام) وباقي الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) ، فقد ذكر بان الإ ِمام علي كان ينظر الى الخليفة ابي بكر بعين الاحترام وله عليه تاثيرات في القرارات التي كان يتخذها(390) .

وعندما اوصى الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) قبل وفاته باستخلاف عمر (رضي الله عنه) ، نقل دونلدسن حديثا لعائشة يتعلق بعلي (عليه السلام) وطلحة قالت فيه : ((لما ثقل على ابي دخل عليه فلان وفلان ، فقالوا يا خليفة رسول الله ماذا تقول لربك اذا اقدمت عليه غدا وقد استخلفت علينا ابن الخطاب؟ فقال اجلسوني . ابا الله ترهبوني ؟ اقول لقد استخلفت عليهم خيرهم))(391) .

وعلق (دونلدسن) على هذه الرواية بالقول : ((فان صح هذا الخبر فان امل علي في التمتع بمركز سام في خلافة عمر لم يكن قويا . لكن عمر سمع بما طعن عليه فلم يابه)) وذكر (دونلدسن) بان عليا (عليه السلام) بقي في المدينة وله عند عمر (رضي الله عنه) نفس المكانة السياسية التي كانت له عند ابي بكر (رضي الله عنه) ، ويروى ان عليا (عليه السلام) قد ابدى النصح لعمر (رضي الله عنه) في مناسبات عديدة فسمع منه ، منها ان يكون الخليفة عمر (رضي الله عنه)هو قائد الحملة على فلسطين وعندما تردد عمر (رضي الله عنه) اقنعه الإ ِمام علي (عليه السلام) بالعدول عن ذلك(392) .

يضيف (دونلدسن) ، بان الإ ِمام عليا (عليه السلام) كان مشاورا للخليفة عثمان (رضي الله عنه) ايضا ، وكان الناقمون على عثمان (رضي الله عنه) ياتون عليا (عليه السلام) ليعرضون شكاواهم ، ووضعوا ثقتهم فيه اول الامر للوساطة عند الخليفة ، ولما كان الإ ِمام علي (عليه السلام) يستمع الى شكاوى هؤلاء الناس ، فينقلها الى عثمان (رضي الله عنه) ، فقد شك البعض في ضوء الحدوادث التي تلت بان عليا (عليه السلام) نفسه كان مشتركا بوضع الخطط العدائية ضد الخليفة(393) .

ولكن دونلدسن عرض رواية للمسعودي يبعدفيها اللوم عن الإ ِمام علي (عليه السلام) باي وجه من الوجوه في قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، واهم ما في هذه الرواية هو :

---

(390) ينظر، عقيدة الشيعة، ص38 .

(391) ينظر ، ابن سعد ، الطبقات ، 207/3 ؛ دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص38 .

(392) ينظر، عقيدة الشيعة ، ص38 ، 39 .

(393) ينظر، عقيدة الشيعة ، ص39 .

((فبلغ عليا طلبه أي [الخليفة عثمان] فبعث اليه بثلاث قرب ماء ... فلما بلغ عليا انهم يريدون قتله ، بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح الى بابه لنصرته، وامرهم ان يمنعوه منهم، وبعث الزبير ابنه عبد الله وبعث طلحة ابنه محمدا ، واكثر ابناء الصحابة ارسلهم آباؤهم اقتداءً بمن ذكرنا ، فصدوهم عن الدار فرمى من وصفنا بالسهام ، واشتد القوم ، وجرح الحسن ، فخشي القوم ان يتعصب بنو هاشم وبنو أمية ، فتركوا القوم القتال على الباب ، ومضى نفر منهم الى دار قوم من الانصار فتسوروا عليها ، وكان ممن وصل اليه محمد بن ابي بكر ورجلان اخران ، .... فصعدت امرأته فصرخت وقالت قد قتل امير المؤمنين ، فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني امية ، فوجدوه قد فاضت نفسه ، فبكوا ، فبلغ ذلك عليا وطلحة والزبير [وسعدا] وغيرهم من المهاجرين والانصار ، فاسترجع القوم ، ودخل علي الدار ، وهو كالواله الحزين ، وقال لابنيه ، كيف قتل امير المؤمنين وانتما على الباب؟ ولطم الحسن وضرب [صدر] الحسين، وشتم محمد بن طلحة ، ولعن عبد الله بن الزبير ، فقال له طلحة لا تضرب يا ابا الحسن ، ولا تشتم ولا تلعن ، لو دفع [اليهم] مروان ما قتل وهرب مروان وغيره من بني امية))[394].

ولكننا في موضع اخر نجد ان (دونلدسن) يتخذ موقف الشك من الإِمام علي (عليه السلام) فيما يتعلق بمقتل الخليفة عثمان ، فقد قال : ((كان علي هنا في موقف صعب فان القتلة الحقيقيين كانوا قد هربوا اما الذين ادى استياؤهم وتحريضهم الى وقوع الماساة فكانوا كثيرين وهم من بين اخلص اصحابه – وقد يكون بالحقيقة هو احدهم – فلم يكن جوابه الا ((لعن الله قتلة عثمان)) وهو جواب غير شاف))[395] .

ولا يمكننا تقييم ما كتبه المستشرق (دونلدسن) ما لم يتم لنا دراسة اغلب الجوانب التي ركز عليها في كتابه انف الذكر على الرغم من سعتها ، ففي الباب الرابع الذي حمل العنوان ((علي الإِمام الاول)) ، افاد فيه بان دراسة حياة الائمة بشكل دقيق يكشف حقيقة واحدة ، وهي ان رجالا لا يزيدون عن مستوى الشخص الاعتيادي بشيء قد رفعوا الى مصاف الخالدين، ويعتقد دونلدسن ان خير طريق للتاكد من هذا الموضوع هو الرجوع الى اقدم المصادر ، فنتمكن بذلك تقدير ما كان عليه هؤلاء الناس في حياتهم الحقيقية ، وفي وجودهم المجرد من التمجيد والتقديس ، ومن الضروري في الوقت نفسه محاولة تصوير الهالة التي احاطتهم بها القصص المتاخرة ، واضاف بانه ما لم تذهب الى وراء ما كانوا عليه الى ما

---

(394) المسعودي ، مروج الذهب ، ج354/2 ، دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص43 ،44 .

(395) عقيدة الشيعة ، ص49 .

قد قيل فيهم فسيكون نصيبنا الفشل التام . ولا يمكن ايضاح العقائد الغريبة الشاملة التي تُعد اليوم اساسا للايمان .

وقال دونلدسن بهذا الشان : ((تدلنا اقدم الروايات على ان ادعاء علي بالخلافة لم يكن بنظر اصحابه وشيعته مجرد طموح سياسي بل حق الهي له . وكان لتعاليم ودسائس شخصية خفية نسبيا في تاريخ الإِسلام اليد الطولى في ظهور وجهة النظر هذه وانتشارها. فقد ظهر منذ زمن خلافة عثمان داعية متنقل اسمه عبد الله بن سبأ ، قطع البلاد الإِسلامية طولا وعرضا ... واستقر اخيرا في مصر وفيها قام بدور رئيس في المؤامرة في سبيل علي واعلن ان ابا بكر وعمر وعثمان كانوا غاصبين))[396] .

ويبدو ان (دونلدسن) قد انساق وراء الروايات التي روجت لهذه الاسطورة ، ولا نستغرب منه هذا الموقف كون بعض مصادرنا ومراجعنا الإِسلامية قد اشارت الى قضية عبد الله بن سبأ ، وحيث ان دونلدسن قد اعتمد على بعضها فمن الطبيعي ان يتاثر بذلك.

ويمكن تقييم موقف المستشرق (دونلدسن) من الخلافة بشكل عام ، بانه كان يشك في صحة الروايات الشيعية التي اكدت على حق الإِمام علي (عليه السلام) في الخلافة استنادا الى ما صدر من الرسول من اقوال وافعال ، وقد ابدى استغرابه من هذه الروايات ووصفها بانها كانت بفعل دسائس شخصية منسوبة الى ما اسماه بالداعية عبد الله بن سبأ ، والحقيقة ان كلام (دونلدسن) بهذا الشان غير دقيق ، لان الاخبار التي تناولت قصة عبد الله بن سبأ الاسطورية كانت احداثها في خلافة عثمان (رضي الله عنه) ، بينما نجد ان مطالبة شيعة الإِمام علي (عليه السلام) بالخلافة كانت بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة ، وبعد احتجاجهم بما صدر من احاديث عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اكد فيها على استخلاف الإِمام علي (عليه السلام) ومن بين هذه الاحاديث ، حديث الغدير واحاديث اخرى سيتم الحديث عنها في صفحات قادمة من هذا الفصل .

ولم تقتصر دراسة المستشرق دونلدسن على خلافة الإِمام علي (عليه السلام) ، وكدليل على اهتمامه بكل ما يتعلق بشخصيته ، فقد خصص باباً تحت عنوان ((مشهد علي بالنجف)) ، تعرض فيه الى الروايات التي تناولت مكان دفن الإِمام علي (عليه السلام) على اختلافها ، وكذلك التطورات التي طرأت على بناية القبر عبر العصور المختلفة ، مستفيدا

(396) عقيدة الشيعة ، ص58 .

من المصادر الإِسلامية وكتب الرحلات ، مثل رحلة ابن جبر (ت 614هـ/1217م) وابن بطوطة (ت 779هـ/1377م) . اضافة الى بعض المراجع الاجنبية[397] .

اما المستشرق الالماني (كونسلمان) فقد ابدى انطباعه عن الخلافة اثناء حديثه عن طبيعة العلاقة بين النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-والإِمام علي (عليه السلام) ، حيث ذكر بان مهمة ادارة الحكم في الإِسلام قد اتخذت اهمية اكثر اثناء السنوات العشر منذ هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى يثرب وحتى موته ، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) في اخر ايامه يسيطر على الجزء الاعظم من شبه الجزيرة العربية ، وبالرغم من هذا التطور فان النبي محمد (صلى لله عليه واله وسلم) ترك امر تنظيم خلافته رغم احاطته ببضعة رجال اكفاء ، إلاّ انه لم يشأ الحاق الضرر بواحد منهم ، وتجاهل (كونسلمان) ان كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لديه فكرة مساعدة آل بيته للوصول الى السلطة ام لا ، الا ان ورثته المباشرة قد اقتصرت على ابنته فاطمة (عليها السلام) ، وحاول كونسلمان الوقوف على بعض الحوادث التي جعلت بعض الصحابة يعولون عليها للحصول على الخلافة ، فعلى سبيل المثال اتخذ من حادثة تسليم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) امور مقاليد الحكمفي يثرب الى الإِمام علي (عليه السلام) الذي يثق به ويفضله على الاخرين ، على انها الدافع للامام علي (عليه السلام) لان يكون على يقين بانه سيحصل على مكانة خاصة بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وفي هذا الاطار ذكر (كونسلمان) قولا للامام علي (عليه السلام) بالمعنى وليس بالنص جاء فيه :

((مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وراسه على صدري وسال دمه من فمه على يدي فلطخت به وجهي وقد كلفت بتغسيل الرسول (صلى الله عليه وسلم) وساعدتني الملائكة في ذلك ، وكان الضجيج يملأ الدار وكانت ملائكة كثيرة تنزل من السماء واخرى تصعهد اليها . ولم يفتني أي حركة صدرت عنها . وكانت تصلي على محمد (صلى الله عليه وسلم) حتى واريناه التراب ، فمن كان اقرب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) مني في حياته ومماته؟))[398] .

ورأى المستشرق كونسلمان بان امر الخلافة قد خرج حقا عن سيطرة الإِمام علي (عليه السلام) وذلك لانشغاله بواجباته تجاه النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بعد رحيله الى ربه

---

(397) دونلدسن ، عقيدة ، ص70- 79 .

(398) سطوع نجم الشيعة ، ص12 .

الكريم ، وبعد اداء واجبه عاد ليرى ان الخلافة قد اخذت منه غدرا في سقيفة بني ساعدة وان ما جرى لم يكن عملية شورى وانما نتيجة مؤامرة[399] .

وينقل (كونسلمان) رواية اخرى على لسان عائشة (رضي الله عنها) تبين فيها ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما رجع من المسجد في يومه الاخير قد وضع رأسه في حجرها[400] .

ويعلق (كونسلمان) على هذه الرواية بالقول : ((وخاتمة رواية عائشة عن موت النبي (صلى الله عليه وسلم) تظهر انها كانت مضطرة للدفاع عن نفسها فلا بد ان يكون احد قد اتهمها بانه لم يكن من حقها مطلقا وفي هذه اللحظة ان تحتضن محمدا . اما الذي وجه لها الاتهام فقد يكون عليَّ . الذي قص رواية فيما بعد عن لحظة وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) . ولم يلتفت الى رواية علي بانه الشاهد الوحيد على الوفاة . الا عندما نشب الخلاف على خلافة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الحكم))[401] .

وتابع (كونسلمان) عرض الروايات التي توضح اثبات حق الخلافة في نظر كل التيارات المتصارعة ، فيذكر ان رواية ابناء الإِمام علي (عليه السلام) واضحة في تحديد ان النبي (صلى الله عليه وسلم) نظم مشكلة خلافته ؛ واستدل كونسلمان على ذلك بما ذكره الإِمام علي (عليه السلام) من قول النبي عنه بانه هو الاخ والوريث وعلى المؤمنين طاعته ، وان عليا دائما مع الحق ومع القرآن وسوف يكون الحق والقرآن معه . وكان كل من يؤمن باحقية الإِمام علي (عليه السلام) بعد موت النبي (صلى الله عليه وسلم) ، يرى ان محمدا (صلى الله عليه وسلم) قد نظم مشكلة الخلافة بوضوح قبل عودته للمدينة ، ففي موضع يدعى (غدير خم) قام النبي محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) امام كل المؤمنين الذين ذهبوا معه الى مكة بتكليف علي (عليه السلام) بلا شك بتجهيز نفسه لتسلم اعلى منصب . ومن آمن بهذا التكليف فسرعان ما صاروا شيعة علي (عليه السلام)[402] .

ويضيف كونسلمان القول : ((وبالرغم من ان (عليا) استطاع النفاذ الى وعي الجمهور في الدولة الإِسلامية الا انه ظل مستبعدا من الخلافة كذلك بعد مقتل عمر))[403] .

---

(399) ينظر، سطوع نجم الشيعة، ص18 .

(400) ينظر ، كونسلمان ، سطوع ، ص13 ، للاطلاع على رواية عائشة ينظر ، ابن هشام ، السيرة ، 1324/4 ، الطبري ، تاريخ ، 199/3 .

(401) ينظر ، سطوع نجم الشيعة ، ص13 .

(402) ينظر ، سطوع نجم الشيعة ، ص17 .

(403) سطوع ، ص18، 19 .

ويعلل كونسلمان السبب في ذلك الى العامل الاقتصادي ، حيث يصف الإ ِمام علي (عليه السلام) بانه كان واحدا من المنتقدين لنظام جمع الضرائب وقد تسبب هذا الموقف في النهاية في ان لا يكون للامام علي (عليه السلام) بين اثرياء العاصمة اصدقاء لترشيحه بعد مقتل الخليفة عمر (رضي الله عنه) ، فالعائلات التي هاجرت مع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الى المدينة ، اصبحت تعد من العائلات الثرية للغاية في البلاد فظنت ان الإ ِمام علي (عليه السلام) لو صار خليفة فسوف يتبع نظاما ضريبيا عادلا يمنع تدفق الاموال على تجار المدينة بدون اخضاعه الى حساب دقيق ، مما دفع اهل المدينة الى صرف النظر عن الإ ِمام علي (عليه السلام) ومبايعة عثمان (رضي الله عنه) على الرغم من كونه ((اقل شأنا))[404] على حد تعبير كونسلمان .

ويبدو ان السبب الذي ذكره كونسلمان في استبعاد الإ ِمام علي (عليه السلام) عن الخلافة مقنعا ومنطقيا رغم كونه لم يعد السبب الوحيد والمباشر .

وخلص كونسلمان الى القول : ((اما فشل علي كخليفة فله مبرره القوي ، وهو ان رجال النخبة في مكة والمدينة اعتادوا على حكم رجال السياسة الذين يفكرون في المصالح الاقتصادية للطبقة العالية بالذات . وهم لم يشاءوا الرجوع الى عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا ان يطلب منهم الخضوع . اما علي فلم يملك القوة لهدم نظام السلطة القائم في اهم مدينتين في شبه الجزيرة العربية . الا ان تطلعه الى بلاد الرافدين احيا لديه الآمال))[405] .

ان قراءة المستشرق كونسلمان لاحداث الخلافة تعبر عن وجهة نظر ثاقبة حيث ادرك بان المصالح الشخصية القائمة على المرتكزات الاقتصادية قد اخذت مداها في تكوين الطبقية داخل المجتمع الإ ِسلامي مما انعكس سلبا على مجريات احداث الخلافة بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وتحدث المستشرق (يان ريشار) عن افضلية الإ ِمام علي (عليه السلام) دون غيره للخلافة ، واكد ذلك بقوله : ((فاذا نظرنا الى عامة المسلمين ، وجدنا ان عليا هو النموذج الامثل للحاكم الواعي والملهم ، وفي الاصل فانه كان يقوم بما يشبه وظيفة الوزير في حكومة النبي ، وكان قويا كالاسد ، ومسلحا بسيفه ((ذو الفقار)) الذي كان له حدان ، ولكنه تحول بحكم الايديولوجيا المناضلة الى شهيد في سبيل العدالة . وحقا فانه كان في وسعه ان

---

(404) ينظر ، سطوع نجم الشيعة ، ص19 .

(405) سطوع نجم الشيعة ، ص30 ، 31 .

يثور على تعيين الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه . وعلى العزل الكامل الذي وضعه في عثمان ، وكان بوسعه ان يحتال على معاوية ، كمقدمة لاضعافه أي موالاته اولا ، للهجوم عليه فيما بعد بصورة المفاجأة وكان بامكانه ان ، يتجاوز بالحيلة ، ما علق في رؤوس الرماح من وريقات القرآن ، في معركة صفين ، واستخدم تفوقه العسكري فيها حتى النهاية))[406] .

والحقيقة ان مقاييس واساليب النجاح في الحرب عند (ريشار) لو استخدمها الإِمام علي (عليه السلام) لانتصر في حربه ضد معاوية ، ولكن المبادئ التي يحملها الإِمام علي (عليه السلام) ليست نفسها التي يحملها معاوية او الاساليب التي يفكر في ضرورة استخدامها المستشرق (ريشار) لكسب أي حرب ، فالإِمام علي (عليه السلام) يرفض استخدام الغدر والخداع مهما كانت النتائج التي يراد الوصول اليها .

وعندما يتحدث (ريشار) عن بيعة الغدير يؤكد احقية الإِمام علي (عليه السلام) بالخلافة فيقول بصدد ذلك :

((واول قضية تراثية يتسلح بها الشيعة ، من غير ان ترفضها السنة رفضا كليا ، هي تلك التي تجعل ولاية الخلافة لعلي ، ابن عم النبي وصهره ، ولاية شرعية على جماعة المسلمين))[407] .

وبذلك فان (ريشار) يرى بان تعيين الإِمام علي (عليه السلام) خليفة للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيعة الغدير كانت قضية محسومة ولا يمكن للمنصفين من انكارها ، ويمكن تلمس ذلك من خلال قوله :

((وعلى الرغم من ان عليا هو الخليفة المعين من قبل النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] ، فانه استبعد عن هذه الخلافة))[408] .

ويبدو ان المستشرق ريشار قد اطلع على ما كتب في مصادرنا التاريخية واستطاع بموضوعيته ان يميز وجه الحق في استحقاق الإِمام علي (عليه السلام) لان يكون خليفة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ورغم ان ما كتبه عن الخلافة كان بايجاز شديد ولكنه اصاب كبد الحقيقة .

---

(406) الإِسلام الشيعي ، ترجمة ، حافظ الجمالي ، دار عطية ، (بيروت – 1996م) ، ص40 .

(407) الإِسلام الشيعي ، ص34 .

(408) الإِسلام الشيعي ، ص35 .

((المبحث الثالث))

الرد على الدراسات الاستشراقية التي تؤيد عدم استخلاف النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لأحد في ضوء مواقف الشيعة الإِمامية

بعد ان تابعنا ما ذكره بعض المستشرقين بشان موضوع الخلافة ، يمكننا في هذا المبحث معالجة اهم نقطة قد اوردها المستشرقون وهي ادعائهم عدم تعيين الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خليفة من بعده ، بعد الاستعانة بما ورد في بعض مصادرنا او مراجعنا الإِسلامية ، سواء كانت افكار هؤلاء المستشرقين قد تبنوها لقناعتهم بها ام انهم قد تاثروا بما كتب عنها في الكتابات العربية والإِسلامية ، وغايتنا في ذلك هي محاولة الوقوف على بعض الحقائق التاريخية التي اغفلها هؤلاء المستشرقين جهلا بها او بقصد السير في ركب المؤرخين الذين انساقوا وراء مذهبيتهم او عواطفهم او تحزبهم لطرف معين دون اخر ، من اجل الحصول على مكاسب مادية او معنوية او خوفا من اصحاب السلطة عند اعلان تلك الحقائق . وسوف يكون التعامل مع هذه المعالجات بشكل مباشر ومختصر لانها حقائق سبق وان شخص اغلبها العديد من الباحثين ، وعندما نحاول ذكرها واضافة ما يمكن اضافته اليها مضافا لما امكنا ذكره من خلال مجريات المبحث الثاني ، فغايتنا ان لا تكون هذه الدراسة هي عرضا واقتباسات من هنا وهناك لما ورد في كتب المستشرقين حول موضوع الخلافة فقط دون ذكر ما يقابلها من حقائق وردت على لسان المؤرخين المسلمين ، لكي تكتمل الصورة وتكون هناك موازنة في عرض الاحداث .

لقد افرزت بعض الدراسات الاستشراقية مسألة في غاية الاهمية ، وهي ان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن قد حدد نظاما معينا لمسيرة الخلافة قبل وفاته ، بل ترك الامر شورى للمسلمين . فلو دققنا بعض المصادر الإِسلامية التي يعتمد ويعول عليها اصحاب هذا الراي انفسهم في بيان احداث تاريخية اخرى ، نجد ان هناك دلائل واضحة على ان الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد حسم الموضوع من سيخلفه قبل مرضه الاخير ووفاته ، واشار الى ذلك في اكثر من مناسبة وبشكل تدريجي بحيث لا يثير حفيظة صحابة اخرين مقربين منه كان امنية كل واحد منهم ان يكون خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بل وتمت مباركة الشخص الذي حدده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكون خليفة من الصحابة الطامحين في نيل الخلافة انفسهم في احدى المواقف .

ويمكن اجمال اهم هذه المواقف وحسب سبقها التاريخي ، والتي تعد دلائل على استخلاف الإ ِمام علي (عليه السلام) بما يلي :

1- حادثة التبليغ : المعروفة بيوم الدار ، وملخص هذه الحادثة ، انه عندما نزل قوله تعالى : ((وانذر عشيرتك الاقربين))[409] في بداية الدعوة الإ ِسلامية ، عمل الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) على تنفيذ الامر الالهي ، حيث دعا اقرباءه وقال لهم :

((يا بني عبد المطلب ، اني والله ما اعلم شابا في العرب جاء بافضل مما جئتكم به ، اني قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة . وقد امرني الله عز وجل ان ادعوكم اليه . فايكم يؤمن بي ويؤازرني على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم؟)) فسكت القوم ولم يجيبوا الا الإ ِ مام علي (عليه السلام) رغم صغر سنه ، حيث قال :

((انا يارسول الله اكون وزيرك على ما بعثك الله)) . وبعد ان كرر الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا القول ثلاث مرات لم يستجب له سوى الإ ِمام علي (عليه السلام)، حينها التفت اليهم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلا :

((ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا . فقام القوم يضحكون ، ويقولون لابي طالب ، قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع))[410] .

هذا هو اول موقف من المواقف التي انفرد بها الإ ِمام علي (عليه السلام) ليساند فيه ابن عمه النبي محمد (صلى اللهعليه وآله وسلم) في نشر الدعوة الإ ِسلامية ، ليستحق على اثره اول اشارة من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكون اخوه ووصيه وخليفته من بعده .

ويندرج في نفس المضمون ما ذكره ابن الاثير (ت 630هـ/1232م) من قول للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء فيه :

((لكل نبي وصي ووارث وان وصيي ووارثي علي بن ابي طالب))[411] .

وعندما نزل قوله تعالى : ((اني جاعلك للناس اماما ، قال : ومن ذريتي))[412] ، روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) في تفسيره لهذه الاية ، قال : قال رسول الله (صلى الله

---

(409) الشعراء / 214 .

(410) ينظر ، الطبري ، تاريخ ، ج2 / 319-321 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج586/1 .

(411) الكامل ، ج1 /586،587 ؛ ابن كثير ، التفسير ، 561/3 ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، مجلد 336/3.

(412) البقرة / 123

عليه وآله وسلم) : انتهت الدعوة اليّ والى علي لم يسجد احدنا قط لصنم ، فاتخذني نبيا واتخذ عليا وصيا))[413] .

ويؤكد الشيخ المفيد اهمية حادثة التبليغ بوصفه ان مؤازرة الإ ِمام علي للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في تلك الفترة من المناقب الجلية ، التي انفرد بها الإ ِمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، وهي من الامور التي تدل على امامته ، فقال الشيخ المفيد في ذلك:

((وفي الخبر ما يفيد انه به عليه السلام تمكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من تبليغ الرسالة واظهار الدعوة والصدع بالإ ِسلام))[414] .

وذكر الطبري حديثا للامام الحسين (عليه السلام) يبين فيه ان الله سبحانه وتعالى قد بلغ رسالته عبر رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكون اهل بيته (عليهم السلام) هم اوصياءه وورثته ، فقال الإ ِمام الحسين (عليه السلام) : ((اما بعد ، فان الله اصطفى محمدا (صلى الله عليه وسلم) ، على خلقه ، واكرمه بنبوته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه الله اليه، وقد نصح لعباده ، وبلغ ما ارسل به (صلى الله عليه وسلم) ، وكنا اهله واولياءه ، واوصياءه وورثته ، واحق الناس بمقامه في الناس ، فاستاثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة واحببنا العافية ، ونحن نعلم انا احق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه))[415] .

2- حديث المنزلة : خلاصة هذا الدليل ما ذكره البخاري واكده غيره من المؤرخين ، انه عندما خرج الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى غزوة تبوك عام (8هـ) فاستخلف الإ ِمام علي (عليه السلام) على المدينة ، حينها قال له الإ ِمام علي (عليه السلام) اتخلفني في الصبيان والنساء ، فقال له الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ((الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ الا انه ليس نبي بعدي))[416] .

وكانت دلالة هذا الحديث هي محاولة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) اعداد الإ ِمام علي (عليه السلام) لممارسة خلافته في حياته تمهيدا لما هو بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) .

---

(413) ابن سعد ، الطبقات ، 124/1 ؛ النيسابوري ، المستدرك ، 125/3 ؛ المحب الطبري ، الرياض النضرة، 234/2 .

(414) ينظر، محمد بن محمد العكبري (ت 413هـ) ؛ الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ، مؤسسة اهل البيت عليهم السلام ، ط1 (قم – 1416هـ/1995م) ، ج51/1 .

(415) تاريخ الأمم ، 357/5 .

(416) ينظر ، ابن سعد ، الطبقات ، 14/3 ، 15 ، 17 ؛ صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة تبوك ، ص776 ، ابو نعيم ، حلية الاولياء ، 345/4 .

وفي رواية عن ابي هارون العبدي ، قال :

((سألت جابر بن عبد الله الانصاري عن معنى قول النبي (صلى الله عليه وسلم) لعلي (عليه السلام) :

((انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي)) ، قال : استخلفه بذلك والله على امته في حياته وبعد وفاته ، وفرض عليهم طاعته فمن لم يشهد له بعد هذا القول بالخلافة فهو من الظالمين))[417] .

3- حديث يوم الغدير : بعد ان اتم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) حجةُ الاخير في السنة العاشرة للهجرة والتي سميت حجة الوداع وعند وصوله الى منطقة تدعى غدير خم نصب الإِمام علي (عليه السلام) ليكون خليفته ، وقد وردت احاديث عدة بطرق اسناد مختلفة فيها زيادة او نقصان ، ويمكن ايجازها في الروايات الاتية :

عن ابن عباس وجابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قالا : ((امر الله ((تعالى)) محمدا ان ينصِّب عليا للناس ليخبرهم بولايته ، فتخوف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان يقولوا : حابى ابن عمه ، وان يطعنوا في ذلك عليه ، فاوحى الله اليه : ((يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ...))[418] فقام رسول الله بولايته يوم غدير خم))[419] .

وعن البراء بن عازب ، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : ((الستم تعلمون اني اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا : بلى . قال : الستم تعلمون اني اولى بكل مؤمن من نفسه ، قالوا : بلى فاخذ بيد علي ، وقال : اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ...))[420] .

وفي رواية للحارث بن مالك ، انه قال : ((قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فابلغ ثم قال : ((ايها الناس : الست اولى بالمؤمنين من انفسهم؟ ثلاث مرات ، قالوا : بلى

---

(417) الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي (ت 381هـ) ، معاني الاخبار ، تحقيق علي اكبر الغفاري ، دار المعرفة للطباعة ، (بيروت – 1399هـ / 1979م) ، ص74 .

(418) المائدة / 67 .

(419) الحاكم الحسكاني ، عبد الله بن عبد الله بن احمد (من اعلام القرن الخامس الهجري) ، شواهد التنزيل بقواعد التفضيل ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، مؤسسة الاعلمي ، (بيروت – 1393هـ / 1974م) ، 192/1 .

(420) ابن ابي شيبة ، ابو بكر عبد الله (235هـ) ، المصنف في الاحاديث والاخبار ، الدار السلفية ، بومباي ، (الهند – 1402هـ) ، مجلد 7 / ص503 .

قال : ادن يا علي ، فرفع يده ورفع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يده حتى نظرت الى بياض ابطيه ، فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، حتى قالها ثلاث مرات))[421].

وروى الفخر الرازي في ذيل تفسير قوله تعالى : ((يا ايها الرسول بلّغ ما انزل اليك من ربك ....))[422] قال نزلت الاية في فضل علي بن ابي طالب (رضي الله تعالى عنه) ، ولما نزلت هذه الاية اخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيد علي ، وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، فلقية عمر فقال : هنيئا لك اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة))[423] .

وبعد تنصيب الإِمام علي (عليه السلام) امره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بان يجلس بخيمة بجوار خيمته ، وبعد ذلك امر المسلمين ان يدخلوا عليه فوجا فوجا ، يسلمون عليه ويباركونه امرة المؤمنين ثم امر ازواجه وجميع نساء المسلمين ان يسلمن عليه[424] .

وكان من بين المهنئين للامام علي (عليه السلام) عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، حيث قال له : ((هنيئا لك [يابن ابي طالب] اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة))[425]. وفي رواية اخرى قال له عمر (رضي الله عنه) : ((بخ بخ لك يا ابن ابي طالب ، اصبحت مولاي ومولى كل مسلم ...))[426] .

وذكر الهيتمي (ت 974هـ) رواية بين فيها ان ابا بكر وعمر (رضي الله عنهما) قالا له : ((امسيت يا ابن ابي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة))[427] .

وحاول عدد من المؤرخين المحدثين[428] ، الدخول في نقاشات لتوضيح قصد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما قاله بخطبة الغدير ، فقد اشار محمد بيومي مهران

---

(421) ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي ، (ت 573هـ) ، ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق ، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ، مؤسسة المحمودي ،ط2 (بيروت – 1318هـ)، 7/2 .

(422) المائدة /67 .

(423) التفسير الكبير ، 49/12 ، السيوطي ، جلال الدين (ت 911هـ) ، الدر المنثور في التفسير بالماثور ، دار الفكر ، (بيروت – 1403هـ) ، 117/3 .

(424) ينظر ، الطبرسي ، ابو علي الفضل بن الحسن (ت548هـ) ، اعلام الورى باعلام الهدى ، المكتبة الحيدرية ، ط3 (النجف – 1390هـ / 1970م) ، ص132-133 .

(425) ابن حنبل ، المسند ، 355/5 ، ابن ابي شيبة ، المصنف ، 79/14 .

(426) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 185/5 .

(427) الصواعق المحرقة ، ص67 .

الى ان كل ما صدر عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يدل بشكل واضح ولا لبس فيه على انه اوصى واستخلف الإِمام المقتدى به وهو علي بن ابي طالب (عليه السلام) وضاف هذا المؤرخ القول : ((ومما يؤكد ذلك قول ابي بكر وعمر لعلي بعدما سمعا قول النبي (صلى الله عليه وسلم) . امسيت يا بن ابي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة، او قول عمر بخ بخ لك يا بن ابي طالب ، اصبحت مولاي ومولى كل مسلم ، او هنيئا لك يا بن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، فان النبي -صلى الله عليه وسلم- لو لم يكن قد انشأ واوجد بفعله وقوله ذلك لعلي (عليه السلام) منصبا جديدا ، لم يكن ثابتا له من قبل ، لما قالا له : امسيت او اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة، ونحو ذلك ، فان مثل هذا التعبير لا يقال الا عند حصول منصب جديد حادث ، والا فالإِمام عليا انما كان محبا لمن كان النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] محبا له ، او ناصرا لمن كان النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] ناصرا له ، وهذا كله واضح ، لا يحتاج الى مزيد بيان))[429] .

وقد ذكر الشيخ المرتضى (ت 436هـ) خبر حادثة الغدير وعده من النصوص الجليلة الدالة على امامة علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، واكد صحة الخبر وتواتره[430] .

كما جعله الطبرسي (ت 548هـ) من النصوص الجليلة واورد رواته[431] .

ويذكر ان الشاعر حسان بن ثابت (ت 54هـ) قد انشد بحق الإِمام علي (عليه السلام) في يوم الغدير شعرا قال فيه[432] :

يناديهم يوم الغدير نبيُّهم بخمٍ فاسمع بالرسول مناديا

وقال فمن مولاكم ووليكم فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

---

(428) على سبيل المثال ، ينظر ، الحسيني ، ادريس هاني ، الخلافة المغتصبة ازمة تاريخ ام ازمة مؤرخ، د.م - د.ت ، ص122 وما بعدها ؛ الخزاعي ، عبد الحسين ، امام وخليفة ، مكتبة الالفين ، (لندن-1421هـ / 2001م) ، ص27-40 ؛ القبانجي ، احمد ، خلافة الامام علي (عليه السلام) بالنص ام بالنصب؟ ، سلسلة ثقافة اسلامية معاصرة ، عدد /1 ، (د.م-1423هـ/2003م) ، ص65-86.

(429) مهران ، محمد بيومي ، الامامة واهل البيت ، ص123 .

(430) ينظر، الشريف ، ابو طالب علي بن الحسين ، (ت 436هـ) ، الشافي في الامامة ، مؤسسة الصادق ، (طهران ،د.ت)، ص85، 88 .

(431) ينظر، اعلام الورى باعلام الهدى ، ص167 .

(432) المغازلي ، ابو الحسن علي بن محمد الشافعي (ت 483هـ) ، مناقب الامام علي بن ابي طالب، دار الاضواء ، ط3 (بيروت-1403هـ) ، ص19 .

الهك مولانا وانت ولينـــا ومالك منا في الولاية عاصـيا
فقال له قم يا علي فاننـــي رضيتك من بعدي اماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليّـه فكونوا له انصار صدق مواليا

4- ويضيف الشيخ المفيد (ت 413هـ) دليلا مهما يثبت حق الإِمام علي (عليه السلام) في الخلافة حيث قال :

((فاما الاجماع على ما يوجب له [أي للامام علي (عليه السلام)] الامامة من الخلال فهو اجماعهم على مشاركته لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في النسب ، ومساهمته له في كريم الحسب ، واتصاله به في وكيد السبب ، وسبق الامة كافة الى الاقرار ، وفضله على جماعتهم في جهاد الكفار ، وتبريزه عليهم في المعرفة والعلم بالاحكام وشجاعته وظاهر زهده الذي لم يختلف فيه اثنان ، وحكمته في التدبير وسياسة الانام وغناء بكماله في التاديب المحوج اليه النقص عن الكمال ، وببعض هذه الخصال يستحق الامامة فضلا عن جميعها على ما قدمناه))[433] .

5- احاديث عديدة للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يستدل بها على تفضيله للامام علي (عليه السلام) ورغبته في استخلافه ، نذكر منها :

- قول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((علي مني وانا من علي ، ولا يؤدي عني الا انا أوعلي)) .

روى الترمذي في صحيحه ،بسنده عن انس بن مالك قال بان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث ببراءة [الى اهل مكة] مع ابي بكر (رضي الله عنه) ،ثم دعاه فقال ((لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا ، الا رجل من اهلي ، فدعا عليا ، فاعطاه اياه))[434] .

وذكر المحب الطبري قولا للامام علي (عليه السلام) ، جاء فيه ((لما نزلت عشر ايات من براءة على النبي (صلى الله عليه وسلم) دعا النبي (صلى الله عليه وسلم) ابا بكر ، فبعثه بها ليقرأها على اهل مكة ، ثم دعاني فقال لي : ادرك ابا بكر ، فحيثما لقيته فخذ الكتاب ، فاذهب به الى اهل مكة ، فاقرأه عليهم ، فلحقته فاخذت الكتاب منه ، ورجع ابو بكر الى

---

(433) محمد بن النعمان العكبري (ت 413هـ) ، الافصاح في امامة علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، دار المنتظر ،ط2 ، (بيروت – 1409هـ / 1989م) ، ص15 .

(434) الصحيح ، ص977 ؛ النسائي ، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب (ت 303هـ) ، تهذيب خصائص امير المؤمنين (عليه السلام) ، دار الكتب العلمية (بيروت ، د.ت) ،، ص67 ، 68 .

النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا رسول الله ، نزل في شيء ؟ قال: لا جبريل جاءني فقال : لن يؤدي عنك ، الا انت او رجل منك))[435] .

ولعل من دواعي البحث تقييم موقف الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما اناب عنه الإ ِمام علي (عليه السلام) ليبلغ اهل مكة بما جاء في مضمون سورة براءة بعدما كانت هذه المهمة تخص الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) بوصفه كان اميرا للحج في حينه ، ففي هذا الموقف اشارة واضحة لاستجابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لنداء جبريل (عليه السلام) الذي فضل الإ ِمام علي (عليه السلام) على غيره لتبليغ امر الله سبحانه وتعالى عبر رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذا الموقف فيه تعزيز لحادثة تاريخية سابقة وهي غزوة تبوك التي استخلف فيها الرسول محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-الإ ِمام علي (عليه السلام) على المدينة ليحل محله .

-قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ان الإ ِمام علي (عليه السلام) وزيره:

روى المحب الطبري بسنده الى (اسماء بنت عميس)[436] قالت : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : ((اللهم اني اقول ـ كما قال اخي موسى ـ اللهم اجعل لي وزيرا من اهلي ، اخي عليا ، اشدد به ازري ، واشركه في امري ، كي نسبحك كثيرا ، ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا))[437] .

يضاف لما ذكرنا من ادلة فقد اوضح العلامة الشيخ الاميني حادثة الغدير التي اشرنا اليها سابقا ، بما لا يقبل الشك في انكارها او تاويلها، في كتابه (الغدير في الكتاب والسنة والادب) ، فاورد اسماء مائة وعشرين صحابيا رووا حديث الغدير[438] .ومن التابعين اربعة وثمانون تابعيا[439] .

---

(435) المحب الطبري ، الرياض النضرة ، ج119/3 .

(436) هي اسماء بنت عميس بن معاذ بن الحارث بن هيثم ، تزوجها جعفر بن ابي طالب (عليه السلام) ، وانجبت منه عبد الله وعونا ومحمد ، وعند استشهاده في معركة (مؤته 8هـ) تزوجها ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) فولدت له محمدا ، ثم مات عنها فتزوجها الامام علي (عليه السلام) فولدت له يحيى وعونا ، ينظر ، ابن سعد ، الطبقات ، ج8 / 219-222 .

(437) ابن حنبل ، احمد ، فضائل امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، تحقيق حسن حميد السنيد ، المجمع العالمي لاهل البيت ، مطبعة ليلى ، (قم ،1425هـ) ، ص370 ؛ المحب الطبري، الرياض النضرة ، 106/3 .

(438) ينظر ، الاميني ، الغدير ، 35/1-87 .

(439) ينظر، الغدير ، 89/1-101 .

ومن روى حديث الغدير من ائمة الحديث وحفاظه والاساتذة ، ذكر الاميني ثلاثمائة وستين شخصا[440] .

فضلا عن المؤلفين في حديث الغدير من الفريقين وهم تسعة وعشرون[441] ، وكان الشهود لامير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) يوم الرحبة بحديث الغدير ، ذكر الاميني اسماء اربعة وعشرين صحابيا[442] .

(440) ينظر، الغدير ، 1/102-190 .

(441) ينظر، الغدير ، 1/191-198 .

(442) ينظر، الغدير ، 1/227-229 .

الفصل الرابع

الحروب التي خاضها الإِمام علي (عليه السلام) ضد الخارجين عن السلطة [الضالين] في الدراسات الاستشراقية

المبحث الاول:حرب الإِمام علي (عليه السلام) ضد الناكثين في معركة الجمل.

المبحث الثاني:حرب الإِمام علي ضد القاسطين في معركة صفين.

المبحث الثالث:حرب الإِمام علي ضد المارقين (الخوارج) في معركة النهروان.

مدخل

نالت الحروب التي خاضها الإِمام علي (عليه السلام) ضد الناكثين لبيعته وهما طلحة والزبير واتباعهما ، والقاسطين[443] وهم معاوية واتباعه فضلا عن المارقين الذين يطلق عليهم لقب الخوارج اهتمام عدد من المستشرقين الذين ركزوا في دراساتهم على ابراز جوانب من احداث المعارك الثلاث التي دارت رحاها والمتمثلة بالجمل وصفين والنهروان، وقد حاول هؤلاء المستشرقون الوقوف على الاسباب التي ادت الى حدوث هذه المعارك ،وسيتبين من خلال هذا الفصل بان بعضهم قد اخذ بظاهر الاسباب المعلنة في مصادرنا التاريخية دون الدخول والتحري عن الاسباب الحقيقية ، او انهم تاثروا باراء غيرهم حينما تناقلوا الاخبار المتعلقة بهذه المعارك وما نجم عنها سوى ان البعض قد شخص الحقائق فيما يتعلق بالاسباب والنتائج.

سيتناول هذا الفصل وجهات نظر وما تناقله بعض المستشرقين بشان هذا الموضوع مع الاخذ بنظر الاعتبار ما ورد من آراء واللجوء في بعض الاحيان الى اقتباس النصوص التي توضح بجلاء موقف هؤلاء المستشرقين من الحروب التي حدثت ابان تسلم الإِمام علي (عليه السلام) الخلافة .

---

(443) من القسوط وهو الجور،لانه عدول عن الحق،فيقال قَسَطَ يَقسِط قسطاً،فهو قاسط اذا جاز عن الطريق،قال تعالى في كتابه العزيز:((واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)) الجن/15. والرجُل القسطاء التي في ساقها اعوجاج لعدوله عن الاستقامة،الطوسي،التبيين في تفسير القرآن،375/2.

((المبحث الاول))

حرب الإِمام علي (عليه السلام) ضد الناكثين في معركة الجمل

من بين المتاعب الجمة التي واجهها الإِمام علي في اثناء خلافته هي معركة الجمل، وخاض هذه المعركة ضد الناكثين لبيعته وهم طلحة والزبير ومن التحق بهما من اتباع السيدة عائشة (رضي الله عنها) زوج الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد حظيت هذه المعركة باهتمام عدد من المستشرقين.

كان من بينهم المستشرق الانكليزي بودلي الذي ذكر ان السبب الذي دفع لوقوع هذه الحرب هو عدم ميل الإِمام علي (عليه السلام) لمعاقبة قتلة الخليفة عثمان (رض) ، مما ادى الى استغلال عائشة هذه ((الاخطاء)) لتنال من الإِمام علي (عليه السلام) ، اذ اتهمته بانَّ له يد في عملية القتل ، وقد ساندها في ذلك معاوية بوصفه شيخ الامويين واحد المطالبين بدم الخليفة عثمان (رض) من جانب ، ولانه كان يطمع في الخلافة من جانب اخر ، ويضيف بودلي على ما تقدم بالقول :

((وان من تابع ذلك كان كقصة خيالية لا تحاكيها اية قصة خرافية خرجت من بلاد العرب))[444]

ولكن بودلي لم يوضح جانب الخيال والخرافة في كل ما قاله عن معركة الجمل .

وذكر ان عائشة وبمعاونة طلحة والزبير اعدت جيشاً في مكة وانطلقت الى البصرة التي وصفها انها كانت منقسمة في ولائها للامام علي (عليه السلام) ، وقد كره استخدام القوة ضد زوج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كرها شديداً ، وخرج الى البصرة وحاول ان ينهي الامر بحنكة سياسية ، ولكنه لم يستطع ، وكان في كلا المعسكرين كثير من المتهورين ومن الذين يحبون المغامرة ، وقليل منهم كان يسعى الى وحدة المسلمين التي غرسها النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في نفوسهم ، وقد بدأت المعركة ببعض المناوشات في ديسمبر 36هـ/656م ادت الى اشتباك الجيشين في القتال[445].

وتابع بودلي ذكر وقائعالمعركة ووصفها انها كانت شديدة وقاسية ، وكانت قيادة الإِمام علي (عليه السلام) هي المتفوقة وارغم جنود عائشة على التقهقر المرة تلو الاخرى، رغم محاولتهم لملمة شعثهم بين الحين والاخر على صوت قائدتهم ، اذ اشتدت المعركة حول

---

(444) ينظر، حياة محمد ، ص423 .

(445) ينظر ، بودلي ، حياة محمد ، ص423-424 .

جمل عائشة حتى اصبح هودجها الاحمر كالقنفذ جراء الرماح والسهام والحراب المغروسة فيه ، وقد سقط جنود عائشة واحداً بعد الاخر عند اقدام الجمل ، مما ادى الى جرح عائشة جرحاً طفيفاً ، واخيراً جاء رجل وضرب الجمل على خواتمه فعقره وكان ذلك ايذاناً بالهجوم لجيش الإِمام علي (عليه السلام) ، فانهزم رجال عائشة[446].

وختم (بودلي) حديثه عن معركة الجمل بهذا القول : (ولما كان علي جندياً باسلا بقدر ما كان حاكماً فاشلاً . فقد كبح جماع جنده ، فلم تكن هناك مذابح ولم يستول الجنود على غنائم واسلاب ، وذهب لزيارة عائشة كما كان يزورها في الايام الخوالي في دور النبي الملتصقة في المسجد ، فلم ترحب عائشة بالزيارة الكريمة ، واستقبلت علياً في غلاسة وصمت وقد كان كل ما قالته ((يا ابن ابي طالب ، ملكت فاصفح ...)) فصفح علي وجهزها بجمال وحرس ، وارسلها الى مكة ثم الى المدينة))[447] .

وليس كل ما ذكره بودلي كان دقيقاً ، ففيما يتعلق بالسبب الذي ادى الى معركة الجمل لم يكن كما ادعاه ، وان صح ادعاؤه فان الاطراف التي اشتركت في قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) كانت متوزعة هنا وهناك مما يصعب السيطرة عليها ولو امكن الإِمام ذلك لحال دون وقوع الحادث اصلاً ، من جانب اخر فان الثوار قد هددوا الإِمام علي (عليه السلام) بان يلحقوه بصاحبه ما لم يستجب لمطالبهم وفي مقدمتها تسلم الخلافة.

كذلك وصف بودلي الإِمام علياً (عليه السلام) انه كان حاكما فاشلاً في الوقت الذي قال عنه انه جندياً باسلاً ، ولم يسمح لجنوده بالاستيلاء على الغنائم او ارتكاب جرائم الذبح وعامل السيدة عائشة (رضي الله عنها) بكل حسنى وارجعها الى المدينة معززة مكرمة.

فاذا كان عدم الاستيلاء على الغنائم والابتعاد عن جرائم الذبح ومعاملة السيدة عائشة بالحسنى لم تكن وسائل نجاح تُحسب للإِمام علي (عليه السلام) فلا نعلم ما هي مقاييس الحاكم الناجح عند بودلي؟

ويطل المستشرق (هنري ماسيه) ليبدي رأيه في معركة الجمل بشكل موجز ومختصر الى حد كبير ، فقد وضح انه وبعد اكثر من خمسة اشهر على تقلد الإِمام علي (عليه السلام) الخلافة ، ترك المدينة وتوجه على رأس جيش الى البصرة ، وكان من المحتم عليه إخضاع طلحة والزبير الذين اتفقا مع عائشة لشن الحرب ضد الإِمام علي (عليه السلام) بحجة الثأر للخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، والحقيقة كما يعبر عنها (هنري ماسيه) هي العداء السابق

---

(446) حياة محمد ، ص424 .

(447) حياة محمد ، ص424 .

الذي تكنه عائشة (رضي الله عنها) نتيجة لموقف الإ ِمام علي (عليه السلام) الذي اشار فيه على الرسول الكريم بضرورة طلاقها بعد حادثة الافك[448] .

وياتي المستشرق (سيديو) بوصف دقيق للدور الذي مارسته عائشة (رضي الله عنها) وطلحة والزبير في حربهم ضد الإ ِمام علي (عليه السلام) ، اذ أشار (سيديو) الى ان رفض الإ ِمام علي (عليه السلام) تولية طلحة والزبير الكوفة والبصرة ادى الى ان تنقلب صداقة هذين الرجلين الى حقد شديد ، اما عائشة فقد وصفها انها ((روح كل مكيدة))[449].

ويضيف (سيديو) القول ان احد عمال[450]الإ ِمام علي (عليه السلام) قد اخذ على حين غفلة مما دفع باللجوء الى السلاح ، وتوجهالإ ِمام علي الى العراق ، وقد قتل كل من طلحة والزبير في الموقعة المعروفة بيوم الجمل سنة (36هـ) ، في الوقت الذي تم اسر السيدة عائشة (رض) ومعاملتها معاملة حسنة وارسالها الى المدينة مع ولدي الإ ِمام علي (عليه لسلام) الحسن والحسين (عليهما السلام)، واتخذت بعد ذلك الكوفة مقراً للخلافة وتمت مبايعة لإ ِمام علي (عليه السلام) من اهل العراق والجزيرة العربية وفارس وخراسان[451].

اما المستشرق (الفريد جيوم) فقد وصف عهد الإ ِمام علي (عليه السلام) انه كان بداية الانقسامات التي لم تنته قط بين المسلمين اذ ان عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعها طلحة والزبير كانوا معارضين لحكم الإ ِمام علي (عليه السلام) وقد هزمهم في الموقعه المعروفة باسم (وقعة الجمل) ، وقتل طلحة والزبير ولم تكن تكن هذه الحادثة بداية المتاعب فحسب فقد كان هناك خصم آخر وهو معاوية ابن ابي سفيان ، ابن عم الخليفة المقتول الذيكان عثمان (رضي الله عنه) قد عينه والياً على الشام ، مما حدا به المطالبة بدمه[452].

وفيما يخص المستشرقة البولونية (يوجينا غيانه شتيسفسكا) فقد ذكرت ان كل من طلحة والزبير قد بايعا الإ ِمام علي (عليه السلام) وبعد ذلك مباشرة ذهبا الى مكة والتقيا بعائشة (رضي اللهعنها) التي وصلت الى مكة قبل مقتل الخليفة عثمان ، ورغباها في قتال الإ ِمام

---

(448)هنري ماسيه ، الإ ِسلام ، ص64 .

(449) تاريخ العرب العام ، ص127

(450)يقصد به سيديو الوالي عثمان بن حنيف الذي عينه الإ ِمام علي (عليه السلام) على البصرة ، وقد اسره طلحة والزبير بعد ان قتلوا حراسه وقاموا بنتف لحيته وشاربه والاستيلاء على بيت المال في ابان معركة الجمل ، ينظر ، الطبري ، التاريخ ،468/4 .

(451) تاريخ العرب العام ، ص127 .

(452)الفريد جيوم ، الإ ِسلام ، ص21 .

علي ومطالبته بدم عثمان ، مما ادى الى ان يتبعهم كثير من بني امية ، فساروا لقتال الإِمام علي (عليه السلام) وفي اثناء المسير ارادت عائشة الرجوع فلم يسمحوا لها بذلك وحاولوا الاستيلاء على البصرة فمنعهم والي الإِمام علي عثمان بن حنيف من دخولها ، واكدوا للوالي انهم لم يقصدوا الحرب وانما الصلح وكتبوا بينهم وبينه كتاباً على انهم لم يتسببوا في أية مشكلة حتى قدوم الإِمام علي (عليه السلام) ، لكن اصحاب طلحة والزبير غدروا بعثمان بن حنيف وسجنوه ثم اطلقوا سراحه بعد ان عذبوه ، وعندما تلقى الإِمام علي (عليه السلام) الخبر سار الى البصرة ومعه اربعة الاف من اهل المدينة وانضم اليه ستة الاف من اهل الكوفة ، وعند وصوله البصرة ، سعى جاهداً لتجنب اسباب الحرب ، فلم يمكنه ذلك ، وحينها دارت الحرب بين الطرفين اربع ساعات وكانت عائشة راكبة على الجمل ، واسفرت النتيجة عن هزيمة عائشة (رض) وقتل طلحة في المعركة اما الزبير فقد قتل ايضاً ولكن عندما حاول الهروب الى المدينة ، وامر الإِمام علي (عليه السلام) بان تعود عائشة (رض) الى المدينة بعد ان جهزها بما تحتاج اليه ، وسميت هذه المعركة بـ (وقعة الجمل)[453].

وتناول المستشرق (ولاستون) معركة الجمل بعد ان بدأ الحديث عن الاضطراب الذي سببه مقتل الخليفة عثمان (رض) مما ادى الى ان يتقدم بعض المسلمين الى الإِمام علي (عليه السلام) ليطلبوا منه تسلم الخلافة ولكنه رفض ذلك في بداية الامر وبعد الالحاح عليه وحفاظا على الدين طلب ان تكون مبايعته علناً ، وبعد الاعتراف به خليفة صمم على عزل الولاة الذين عينهم الخليفة عثمان رغم النصائح التي وجهت اليه من البعض ، وقد وصف (ولاستون) هذا الامر بقوله : ((وعبثاً ذهبت اعتراضات الاصدقاء المخلصين ضد هذا الطيش الغير ضروري وعن اثارة خطر محدق من جمهرة الاعداء قبل ان يتمكن من تحصين موقعه))[454].

واضاف ولاستون انه قد اعقبت عملية العزل السريع حالة من التذمر وبرزت في الساحة جماعة ساخطة كانت بتحريض رجلين من ذوي النفوذ هما الطلحة والزبير واشعل نار هذه المشكلة ((سلوك الحاقدة عائشة)) على حد تعبير ولاستون.

اضافة الى العدو الاقسى والمستعر ضد زوج ابنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والمتمركز في سوريا - ويقصد به (معاوية) - وفي الوقت نفسه وصل خبر الى المدينة

---

(453) تاريخ الدولة الإِسلامية وتشريعها ، ص60.

(2) Wollaston , Arthur . N , Half Hours with Mahomad . P .97 .

مفاده ان ام المؤمنين عائشة (رض) وطلحة والزبير سيتوجهون الى البصرة ، وان كل من كان حريصاً على دينه ان يقاتل للاخذ بثأر الخليفة (عثمان) ويذهب طوعاً معهم ما لم يمنعه مانع من النفير ، واحتشد ما يزيد على ثلاثة الاف مقاتل حول هودج عائشة (رض) الموضوع على الجمل ، وشدت الرحال الى البصرة وهي ((مفعمة بروح الحقد لآل علي))[455].

ووصف ولاستون مدينة البصرة انها كانت غاصة بالجماعات المتعددة في ولائها، وبعد ان استلم عاملها امرت (العقيلة الحاقدة) ويقصد بها السيدة عائشة (رض) ، بقتل العامل ، الا ان تأثير رفاقها قلل من عزمها على قتله وسمحت له ان ينجو بحياته بعد ان تعرض للاذلال والاهانة بنتف لحيته وحاجبه ارضاءً ((لام المؤمنين الساخطة)) ، ويعرج ولاستون علىثقة الإ ِمام علي (عليه السلام) بالمسلمين الذين عبر عنهم بالجماهير بقوله ((كان ينصب اهتمام علي على الجماهير بافراط وكان يعتقد انه من المعروف ان انتخابه قد تم بحرية ، ولكن حتى بلاغته ، اذ كان يعد من افضل خطباء عصره، لم تكن كافية لاستحالة النفوس اليه))[456].

اما ابنه الحسن (عليه السلام) والكلام لـ(ولاستون) فكان يرى ان هذه مؤامرة ميئوس منها وسعى لثني عزم ابيه ونصحه في التقية ، لكن دون جدوى ، واتجه الإ ِمام علي (عليه السلام) باتجاه البصرة وارسل رسولين الى الكوفة ، وفصل ولاستون في موضوع المراسلات التي جرت بين الإ ِمام علي (عليه السلام) ووالي الكوفة ، وذكر جزءاً من الكلام الذي وجهه الإ ِمام علي (عليه السلام) لأهل الكوفة عن طريق ابنه الحسن ووضح من خلاله نكث وغدر كل من طلحة والزبير بعد بيعتهما ، ودعا اهل الكوفة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فوجد استجابة منهم وانضم الى معسكر الإ ِمام علي (عليه السلام) ما يزيد على تسعة الاف من اهل الكوفة واستقبلهم بحفاوة ، وبذلك يرتفع عدد مقاتليه الى ما يزيد عن ثلاثين الف رجل مما ادخل الرعب في قلب عائشة ، يضاف إلى ذلك ان الإ ِمام علياً كان قائداً بارعاً في المعارك ، اكسبه لقباً محبباً لنفوس المسلمين وهو ((اسد الله)) ، وهكذا بدأ القتال بضراوة شديدة بين الجانبين ولفترة طويلة ، اصيب طلحة بسهم في ساقه فتعذر عليه التحكم بحصانه وانطرح على ارض المعركة ، وحاول احد اصحابه ابعاده عن المعركة وايصاله الى المدينة ولكن اجله قد دنا من المصير المحتوم ، وبذلك ازيل حجر العثرة عن

---

(1) Wallaston , Half Hours , P. 98 .

(2) Ibid , P .99 .

علي (عليه السلام)[457].

ويضيف (ولاستون) بان الزبير هو الناكث الثاني فقد شعر بالذنب ووخز الضمير وانسحب من المعركة قاصداً طريق مكة إلاّ انَّاحد الموالي من معسكر الإِمام علي (عليه السلام) تمكن من ادراكه وقتله عندما كان ساجداً في صلاة المغرب وقطع رأسه . وعندما رأى امير المؤمنين رأس عدوه مضرجاً بالدماء استنكر هذا الفعل ووبخ الشخص الذي قام به وبشره بجهنم ومن صدمة الاحساس بالجريمة دفعه الى قتل نفسهمباشرة عند اقدام الإِمام علي (عليه السلام) الذي اندهش لهذه الحادثة ، وبذلك ازيح المتآمران الرئيسان من الساحة ، الا ان المعركة لم تنته بسبب وجود عائشة (رضي الله عنها) ما دام الناس يرونها فان المعركة كانت مستمرة على اشدها وكان الهودج مركز الجذب للعدو والصديق والذي اصبح مثل القنفذ من كثرة السهام ، ولكن وبعد برهة من الزمن اصبحت عائشة تحت رحمة الإِمام علي (عليه السلام) المنتصر ، وعلى النقيض مما كانت هي عليه ، قابلها بالمعروف واعد لها جهازاً جيداً وارسلها الى المدينة مع ابنيه الحسن والحسين (عليهما السلام) لمرافقتها وفي الوقت نفسه منعها من التدخل في شؤون الدولة ، وبعد هذا اليوم الحاسم اتجه الى الكوفة واصبحت مركز حكمه سنة 656م.

ومن الملاحظ على ما قاله (ولاستون) حول ما جرى في معركة الجمل هو انه استخدم بعض العبارات بحق السيدة عائشة (رضي الله عنها). ومنها ((الحاقدة)) وانها ((مفعمة بروح الحقد ضد آل علي)) و ((الساخطة)) ، وكل هذه المصطلحات تدل على انه استطاع ان يقرأ مفردات التاريخ الإِسلامي بموضوعية ولا سيما فيما يتعلق بطبيعة العداء الذي تكنه عائشة للامام علي (عليه السلام) مما دفعها لسلوك طريق الخديعة والمكر واللجوء الى الحرب.

ولم تاخذ معركة الجمل حيزا كبيرا فيما كتبه المستشرق (نولدكه) ، بل ولم يذكر اسمها لكنه اشار اليها من خلال سياق الكلام فقد وصف الاوضاع التي الت اليها الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) انها كانت بداية لحرب اهلية دموية وانشقاقات متوقعة، ان قتلة الخليفة عثمان بايعوا الإِمام عليا (عليه السلام) للخلافة ومنهم طلحة والزبير ولكنهم

---

(1) Wollaston , o.p.t.p.100.102

نكثوا عهدهم بسرعة واتحدوا مع عائشة (رضي الله عنها) ضده الا ان شجاعة الإ ِمام علي (عليه السلام) كانت الند لهؤلاء الاعداء[458].

واهم ما يمكن ان يؤاخذ عليه (نولدكة) هو ادعاؤه ان الإ ِمام عليا (عليه السلام) قد وصل الى الخلافة بدعم قتلة الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، وهذا لا يمكن عده في صلب الحقيقة التاريخية وقد اشرنا الى الأدلة التي تبرئ ساحة الإ ِمام علي (عليه السلام) من حادثة القتل في اكثر من موضع خلال البحث.

ولم يختلف المستشرق (موتتغمري واط) عن نظيره نولدكة فيما يتعلق بذكر معركة الجمل فقد اشار اليها بسطور معدودة ، فذكر ان المسلمين المتواجدين في المدينة انتخبوا الإ ِمام عليا (عليه السلام) بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) مباشرة ، ولكن انتخابه لم يكن باقرار الجميع ، اذ ان معاوية بن ابي سفيان ، قريب عثمان وحاكم سوريا وقلة قليلة من قبائل مكة التي ينحدر منها ابو بكر وعمر (رضي الله عنهما) رفضوا البيعة ورفعوا السيوف في وجه الإ ِمام علي (عليه السلام) ، ولكنهم هزموا على يديه قرب البصرة في كانون الاول عام 36هـ/656م ، ووصف مونتغمري واط حربهم ضد الإ ِمام علي بقوله :

((وبدا وكأن خروجهم ضد علي اكثر من رغبة شخصية بل طمعا في السلطة والثروة))[459].

وخص المستشرق (برسي سايكس Sir.Percy Sykes) معركة الجمل في صفحة من صفحات كتابه (Histiry of Percia) وقد بدأ بمقدمات هذه المعركة ، فذكر انه عندما انتخب الإ ِمام علي (عليه السلام) للخلافة ، قام البعض بتوجيه النصح له بتعقب قتلة الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، إلاّ أنّه احجم عن هذا الامر على اساس انه كان يفتقر القوة اللازمة ، واضاف (برسي سايكس) القول :

((في الوقت نفسه لم يكن حكيما بقراره طرد معاوية ،على الرغم من النصائح الموجهة اليه بان يتركه في موقعه الى ان تستتب له امور الخلافة))[460] .

---

(2) Noldeke,Theodor,Sketches From Eastern History,Khyats Oriental Reprnts No.2,Beirut,1963,P.79 .

(1) Wat,M,Aslam and Integration of society,P.97 .

(2) Sir.Persy Sykes,History of Percia , Macmillan & Coltd,Third Edition,London,1958.P.533

وذكر (برسي سايكس) ان الإ ِمام عليا (عليه السلام) لم يكن محظوظا ، بسبب عداوة السيدة عائشة (رضي الله عنها) وهي زوجة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المفضلة، اذ قام كل من طلحة والزبير بالاستيلاء على البصرة بعد صراع شديد مع الموالين للامام علي باستخدامهما كاداة ، وبعد تلقي التعزيزات من الكوفة قام الإ ِمام علي بالزحف نحو البصرة[461] .

ويضيف (برسي سايكس) ان الإ ِمام علياً (عليه السلام) حاول جاهداً تجنب هذه الحرب ولكنه فشل بسبب قيام قتلة عثمان بالهجوم ، وسميت هذه بحرب الجمل ، نسبة الى جمل عائشة ، وكانت في اثناء الحرب على هودج الجمل ، وعندما اندلعت المعركة ، كانت هناك خسائر كبيرة لدى الطرفين ، واسفرت عن قتل كل من طلحة والزبير وأسر عائشة (رض) ، وقد عامل الإ ِمام علي (عليه السلام) المهزومين بشهامة ، لكن المعركة وحسب تعبير (برسي سايكس) ((كانت ضربة موجعة لمصالح الإ ِسلام . ولو ان [الإ ِمام] علياً قام بشجب قتلة عثمان ورفض التعامل معهم لامكن تجنب الحرب[462].

وناقشت المستشرقة (فاغليري) الظروف التي مهدت لحرب الجمل والدور الذي مارسته عائشة (رضي الله عنها) في دعم المعارضة ضد الخليفة عثمان ، في الوقت الذي قامت به بالتوجه للحج خلال الحصار الذي فرض على بيت عثمان ، وفي اثناء عودتها علمت بالاحداث التي جرت في المدينة ، ودخل الرعب في قلبها خصوصاً عند سماعها بانتخاب الإ ِمام علي (عليه السلام) ، فرجعت الى مكة واشتركت بدعاية مكثفة ضد الخليفة الجديد ، وبعد اربعة اشهر التحق بها كل من طلحة والزبير ، وعلم الإ ِمام علي (عليه السلام) بعد مدة قصيرة انهم وبصحبة مئات من الجنود كانوا في طريقهم الى العراق ، فحاول اللحاق بهم ولكن لم يستطع من ذلك ، ومما زاد في اصرارهم على الحرب هو توقعهم الحصول على امدادات بشرية ومادية من اهل العراق ، لذلك ترى فاغليري ان الإ ِمام علياً كان مجبراً على منعهم من السيطرة على العراق ، وتعتقد ان السبب في ذلك هو ان سوريا كانت تحت سيطرة معاوية، ومصر في حالة فوضى سياسية ، وان خسارة العراق تعني خسارة الاقاليم الشرقية التي تعد واجهة تعتمد عليها الدولة[463].

---

(3) Ibid, P.533.

(1) Ibid, P.533.

(2) Vaglieri , the Enclopadia of Aslam , P. 383 .

وتعتقد (فاغليري) ان كل من طلحة والزبير وعائشة كانوا يتحملون جزءا من المسؤولية في قتل عثمان ، لذلك ان مطالبتهم بالانتقام من قاتليه مسألة يكتنفها الغموض ، وحاولت فاغليري تفسير هذا التصرف انه يرجع الى دوافع اجتماعية واقتصادية ، دون ان تحدد طبيعة هذه الدوافع ، سوى ذكرها دافعاً واحداً وهو خوف الناكثين من تشدد الإِمام علي (عليه السلام) في الحكم[464].

بعد ذلك تابعت فاغليري مجريات المعركة ، فذكرت بان المتمردين قاموا باحتلال البصرة وذبحوا عدد منالرجال ، وعلى اثر ذلك قام الإِمام علي (عليه السلام) بارسال بعض انصاره الى الكوفة لدعوة سكانها للمشاركة معه في الحرب ضد طلحة والزبير وعائشة ، وعندما جمع قوة كافية توجه نحو البصرة ، ولكن الطرفين كانا يرغبان بتسوية النزاع سلمياً ، وبسبب شجار حدث بين الجانبين تطور الى معركة اصبحت فيما بعد مشهورة في سجلات تاريخ المسلمين بـ (معركة الجمل) وحدثت في الخامس والعشرين جمادى الثاني سنة 36هـ المصادف التاسع من كانون الاول سنة 656م ،قتل خلالها كل من طلحة والزبير ، بينما اعيدت عائشة (رضي الله عنها) الى المدينة تحت حراسة بامر الإِمام علي (عليه السلام)[465] .

ويمكن تقييم موقف (فاغليري) من احداث معركة الجمل بانها قد اختلفت عن سابقيها بالحكم على ان كل من طلحة والزبير وعائشة (رضي الله عنها) كان لهم مصلحة في قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، واعطت الحق للامام علي (عليه السلام) للوقوف بوجههم حيال استيلائهم على العراق ، من جانب اخر كانت فاغليري غير دقيقة في قولها ان كلا الطرفين كان يرغب بالسلم ، والحقيقة كان ذلك غاية الإِمام علي (عليه السلام) في حين غاية الطرف الثاني هي الحرب لا غير .

ويعد ما كتبه المستشرق (فلهوزن) حول معركة الجمل جهدا متميزا ، اذ بدأ بعرض الاوضاع بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وبيان وجه الخلاف بين الإِمام علي (عليه السلام) والاشخاص الذين لم يبايعوه عند تسلمه الخلافة ، فقد ذكر ان مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) كان حادثا جسيما لا يكاد يدانيه في خطره حادث اخر في التاريخ الإِسلامي ، فمنذ ذلك الحين صار للسيف القول الفصل في امر رئاسة الدولة ، وتلك الفعلة المحملة بالبلاء قد وقعت في حجر الإِمام علي (عليه السلام) ، وقد تلقى البيعة في المسجد

---

(3) Ibid, P. 383 .

(1) Ibid, P. 383.

قتل فيه الخليفة عثمان[466] ، ولكن اصابع الاتهام قد وجهت اليه ولم تلقى بيعته تاييدا قويا ، وكأنما كان من حسن حظه ان طلحة والزبير وهما اثنان من الثلاثة الكبار بين الصحابة ، انقلبا عليه انقلابا مخزيا ، لانه بتلقيه البيعة من دونهما كان نجاحا قانونيا ، وكان في حياة الخليفة عثمان (رضي الله عنه) يكيدان له الكائد ، ويبدو وكأن ذلك لاجل الإ ِمام علي (عليه السلام)[467].

فقد قدماه في وقت سابق على نفسيهما ، لكنهما الان خرجا عليه خروج المنافقين واتهماه انه هو الذي دبر مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وهو الذي استفاد منه ، مما دفعهما بترك المدينة والانتقال الى مكة ، وكانت هناك عائشة (رضي الله عنه) وقد انسحبت من الثورة على عثمان (رضي الله عنه) بعد ان اشتركت فيها اشتراكا قويا والكلام لفلهوزن ، واتجهت الى مكة قبل ان يبلغ الامر غايته ، وذلك لكي تبعد الشبهة عنها ، ويمكن تفسير موقفها هذا بانها كانت تبغض الإ ِمام علي (عليه السلام) ، فعندما سمعت بانه قد بويع ، لم تتردد في تقديس الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، ونادت بالثأر له من الخليفة الجديد ، واستطاعت ان تجمع حولها عدد من الهاربين الى مكة وانضم اليها طلحة والزبير ، وكانوا

---

(466)تباينت آراء المؤرخين في تحديد اليوم الذي بويع فيه الإ ِمام علي (عليه السلام) بالخلافة ، فيذكر المسعودي ذلك في اليوم الذي قتل فيه الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، ينظر ، المسعودي ، مروج المذهب ، 358/2 ؛ بينما يشير السيوطي الى غد اليوم الذي قتل فيه الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، ينظر ، السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت 911هـ) ، تاريخ الخلفاء،مطبعة السعادة ، (مصر – 1371هـ / 1952هـ) ، ص174 ؛ لكن الطبري يذكر عدة تواريخ في هذا الاطار وابرزها بان المدينة المنورة قد بقيت بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) خمسة ايام بدون خليفة وكان اميرها الفافقي بن حرب ، ينظر،الطبري ، تاريخ ، 432/4 ؛ وذكر ابن الاثير نفس ما ذكره الطبري ، ينظر ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ،83/3.وعلى ما يبدو ان فاغليري قد اخذت بما ذكره المسعودي .

(467) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص 50 ، 51 ، 52 .

ثلاثتهم قواد [الثورة] على الإِمام علي (عليه السلام) ، ولكنهم لم يستطيعوا محاربته من مكة ، لانه وحسب اعتقاد فلهوزن كان في المدينة وعدد رجالها اكثر من مكة ، فقرروا ان يخرجوا من جزيرة العرب ويقصدوا البصرة ، التي تأوي مؤيدين لطلحة واستطاعوا السيطرة والاستقرار فيها ، ونتيجة لهذه الاحداث وجد الإِمام علي (عليه السلام) نفسه مرغمً على اللحاق بهم الى العراق ، وقصد الكوفة اولاً وكان مالك الاشتر قد مهد له الطريق وخرج الإِمام علي (عليه السلام) في اهل الكوفة ، وهاجم البصرة ، وانتصر على اعدائه في موقعة الجمل في (9ديسمبر سنة 36هـ/656م)[468].

ويذكر (فلهوزن) نتيجة هذه المعركة بمقتل كل من طلحة والزبير وانسحاب عائشة من المعركة ، ومن ثم صالح اهل البصرة الإِمام علي (عليه السلام) وبايعه اهل العراق جميعاً فاقام هناك واتخذ الكوفة عاصمة للدولة[469].

وتعد دراسة المستشرق (وليم ميور) للمعارك التي خاضها الإِمام علي ضد الناكثين والقاسطين والمارقين ، في كتابه (الخلافة ، ظهورها ، تدهورها وسقوطها) من الدرسات الشمولية المهمة التي تطرق من خلالها للأحداث التاريخية المتعلقة بالخلافة عامة والاحداث التي رافقت خلافة الإِمام علي (عليه السلام) خاصة بعد ان وضح الظروف التي اعقبت مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) .

اشار (ميور) الى انسحاب اقرباء عثمان (رضي الله عنه) الذين اسهموا في الدفاع عنه ليبتعدوا عن المشهد في اثناء الحادثة ، وساد الرعب في المدينة التي تقبلت هذه الفاجعة بصعوبة ، وذكر ان الكثير من الذين شجعوا او ساهموا مع المتمردين بدأوا بالتراجع بعد وقوع الحادث وهرب اقرباء الخليفة المقتول الى مكة عازمين على الانتقام ، ولفوا الاصبع المقطوع العائد لزوجة عثمان (رضي الله عنه) ، نائلة ، وقميص الخليفة عثمان (رضي الله عنه) المضرج بالدماء كرمز للأنتقام وحملوه الى دمشق ، ليكون تحت انظار معاوية ، وسادت الفوضى المدينة [المنورة] بضعة ايام وسيطر القتلة عليها ، وكان المصريون من بينهم في بادئ الامر ، وبعد مرور خمسة ايام صمم المتمردون على انتخاب خليفة يعود بالدولة الى وضعها الطبيعي ، ومن دون شك تقلص نشاط من اراد الظهور بالواجهة كخليفة

---

(468) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص52، 53 .

(469) تاريخ الدولة العربية ، ص53 .

لعثمان (رضي الله عنه) وانسحب لإ ِمام علي (عليه السلام) وفضل ان تكون الخلافة لطلحة اوالزبير[470].

ويضيف ميور القول :((واخيرا وتحت تاثير القتلة وتوسلات الاصدقاء وافق علي على الخلافة بعد ستة ايام من الفاجعة واقسم على ان يعمل وفق القاعدة (كتاب الله) ، ثم نودي له بالخلافة وكان طلحة والزبير اول من بايع ثم زعما انهما كانا مجبرين على المبايعة خوفا من المتآمرين))[471] .

ثم بايع اغلب الناس وكان هناك بعض من تخلف ، ولكن الإ ِمام عليا (عليه السلام) كان متساهلا ولم يجبر الناس على المبايعة واعلان الولاء واعلن المتمردون ولاءهم واعلموا بذلك الكوفة والبصرة والفسطاط[472] .

ويصف ميور الوضع الصعب الذي تحمل تبعاته الإ ِمام علي (عليه السلام) بالقول :
((لم يفرش الدرب بالورد لعلي لا في الداخل ولا في الخارج وكان امامه المعاناة والقلق))[473] .

ويؤكد (ميور) بان الإ ِمام عليا (عليه السلام) كان مجبرا على تطبيق سلطة القانون وضرورة معاقبة الرجال الذي تلطخت ايديهم بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، ولكنه حاول ان ينتظر لما ستسفر عنها الامور ، وكان في هذا الانتظار هلاكه ، فقد تجاوز الخمسين من العمر بينما كان في سنينه المبكرة قويا .

وعلى الرغم من ان الإ ِمام عليا (عليه السلام) قد ادان عمل قتلة الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وعَدّهُ خيانة عظمى - والكلام لـ (ميور) - ، ((الا انه لم يتخذ خطوة لمعاقبتهم،واعطى الاذن الصماء بالعناد والاهمال))[474] .

ان وصف ميور لموقف الإ ِمام علي (عليه السلام) بهذا الوصف ، لانه ذكر في اثناء عودة ابن عباس (رضي الله عنه) من الحج سمع بنصيحة المغيرة بن شعبة للامام علي (عليه السلام) بضرورة ان يترك عموم العمال في مناصبهم حتى تستقر اوضاع الدولة ،

---

(3) Muir ,The Caliphate , its Rise,Decline and Fall,Beirut,1963,P.248.

(1) Muir ,The Caliphate,… , P.248.

(2) Ibid , P.249.

(3) Ibid , P.249.

(4) Ibid,P.250

لكنه رفض على الرغم من الحاح ابن عباس بضرورة ابقاء معاوية على الاقل لما له من تاثير وكلمة مسموعة عند اهل الشام[475] .

ويذكر (ميور) ان الإ ِمام عليا (عليه السلام) قد ارسل عمالا من خاصته ليحلوا محل العمال السابقين في عموم الدولة الا انهم استقبلوا بعدم الرضا ، ونتيجة لذلك فقد تباحث مع طلحة والزبير هذا الامر وتوصل الى ضرورة ارسال رسائل الى كل من معاوية وابي موسى ((الاشعري))[476] .

ومن الجدير بالذكر ان الولاة الذين عينهم الإ ِمام علي (عليه السلام) على الأمصار الإ ِسلامية كانوا من المسلمين المعروفين بالورع والتقوى ولا يرتبطون به بصلة قرابة باستثناء عبد الله بن عباس .

فكان جواب ابي موسى كما يصفه ميور فيه تعابير موالية للدولة ، في الوقت نفسه حذر الخليفة من الاستياء الذي يحيط به من اهل الكوفة ، اما الاتصال بسوريا فكان مقطوعا تماما لاسابيع ولم يتم الرد من معاوية ، وبدأ يظهر على المسرح مشهدا غريبا هيأ له معاوية وتمثل باثارة الناس من اجل الثأر لمقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)[477].

وينتقل (ميور) بعد ذلك في ما اورده الى محور مهم من محاور معركة الجمل ، وتمثل بدور عائشة (رضي الله عنها) في هذا الموضوع ، فقد ذكر انها وفي اثناء عودتها من مكة الى المدينة سمعت خبر مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، صرخت اعيدوني الى مكة ، لقد قتلوا الخليفة وسوف اخذ بثأره ، بينما كانت هي جزءاً من الفتنة واثارت السخط ضد الخليفة ، الا انها لم تشترك في الهجوم ، وحاولت ان تبعد اخاها (عبد الرحمن بن ابي بكر) بدعوته لمرافقتها الى مكة ، ولم تنس عائشة موقف الإ ِمام علي في اثناء حادثة الافك ، لذلك كان يسعدها نجاح الزبير بديلا عنه ، فعملت على اثارة الناس في مكة في الوقت الذي وصل فيه كل من طلحة والزبير ، وهكذا فعل التحريض فعله وبتأثير بني امية الهاربين من المدينة او المقيمين في مكة . وهناك العديد من الناس الذين استمعوا الى حديث طلحة والزبير ، اذ كانا يحثان العامة على الاخذ بثأر الخليفة المقتول[478] .

ويتابع (ميور) القول بان البصرة كانت وجهة اتباع عائشة وطلحة والزبير وكان ميول اغلب سكانها الى طلحة كون عاملها الاخير ابن عامر هو صديقا للخليفة عثمان (رضي الله

---

(5) Ibid , P.250.

(1) Muir ,The Caliphate,…, P.251.

(2) Ibid , P.252.

(3) Ibid,P.254-256.

عنه) ، ودار نقاش حول موضوع من سيكون خليفة في حالة الانتصار ، طلحة ام الزبير ، لكن عائشة (رضي الله عنها) ارجأت ذلك الامر ، ودعت عبد الله بن الزبير ليؤم المصلين وتترك مسالة اختيار خليفة المستقبل الى حين انجلاء الموقف[479] .

بعد ذلك ذكر (ميور) مسير عائشة (رضي الله عنها) باتجاه البصرة وعند مرورها باحدى المناطق سمعت نباح كلاب فسألت سائق بعيرها عن اسم تلك المنطقة فاجابها انها تسمى منطقة (الحوأب) ، وعلق (ميور) على هذا الموقف بالقول : ((برق في ذاكرة عائشة شيئا قاله محمد بشأن كلاب الحوأب ، فصرخت (اعيدوني) فانيخ جملها وقفزت من هودجها على عجل صارخة (واحسرتاه ، واحسرتاه ، لقد سمعت رسول الله يوبخنا عندما كن نحن نساءه محيطات به في يوم ما (اه لقد عرفت أي منكن ستنبح عليها كلاب الحوأب) انها انا ، انها انا))[480].

واكدت عائشة لاصحابها انها لن تتحرك خطوة واحدة بعد في هذه الحملة المشؤومة وقد حاول من حولها اقناعها ان السائس قد اخطأ باسم المنطقة الا انها لم تتحرك وبقي الجيش لمدة يوم كامل ، ونودي من الجيش ان الإِمام علي (عليه السلام) وجيشه قد اقتفوا اثارهم ، فعم الرعب الاكبر ، واسرعت عائشة الى الجمل واستانف المسير ، واضاف (ميور) القول:((لم يكن هذا الانذار المختلف لا اساس له من الصحة ، فعندما وصلت الاشاعة حول الرجوع الى المدينة ، رفض علي ان يتحرك ضد الساخطين ما دام ليس هناك فعل يهدد وحدة الإِسلام))[481].

ولكن وبعد مدة قصيرة والكلام لـ (ميور) ايضا ، وصلت الاخبار للامام علي (عليه السلام) انهم قد واصلوا مسيرتهم باتجاه البصرة ، ولذلك وقبل ان يجازف الخليفة باللحاق بهم ارسل رسله الى الكوفة ومصر طالبا منهم العون ، وفي الوقت نفسه جرت مراسلات بين والي البصرة عثمان بن حنيف والمتمردين ، ودعا الى اجتماع لمعرفة هوى الناس ، ونتيجة للهياج عرف ان هناك حزبا قويا يؤيد المتمردين ، انبثق مؤتمر مؤلف من طلحة المفضل لدى اهل البصرة والزبير وعائشة ، وخطب الثلاثة بطريقة انفعالية ضد قتلة عثمان (رضي الله عنه) وكان الطرف الاخر صارخا ايضا باحتجاجه ضد عائشة وهجومها على

---

(4) Ibid , P.256.

(1) Muir ,The Caliphate,…, P.251.

(2) Ibid,P.257.

مدينتهم ، وكان في عملها استخفاف بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والخروج عن قداسة سترها واحتشام لقبها (ام المؤمنين)[482] .

وعرض (ميور) الجدال الذي سبق المعركة ، والاتفاق الذي تم بين عثمان بن حنيف والمتمردين ، الا ان المتمردين نقضوا العهد واستطاعوا التغلب على الحرس الشخصي لعثمان بن حنيف واعتقلوه ودار قتال عنيف في اليوم التالي اندحر فيه انصار الإ ِمام علي (عليه السلام) واصبحت المدينة في يد طلحة والزبير ، واعلنوا ان أي شخص اسهم في الهجوم على الخليفة عثمان (رضي الله عنه) سوف يتم اعدامه، وأُعدم الكثير ولكن بقي ابن حنيف على قيد الحياة واطلق سراحه بعد ان نتفت لحيته وشاربه وحاجبيه ، وفي هذه الحالة المزرية توجه العامل المطرود الى الإ ِمام علي (عليه السلام) . وفي هذه الاثناء ارسل العصاة انباء انتصاراتهم الى سوريا وبعثت عائشة (رضي الله عنها) برسائل الى الكوفة والمدينة المنورة واليمن وطلبت فيها التنصل عن بيعة الإ ِمام علي (عليه السلام)[483].

بعد ذلك اسهب (ميور) في موضوع للرسائل التي بعثها الإ ِمام علي (عليه السلام) الى الكوفة والبصرة ، ووضح موقف ابي موسى الاشعري من الاحداث اذ دعا اهل الكوفة الى ملازمة بيوتهم وعدم الانجرار في هذا الصراع ، ولكن كان لمجيء الإ ِمام الحسن (عليه السلام) وعمار بن ياسر (رضي الله عنه) للكوفة اثر فعال في حشد المؤيدين. اما ما كان يدور في ذهن الإ ِمام علي (عليه السلام) تجاه هذه الاحداث عبر عنه المستشرق (ميور) بقوله :

((كان علي يروم السلام جهد الامكان ، فقد كان رجل تسوية ومستعدا من اجل مصلحة الإ ِسلام ، وكان لديه الاستعداد ان يتناسى الاساءة الموجهة اليه))[484] .

واضاف (ميور) انه لم يكن هناك اختلاف كبير لقطع امل الصلح ، فشعار طلحة والزبير كان هو الانتقام من قتلة الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وايضا من اولئك الذين لم يقدمهم الإ ِمام علي (عليه السلام) للعدالة في حينه،لكن عليا كان ملزما بتوقيت هذا الامر، ففي جيشه عدد كبير من الرجال الذين انتفضوا ضد الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، وتطبيق العقوبة عليهم كما يريد خصومه امراً مستحيلا في حينه ، ولهذه الاسباب توقف الإ ِمام علي (عليه السلام) قليلا عند البصرة وارسل (صعصعة) مع بعض القادة المشهورين القادمين

---

(3) Ibid , P.258.

(1) Muir ,The Caliphate,…, P.259-260.

(2) Ibid,P.261-262.

من الكوفة لمجادلة طلحة والزبير فقال صعصعة لهم : ((لقد قتلتم ستمائة رجل في البصرة ثأرا لدم عثمان وتريدون قتل ستة الاف رجل اخر ، اين ستقف الحرب الضروس ، الإ ِسلام بحاجة الى السلام والهدوء ، كفوا عن ذلك وستطبق سلطة القانون ويقدم المذنبون للعدالة))[485] .

لذلك ادرك كل من طلحة والزبير الحقيقة وحتى عائشة ، واعطوا وعدا ان كان هذا هو رأيالإ ِمام علي (عليه السلام) فانهم موافقون ، وكان الإ ِمام علي (عليه السلام) سعيدا ببشائر نجاح التسوية السلمية . ولكن بين صفوف جنود الإ ِمام علي (عليه السلام) مجموعة من البدو وفيهم عدد كبير من قتلة الخليفة، فادرك الإ ِمام علي (عليه السلام) هذه المسألة واعطى اوامره بعدم انضمامهم الى السرايا المتقدمة تجنبا لتماسهم مع جيش الخصم الغاضب ، وهؤلاء وعلى رأسهم الاشتر اصبحوا منزعجين[486] .

ويتابع (ميور) وصف الاحداث بالتفصيل ويذكر من بينها استمرار مفاوضات السلام بين لطرفين اذ التقى الإ ِمام علي (عليه السلام) طلحة والزبير على ظهور الخيول فقال الإ ِمام علي (عليه السلام) للزبير ((الم تقسم لي بالمبايعة)) فاجابه الزبير ((نعم ولكن السيف كان يلج اعناقنا وان مطلبنا الآن هو تنفيذ العدالة ضد قتلة عثمان)) فافاد علي من انه لا يقل عنهم طلبا لاحقاق الحق على القتلة ولكن ان تكون عقوبتهم في وقتها)) ، فاقتنع الجيشان ان المفاوضات جارية وانهم سينامون الليل بامان افتقدوه لمدة اسابيع ، ولكن حدث في الصباح هزة غيرت المشهد ، فقد قامت في اثناء الليل سرية خيالة من القتلة حاملي الرماح بالاندفاع امام مخيم اهل البصرة وشعر كلا المعسكرين ان الاخر قد هجم عليه واستقر الجيشان احدهما مقابل الاخر وكما اشتهى المتآمرون ، وحاول الإ ِمام علي ان يرجع جيشه[487] ، ويعلق ميور على ذلك بقوله:

((لقد كانت مقابلة غريبة ، فلاول مرة يرفع المسلمون سيوفهم بوجه بعضهم ، وهذه تّذكر بحالة العرب بالجاهلية فقط ، واستبدل هذا التنافس القبلي بتنافس اخر وانقسمت العشائر واصبح القتال داخليا (فبني ربيعة من الكوفة يقاتلون بني ربيعة من البصرة ، وبني مضر من هنا تقاتل بني مضر من هناك) ، وهكذا حتى على مستوى العائلة الواحدة ، وكان القتلة يحثون سرايا الكوفة للقتال)) ، ويعتقد (ميور) ان السبب في ذلك هو شعورهم ان عدم

---

(3) Ibid , P.262.

(1) Muir ,The Caliphate,…, P.262-263.

(2) Ibid,P.263-264.

انتصار الإ ِمام علي (عليه السلام) يعني ان مصيرهم الموت ، وان ما جرى من عنف وعناد للقتال لا يمكن ان يعلل الا لهذا السبب[488] .

وينتقل (ميور) الى وصف التحام الجيشان ، ويذكر ان الزبير الذي كان ((نصف راغب)) بالقتال ، جعله لقاءه بالإ ِمام علي (عليه السلام) ان يترك الميدان حسب وعده له، وقتل في وادي مجاور للميدان ، واصيب طلحة بسهم في ساقه وحمل الى البصرة اذ مات هناك، ودار قتال عنيف حول الجمل وقتل حوله من قريش سبعون رجلا ، وتم عقر الجمل وانسحب باقي العصاة (جماعة طلحة والزبير وعائشة) الى المدينة ، وكان الهودج قد اصابته السهام من الكثرة بحيث اصبح كالقنفذ ، وهكذا فقد هربت ((المرأة الشجاعة المتمردة)) على حد تعبير (ميور) دون ان تصاب بجروح[489] .

بعد ذلك يبدي (ميور) تقييمه لنتائج المعركة بكلام طويل يمكن اختصاره ببضعة سطور، فقد ذكر ان ((المذبحة)) في هذه المعركة المشؤومة التي سميت بـ (الجمل)، قتل فيها عشرة الاف شخص بالمناصفة بين الجانبين ، واعطى الإ ِمام علي (عليه السلام) اوامره بعدم مطاردة الهاربين او الاجهاز على الجرحى او السلب او اقتحام أي بيت ، وحفر خندقا وارى فيه العدو والصديق معاً ، وعسكر خارج المدينة ثلاثة ايام، ويصف (ميور) هذا الموقف بقوله :

((لقد كانت تجربة جديدة ان يدفن قتلى المعركة ليس ضد المشركين بل ضد المؤمنين، وبدلا من ان يحسب علي عدد قتلاه تحدث بقلب سليم عن الجميع وعندما جلبوا له سيف الزبير لعنقاتله واسترجع في ذاكرته صولات حامله الذي بدّع في استخدامه منذ بدايات الإ ِسلام وصرخ علي (لطالما حمى جبين الرسول وازال السقم عنه)[490] .

ويستدرج (ميور) في بيان دور الزبير وطلحة وتاثر المسلمين عليهم نتيجة قتلهم، وان قتل الكثير من الصحابة كان خسارة للدولة ، ويعزز (ميور) موقفه من هذه المعركة بقوله:

((لقد كان انتصار علي عمليا انتصارا لقتلة عثمان المسندين من احزاب الكوفة ، ولو اتفق علي مع الزبير وطلحة لكان موقف علي لا يضاهى ، فقد كان دفنه لقتلى اعدائه دلالة على رفعه شبهاته المتقدمة))[491] .

---

(3) Ibid , P.264.

(1) Muir ,The Caliphate,… , P.264-265.

(2) Ibid,…,P.265.

(3) Ibid , P.266.

ورغم ما ذكره المستشرق (ميور) من تفاصيل دقيقة عن معركة الجمل والملابسات التي رافقتها ، الا اننا نستشف من كلامه ما ياتي :

أولاً:إن الصبغة التي وسم بها (ميور) جيش الإمام علي (عليه السلام) ، على انهم من قتلة الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، وهذا يعد كلاما غير منصف ، لان الذين حاصروا بيت الخليفة عثمان كان عددهم لا يتجاوز الستمائة شخص واغلبهم من المصريين بينما كان جيش الإمام علي (عليه السلام) يصل تعداده الى اكثر من عشرة الاف ، فهل ان لهذا العدد الضئيل وان صح اعتقاد (ميور) بوجوده ضمن جيش الإمام علي (عليه السلام)، تاثيرا سحريا على مجموع الجيش ليقود هذه الالاف الى الموت دون ان يشعروا؟

ثانياً:ابرَزَ (ميور) الاحداث التي وضحت الامور بشكل يقطع الشك في رغبة الإمام علي (عليه السلام) في السلام الى الحد الذي جعله يتجاوز الاساءة التي وجهت اليه والمتمثلة بما فعله طلحة والزبير وعائشة بواليه على البصرة عثمان بن حنيف وقتلهم الناس الابرياء في البصرة .

ثالثاً:ذكر (ميور) ان الإمام عليا (عليه السلام) كان متساهلا ولم يجبر احدا على بيعته، وهذا ما يؤكد ان هدفه من الحرب ضد طلحة والزبير لم يكن من اجل البيعة ، لانهما سبق وان بايعاه ، ولكنهما عاثا فسادفي حاضرة من حواضر الإسلام الا وهي البصرة وقتلوا واستولوا على اموال المسلمين بالقوة مما يستدعي الوقوف بوجههم ومعاقبتهم على فعلتهم تلك،بعد ان القى عليهم الحجة بضرورة الرجوع الى طريق الصواب . واكد ميور ان الإمام علي (عليه السلام) كان مجبرا على تطبيق سلطة القانون.

رابعاً:اشار (ميور) الى ان الإمام عليا (عليه السلام) قد دفن موتى الطرفين ، وفسر (ميور) ذلك انه من اجل ان يبعد الشبهات عنه ، وفي اعتقادنا ان السبب يعود الى ان الإمام علي (عليه السلام) كان يعرف ان خصومه قد غُررَ بهم ، هذا من جانب ، ومن جانب اخر فهم مسلمون وليس بكفار ودفن المسلم لاخيه المسلم من مسلمات الامور .

خامساً : حمل (ميور) بعض اقرباء الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وعائشة جانبا كبيرا من المسؤولية في قتلهم اياه .

سادساً: من خلال ذكر (ميور) للظروف التي سبقت معركة الجمل ، تبين له ولنا ان طلحة والزبير وعائشة قد احسوا باخطائهم ، ولا سيما عندما تذكرت عائشة نبوءة النبي حول ما يجري لاحدى زوجاته في منطقة الحوأب ، وكذلك طلحة والزبير عندما ذكرهما الإمام علي (عليه السلام) ببيعته التي في رقبتهما ، ولكن يبدو ان الاحقاد قد اعمت الناكثين ودفعتهم الى مصيرهم المحتوم .

سابعاً:وصف (ميور) الإِمام عليا (عليه السلام) بالعناد والاهمال نتيجة لعدم اخذه برأي المغيرة وابن عباس، والسبب واضح ويتلخص ان القيم الإِسلامية التي يحملها الإِمام علي (عليه السلام) القائمة على عدم مهادنة الاشرار الذين يحاولون الرجوع بالإِسلام الى ادران الجاهلية، هي ليست نفس القيم التي يحملها المستشرق (ميور)،القائمة على ان الغاية تبرر الوسيلة .

ثامناً: ان التقييم العام لما كتبه عن معركة الجمل يمكن ان نصفه انه استخدم ما يمكن استخدامه من الموضوعية والالمام بكل جوانب الحدث ، مما يجعله يتفوق على غيره من المستشرقين في وصف حرب الإِمام علي (عليه السلام) ضد الناكثين وما سيذكره حول حرب صفين والنهروان .

ان الامر المهم الذي يمكن تشخيصه من خلال متابعتنا لما كتبه بعض المستشرقين عن معركة الجمل هو تركيزهم على احداث قد تبنوها موقفا في تقييمهم لاحداث هذه المعركة، من بينها ان سبب حدوثها يعود الى مطالبة كل من عائشة وطلحة والزبير بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، بينما تشير الحقائق التاريخية الى اسباب كامنة غير ما هو معلن.

فموقف السيدة عائشة (رضي الله عنها) من الخليفة عثمان (رضي الله عنه) كان واضحا ، ويمكن وصفه بغير المنسجم او التحريضي ، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال عدة وقائع تاريخية .

لقد ذكر اليعقوبي ان الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وبينما كان يخطب يوما ، فقاطعته عائشة ، وجاءت بقميص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ونادت :

((يا معشر المسلمين : هذا جلباب رسول الله لم يُبل ، وقد ابلى عثمان سنته!فقال عثمان: رب اصرف عني كيدهن ان كيدهن عظيم))[492] .

ووصف الدكتور طه حسين السيدة عائشة انها كانت من اشد نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انكارا لسياسة عثمان ، وقد انتقدته من وراء سترها وهو على المنبر عندما عاب عبد الله بن مسعود واسرف في عيبه ، كذلك لم تخف اعتراضها على سيرة عمال الخليفة عثمان (رضي الله عنه) حتى ظن الكثير من الناس انها كانت من المحرضين على الثورة ضده[493] .

---

(492) تاريخ اليعقوبي،175/2 .

(493) المجموعة الكاملة – الخلفاء الراشدون - ، الشركة العامة للكتاب ، ط5 (بيروت- 1996م) ، 454/4 .

وحدد اليعقوبي الاطراف المحرضة على قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بثلاثة افراد وهم طلحة والزبير وعائشة[494] .وهم بدورهم يضاف لهم معاوية بن ابي سفيان كانوا لولب المؤامرة ضد الإ ِمام علي (عليه السلام) ، ليتهموه بما ارادوه للخليفة عثمان من المصير الذي آل اليه .

فقد روى البلاذري ما نستدل به على اشتراك طلحة الى جانب غيره في قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، ففي اثناء هزيمة جيش الناكثين في مساء معركة الجمل ولما راى مروان بن الحكم ذلك الموقف قال :

((والله لا اطلب ثاري بعثمان بعد اليوم ابداً)) وتربص لطلحة بسهم واصاب ساقه ، والتفت الى ابان بن عثمان فقال له :((قد كفيتك احد قتلة ابيك))[495] .

وفي موقف سابق لطلحة تجاه الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، فقد تخلى عنه ابان الحصار الذي فرض عليه ، وذكر الطبري في هذا السياق بان الإ ِمام علي (عليه السلام) قال لطلحة:((انشدك الله الا رددت الناس عن عثمان ! قال : لا والله حتى تعطي بنو امية الحق من نفسها[496] .

والواقع ان دافع طلحة وغيره للمطالبة بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) لم يكن ذاتيا بقدر ما هو بتحريض من عائشة من اجل قتال الإ ِمام علي ، وكان ذلك ضمن حملة اعلامية للنيل من الإ ِمام علي (عليه السلام) وما اكتسبه من الهالة ودوره في نشر الإ ِسلام[497] .

واشار الشيخ المفيد الى ملابسات هذا الموضوع بالادلة الواضحة المستقاة من بطون المصادر التاريخية ، واكد ان مقتل الخليفة عثمان هو ظاهر الاسباب التي ادت الى نشوب معركة الجمل ، اما باطنا فبخلاف ذلك كما تدل عليه الاخبار ، لان طلحة والزبير وعائشة هم الذين كانوا السبب في قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) باجماع العلماء بالسير والاثار.

واورد الشيخ المفيد رواية تبين من خلالها ان الذين قدموا من مصر الى المدينة ليجهروا بعيوب الخليفة عثمان (رضي الله عنه) قد اجتمعوا وقصدوا عائشة واخذوا موافقتها من اجل الخروج ضد الخليفة[498] .

---

(494) تاريخ اليعقوبي ، 175/2 .

(495) جمل من انساب الاشراف ، 43/3 .

(496) تاريخ ، 405/4 .

(497) بيضون ، ابراهيم ، الإ ِمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ ، مؤسسة بيسان ، (بيروت – 1999م) ، ص62 .

ويرى ان الإ ِمام علياً (عليه السلام) قد قدم النصح والارشاد لكل من طلحة والزبير وعائشة قبل المعركة عندما بعث لهم كتابا من المدينة الى البصرة يحذرهم فيه من نكثهم لبيعته،جاء فيه :

((اما بعد :يا طلحة ويا زبير قد علمتما اني لم ارد البيعة حتى اكرهت عليها وانتم ممن رضي ببيعتي فان كنتما بايعتما طائعين فتوبا الى الله وارجعا عما انتما عليه وان كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما اليَّ السبيل عليكما باظهاركما الطاعة وكفاكما المعصية ، وانت يا طلحة شيخ المهاجرين وانت يا زبير فارس قريش رفعكما هذا الامر قبل ان تدخلا فيه فكان اوسع لكما من خروجكما منه قبل اقراركما ، وانت يا عائشة فانك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين امرا كان عنك موضوعا ثم تزعمين انك تريدين الاصلاح بين المسلمين فخبريني ما للنساء وَقْوْدْ الجيوش والبروز للرجال والوقوع بين اهل القبلة وسفك الدماء المحرمة ثم انك طلبت على زعمك بدم عثمان وما انت وذاك عثمان رجل من بني امية وانت من تيم ثم بالامس تقولين في ملأ من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اقتلوا نعثلا قتله الله فقد كفر ثم تطلبين اليوم بدمه فاتقي الله وارجعي الى بيتك واسدلي عليك سترك والسلام ، فما اجابوه بشيء))[499] .

ولم يكن للوعظ والقاء الحجة حدود عند الإ ِمام علي (عليه السلام) فقد دعا الزبير في ساحة المعركة وسأله عن السبب الدافع لقتاله ، فاجابه بانه الطلب بدم الخليفة عثمان، فقال له الإ ِمام علي :

---

(498) ينظر، الجمل ، ص145-150 ، اذ اورد الادلة التاريخية التي توضح رغبة كل من طلحة والزبير وعائشة بالقتل بل واشتراك طلحة والزبير في حصار الخليفة عثمان وتحريض عائشة للناس من اجل التخلص منه .

(499) سبط ابن الجوزي ، شمس الدين ابو المظفر بن فرغلي بن عبد الله (ت 654هـ) ، تذكرة الخواص، منشورات الشريف الرضي، (قم – 1418هـ) ، ص70 ، 71 ؛ وينظر ابن الصباغ علي بن محمد بن احمد المالكي ، الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة(عليهم السلام) ، المطبعة الحيدرية ، ط3 (النجف – 1381هـ / 1962م) ، ص55، اذ ذكر رسالتين كل واحدة على حدة ارسلهما الإ ِمام علي (عليه السلام) احداهما موجهة الى طلحة والزبير والثانية الى السيدة عائشة ، ولم يدمجهما في رسالة واحدة كما ورد في تذكرة الخواص لسبط الجوزي .

((قتل الله اولانا بدم عثمان))[500] ،[اما تذكر قول رسول الله (ص) لك] ((يا زبير اتحب عليا فقلت وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي فقال لك اما انك ستخرج عليه وانت ظالم له))[501]، فقال :

((اللهم بلى ولكني قد نسيت ذلك وبعد ان ذكرتنه لانصرفن ولو ذكرت هذا قبل ما خرجت عليك ، ولكن هذا تصديقا لقوله (صلى الله عليه وسلم) ثم كر راجعا ، فسألته عائشة (رضي الله عنها) عما جرى بينهما ، فقال الزبير : والله ما وقفت موقفا ولا شهدت مشهدا في شرك ولا اسلام الا ولي فيه بصيرة ، واما اليوم على شك من امري وما اكاد ابصر موضع قدمي، ثم شق الصفوف وخرج بينهم وسلك طريقا طالبا مكة ، فنزل على رجل من بني تميم يدعى عمر بن جرموز المجاشعي ، فضيّفه وخرج معه الى وادي السباع ليوهمه بانه يريد مسايرته ومؤانسته ، وقتله غيله واخذ سيفه وخاتمه ومضى به الى الإِمام علي (عليه السلام) ، فلما وصل سلم عليه وهناه بالنصر ، واخبره بقتله للزبير ابن العوام، فقال له الإِمام علي (عليه السلام) ابشر بالنار ، فقال ابن جرموز:

انا لله وانا اليه راجعون انا ان قاتلناكم فنحن في النار،وان قاتلنا لكم فنحن في النار؟ فقال الإِمام علي (عليه السلام) ذلك شيء سبق لابن صفية))[502] .

اما طلحة فهو الاخر قد القى الإِمام علي (عليه السلام) عليه الحجة في ساحة المعركة، ونصحه بضرورة استدراك الامر والكف عن محاربته ، فقال له :

((نشدتك الله هل سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقول : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه[503]؟ قال : نعم ، وذكره ، قال : فلم تقاتلني[504]؟ قال : لم اذكر وانصرف طلحة[505] .

وتسجل الاحداث التاريخية موقفا للسيدة ام سلمة (هند بنت ابي امية) (ت 61هـ/680م) احدى ازواج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نصحت فيه السيدة عائشة بعد خروجها لمحاربة الإِمام علي (عليه السلام) ، جاء في بعض منه : ((... قد

---

(500) المسعودي ، مروج الذهب ، 505/2 .

(501) ابن الصباغ ، الفصول المهمة ، ص63 .

(502) ابن الصباغ ، الفصول المهمة ، ص63 .

(503) احمد بن حنبل ، المسند ، 1/ 147 .

(504) المسعودي ، مروج الذهب ، 2/ 507 ، ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق ، 108/25 ؛ سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص،ص73 .

(505) الخوارزمي ، المناقب ، 182 ، 183 .

علمت ان عمود الدين لا يثبت بالنساء ان مال ، ولا يرأب بهن اذا تصدع ، جهاد النساء غض الابصار وضم الذيول ، ما كنت قائلة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لو عارضك باطراف الجبال والفلوات ، على قعود من الابل ، من منهل الى منهل ، ... وقد هتكت حجابه الذي ضرب الله عليك ، وتركت عهيداه . ولو اتيت الذي تريدين ، ثم قيل لي ادخلي الجنة لا استحيت ان القى الله هاتكة حجابا قد ضربه عليَّ ، ... ، ولو ذكرتك كلاما قاله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لنهشتي نهش الحية ، والسلام))[506] .

فاجابتها عائشة بالقول : ((ما اقبلني لوعظك ، واعلمني بنصحك ، وليس مسيري على ما تضنين ، ولنعم المطلع مطلع فزعت فيه اليّ فئتان متناجزتان ، فان اقدر ففي غير حرج ، وان احرج مالي ما لا غنى بي عن الازدياد منه ، والسلام))[507] .

وركز المستشرقون عند دراستهم لاسباب الخلاف الذي كان بين الإِمام علي (عليه السلام) وعائشة على سبب واحد وهو حادثة الافك المعروفة ، وموقف الإِمام علي (علي السلام) منها، في حين ان الإِمام عليا قد شخص الاسباب التي جعلت من السيدة عائشة تناصبه العداء .

فقد روي انه عند وصول الإِمام علي الى البصرة ، جاءه رجال وقالوا له :

((يا امير المؤمنين ما السبب الذي دعا عائشة بالمظاهرة عليك حتى بلغت من خلافك وشقاقك ما بلغت؟)) ، فقال (عليه السلام) ساذكر لكم اشياء ليس لي في واحد منها ذنبا اليها[508] .

ويمكن اختصار بعض هذه الاسباب التي وردت على لسان الإِمام علي (عليه السلام) بالنقاط الاتية :-

اولاً: تفضيل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الإِمام علي (عليه السلام) على ابي بكر (رضي الله عنه) وتقديمه اياه ، مما اثار ضغينة السيدة عائشة (رضي الله عنها) .

ثانياً: اوحى الله سبحانه وتعالى الى رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بسد الابواب التي كانت في المسجد النبوي ، بوجه كل الصحابة ، الا باب الإِمام علي ، وكان من بين تلك الابواب التي سدت بابي ابي بكر وعمر (رضي الله عنهما) ، وعندما حدث لغط في هذا الموضوع قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

---

(506) ابن قتيبة الدنيوري ، الإِمامة والسياسة ، 76/1 .

(507) ابن قتيبة الدنيوري ، الإِمامة والسياسة ، 76/1 .

(508) الشيخ المفيد ، الجمل ، ص409 .

((ما انا سددت ابوابكم وفتحت باب علي ، بل الله عز وجل سد ابوابكم وفتح بابه))[509] .

ثالثاً: عدم استطاعة كل من ابي بكر وعمر (رضي الله عنهما) من اقتحام حصن خيبر وتراجعهما ، في حين ان الإمام علي (عليه السلام) تمكن من تحقيق ذلك[510] ، بعد ان قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ، ((سأعطي الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ...))[511] .

رابعاً: عندما بعث النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ابا بكر (رضي الله عنه) بسورة براءة وامره ان ينبذ العهد للمشركين وينادي فيهم ، فمضى حتى انحرف ، فاوحى الله تعالى الى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يرده ويأخذ الايات ويسلمها الى الإمام علي (عليه السلام) ، فصرف ابا بكر (رضي الله عنه) باذن الله عز وجل ، مما جعله يحمل شيئا في باله على الإمام علي ، وتبعته ابنته عائشة في ذلك[512] .

خامساً: لما رُميت عائشة (رضي الله عنها) بما رميت في حادثة الافك ، اشتد ذلك على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فاستشار الإمام عليا في امرها ، فقال له :

((سل جاريتها بريرة واستبرئ حالها منها ، فان وجدت عليها شيئا فخل سبيلها ، فان النساء كثيرة . فامرني رسول الله ان اتولى مسألة بريرة واستبرئ الحال منها ففعلت ذلك، فحقدت عليّ ، والله ما اردت بها سوءاً ، لكني نصحت لله ولرسوله {صلى الله عليه وآله وسلم}))[513].

يضاف لما ذكر من اسباب ، فان الدكتور طه حسين قد ذكر سببين منطقيين:اولهما ان زواج الإمام علي من السيدة فاطمة قد تكلل بان رزق منها الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) ، فكان بذلك ابا للذرية الباقية للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولم يتح للسيدة عائشة الولد من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، مما اثار ضغينتها من الإمام[514]. ثانيهما هو زواج الإمام علي (عليه السلام) بعد وفاة فاطمة (عليها السلام) من السيدة اسماء بنت عميس الخثعمية زوجة الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) بعد وفاته ،

---

(509) احمد بن حنبل ، المسند ، 4/ 451 ؛ وفضائل الصحابة ، 581/2 ، 528 ؛ النسائي ، الخصائص ، ص98 ؛ الشيخ المفيد ، الجمل ، ص410 .

(510) الشيخ المفيد ، الجمل ، ص410 .

(511) احمد بن حنبل ، المسند ، 124/1 ؛ الشيخ المفيد ، الجمل ، ص410 .

(512) الشيخ المفيد ، الجمل ، ص411 .

(513) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، 194/9 ، وينظر ، الشيخ المفيد ، الجمل ، ص412 .

(514) المجموعة الكاملة ، 454/4 .

وهي ام محمد ابنه ، الذي رباه الإِمام علي ونشأ في حجره ، واخو عائشة وكان من الموالين للامام علي (عليه السلام)[515] .

((المبحث الثاني))

حرب الإِمام علي ضد القاسطين في معركة صفين

بعد ان ذكرنا ما كتبه (بودلي) عن معركة الجمل في المبحث السابق نراه يذكر معركة صفين، فقد اشار الى ان متاعب الإِمام علي (عليه السلام) ، لم تنته بانتصاره على عائشة (رضي الله عنها) ، على الرغم من ان انتصاره جعله المسيطر على بلاد العرب وفارس ومصر ، الا ان معاوية بن ابي سفيان كان حاكما للشام في حينه ويطالب بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، ويتخذ من ذلك ذريعة لقتال الإِمام علي (عليه السلام) ، وقد شد من ازره انضمام عمر بن العاص وجنوده اليه ، وكان سبب خروجه عن طاعة الإِمام علي (عليه السلام) سبب شخصي وهو عزله عن ولاية (مصر) التي فتحها بذكائه ودهائه وقدرته.

ويضيف (بودلي) وعلى الرغم من كل ذلك فقد كان الإِمام علي (عليه السلام) كارهاً لقتال هؤلاء كرهه لقتال عائشة ، فبذل ما في وسعه لاحلال السلام ، ولم يخرج من الشام الا بعد ان ايقن ان الامويين لا يبغون الا قتاله ، فخرج على رأس تسعين الفاً[516].

ويقارن (بودلي) بين قائدي الجبهتين، أي جبهة الإِمام علي (عليه السلام) وجبهة معاوية بقوله:

((كان موقفاً غريباً ، فعلي بن عم النبي وزوج ابنته في جانب ، على رأس جيش من المهاجرين الذين شهدوا بدراً وأُحدا وخيبرا ، وفي الجانب الاخر معاوية ابن زعيم اعداء محمد يعاونه عمرو الذي قاد قريش ايضاً ضد محمد))[517].

---

(515) طه حسين ، المجموعة الكاملة ، 454/4 .

(516) حياة محمد ، ص424 .

كان السبب الرئيس للنزاع حسب ما ذكره (بودلي) هو اتهام الإِمام علي (عليه السلام) بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، ويعلق (بودلي) على موقف الخليفة عثمان (رضي الله عنه) من معاوية وعمرو بن العاص بقوله:

((وكان عثمان في ذلك الوقت العدو اللدود للرجلين الذين يتأهبان الآن للثأر لمقتله))، وكان في كلا الجانبين مسلحون متعصبون ، وقد دفع بوقوع الحرب بين الجانبين ، ولكن حادث رفع جنود معاوية المصاحف على اسنة الرماح ، ادَّى الى احجام جنود الإِمام علي (عليه السلام) عن الهجوم الذي كان سيقودهم الى النصر ، ولو ان هذه الحرب قد انتهت من الوجهة العسكرية في صالح الإِمام علي (عليه السلام) ، الا ان معاوية قد كسب بدهائه السلام ، وبدا كانما الإِسلام قد انقسم الى اجل غير محدود الى مطالبين في الخلافة متنافسين[518].

ان بودلي كان موضوعياً في كل ما ذكره عن الإِمام علي (عليه السلام) خلال حربه مع معاوية في صفين ، فقد شخص الاسباب الحقيقية التي دفعت بمعاوية وعمرو بن العاص لشن الحرب ضد الإِمام علي (عليه السلام) ، واستغرب ان يتقابل في الحرب طرفان ، احدهما يمثل كل ما هو خير والاخر يمثل كل ما هو شر ، ولو ان المسألة لا تستحق الاستغراب لان الخير والشر هما في صراع مستمر ما دامت الحياة.

اما المستشرق (هنري ماسيه) فيرى ان انتصار الإِمام علي (عليه السلام) في معركة الجمل جعله سيداً لإمبراطورية ، ولكنها منقسمة على قسمين ، بسبب تمرد حاكم سوريا قلعة الامويين،فسار الإِمام علي (عليه السلام) بجيشه من الكوفة واجتاز الفرات الى الرقة اذ التقى بالجيوش الاموية في سهل (صفين) ، وفي هذا المكان نصب معاوية بن ابي سفيان خيمة، واقسم السوريون امامها بالقتال حتى الموت ، وبعد ثلاثة اشهر من المناوشات التي يتخللها بين الحين والاخر مفاوضات، فان القتل الحاسم كان يجري في صالح جيش الإِمام علي (عليه السلام) ، ولكن معاوية بن ابي سفيان وبخدعة من عمرو ابن العاص برفع المصاحف على الرماح دعا الى حكم الله ، استطاع فيها قلب موازين الحرب ، واما اصحاب الإِمام علي (عليه السلام) فقد خالفوه بقبول التحكيم مما جعل ذلك سببا لخسارته الحرب ، وان انصار العمل الحازم ويقصد ماسيه بهم (الخوارج) قد تركوه[519] .

---

(517) حياة محمد ، ص424 .

(518) بودلي ، حياة محمد ، ص425 .

(519)هنري ماسيه ، الإِسلام ، ص64 ، 65 .

وجاء المستشرق (سيديو) بكلام يتطابق في معناه العام مع ما ذكره (هنري ماسيه)، فقد ذكر ان الإ ِمام علي (عليه السلام) كان يرجو ان تُكسر شوكة الفتنة بعد معركة الجمل، ولكن ذلك لم يتم بعد ان رأى في عينيه عدو بني هاشم ، معاوية بن ابي سفيان في الشام قد اتحد مع فاتح مصر عمرو بن العاص ، فتنازع معاوية مع صهر النبي (صلى الله عليه وسلم) على رأس ثمانين الف مقاتل ، واستمرت المناوشات لمدة مائة وعشرة ايام، وهلك في هذه الحرب خمسة واربعون الفمن اصحاب معاوية وخمسة وعشرون الفا من جنود الإ ِمام علي (عليه السلام) ، وكان الإ ِمام قد امر جنوده بعدم البدء بالهجوم وان لا يُجهز على الفارين، وان تُحترم الاسرى ، ويعلق (سيديو) على هذه التوصيات بقوله:

((وذلك وفق ما اشتهر به علي من الكرم المثالي)) ، ورفض معاية ما عرضه عليه الإ ِمام علي (عليه السلام) ان تكون المبارزة بينهما فردية ، بعد ذلك حدثت معركة متذبذبة في سهول (صفين) انتهت بالنزول عند رغبة جيوشهما في احالة نزاعهما الى التحكيم ، ولكنه لم يجر في صالح الإ ِمام علي (عليه السلام) ، وابدى امتعاضه من نتائج التحكيم[520] .

ولم يفصل كل من المستشرقين (هنري ماسيه) و (سيديو) في احداث معركة (صفين) بل اكتفيا بعرض الخطوط العامة لهذه المعركة وما آلت اليه من نتائج .

ويطل علينا المستشرق (الفريد جيوم) بحديث مختصر عن معركة (صفين) ، فيذكر، ان الإ ِمام علياً (عليه السلام) وبعد تسلم الخلافة قد اعفى معاوية بن ابي سفيان من منصبه، لكن معاوية تجاهل هذا الامر ، فاضطر الإ ِمام علي لمقاتلته ، ولم تكن هذه المعركة التي نشبت بينهما فاصلة ، فبعد ان بدأت ملامح الهزيمة واضحة على جيش معاوية ، اصطنعوا خدعة لينهوا بها الخلاف ، فثبتوا المصاحف على اسنة الرماح، داعين الى تحكيم الله ، فاضطر الإ ِمام علي (عليه السلام) وبتاثير الورعين من جيشه الى قبول التحكيم مرغما الى اقصى حد، وقد تسبب ذلك في غضب جماعة من المتعصبين الذين انكروا التحكيم على الخليفة ، ولهذا تركوا الإ ِمام علياً (عليه السلام) ، وهؤلاء الذين سموا بالخوارج[521] .

أما ما ذكرته المستشرقة (شتيسفسكا) حول معركة (صفين) فقد كان مختصرا ، فاشارت الى ان الامور قد انتظمت للامام علي (عليه السلام) بعد معركة الجمل في كل من العراق ومصر واليمن ومكة والمدينة وفارس باستثناء الشام ، الذي رفض حاكمها معاوية اوامر الإ ِمام علي (عليه السلام) بالتنحي عنها ، وقد ارسل الإ ِمام علي (عليه السلام) اليه عدة

---

(520) تاريخ العرب العام ، ص127 .

(521)الفريدجيوم ، الإ ِسلام ، ص81 .

رسائل فلم يقبل البيعة ، ولم يكتف بذلك وانما اخذ يطالب بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، فخرج الإ ِمام علي (عليه السلام) بجيش من الكوفة ، وخرج معاوية ومعه عمرو بن العاص بجيش اخر[522].

التقى الجيشان بصفين وهي بلدة بين دمشق والعراق على جانب نهر الفرات الشرقي وحصلت بينهما وقائع كثيرة قتل فيها الكثير من الفريقين ، في اخر الامر تمكن الإ ِمام علي (عليه السلام) من ايقاع الهزيمة في جيش الشام وهَمَّ معاوية بالفرار فمنعه عمرو بن العاص من ذلك ، وعمد الى حيلة رفع المصاحف في وجه الإ ِمام علي (عليه السلام) واصحابه ، ولكنها في الحقيقة -والكلام لـ (شتسفسكا)- كانت حيلة وخديعة من اصحاب معاوية عندما ايقنوا بهزيمتهم ، واخيرا آل الامر للتحكيم ، فمثل اهل الشام عمرو بن العاص ، وكان معروفا بالسياسة والحيل البارعة ، ومثل اهل العراق ابو موسى الاشعري ولم يكن مثل عمرو في السياسة ، ثم اتفق الحكمان بعد مفاوضات طويلة على خلع الإ ِمام علي (عليه السلام) ومعاوية ، ولكن ابا موسى خلع صاحبه بخدعة واما عمرو بن العاص فقد ثبّت صاحبه[523] .

وكان المستشرق (روم لاندو) قد ادلى بدلوه فيما يتعلق بمعركة صفين ، وبدأ كلامه عنها بذكر جانب من سياسة الخليفة عثمان (رضي الله عنه) الذي اسند في اثناء خلافته كثيرا من مراكز الدولة البارزة الى انسبائه ، وادى اتهامه بمحاباة ذوي قرباه الى مصرعه على ايدي جماعة كان على رأسهم محمد بن ابيبكر (رضي الله عنه) الذي بايع الإ ِمام علياً (عليه السلام) ، مما حمل معاوية بن ابي سفيان امير سوريا على اعلان الحرب ضد الإ ِمام علي (عليه السلام) ، ولكن وبحيلة من الحيل تمكن معاوية من اخضاع شرعية خلافة الإ ِمام علي (عليه السلام) للتحكيم وفي نهاية الامر تم خلعه ، وهذا الخلع ادى الى خروج جماعة من اتباع الإ ِمام علي (عليه السلام) ، مما ادى الى تقوية موقف معاوية بن ابي سفيان ، وادعاؤه الحق في الخلافة فيما بعد ، بينما كان عاملا من عمال الدولة حسب ، ولكن عملية الخلع وضعته على قدم المساواة مع الإ ِمام علي (عليه السلام)[524] .

وتطرق المستشرق (روي لبككر) الى ذكر معركة صفين بعد ان ذكر جانبا من سياسة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) التي اثار فيها استياء كثير من المسلمين بتحيزه

---

(522) تاريخ الدولة الإ ِسلامية وتشريعها ، ص60 .

(523) تاريخ الدولة الإ ِسلامية ، ص61

(524) الإ ِسلام والعرب ، ص62 ، 63 .

لبعض اقربائه وابناء عشيرته من الامويين ، مما ادى الى قتله في داره ، واصبح الإ ِمام علي (عليه السلام) وهو ابن عم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وربيبه وختنه خليفة خليفة ، ولكن معاوية بن ابي سفيان الذي كان واليا على سورية رفض الاعتراف بخلافة الإ ِمام علي (عليه السلام) ، بحجة انه نال الخلافة عن طريق اغتيال الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، وسعى معاوية للثأر من قتلة قريبه المغدور،على حد تعبير (لبككر)، وقاد ذلك الموقف الى نشوب معركة (صفين) بين جيش الإ ِمام علي (عليه السلام) وجيش معاوية بن ابي سفيان ، وكادت جيوش الإ ِمام علي (عليه السلام) ان تنتصر ، ولكن موازين المعركة قد تغيرت بعد ان رفع اصحاب معاوية المصاحف على الرماح ، واعلنوا ان الحل يجب ان يقرره ما هو في القرآن ، فوافق الإ ِمام علي (عليه السلام) على التحكيم ، وجاءت نتيجة التحكيم ضده ، ولكنه لم يقبل بالقرار كونه قراراً غير عادل ، وعلى هذا الاساس فقد استمر الإ ِمام علي (عليه السلام) في الحكم بصفته خليفة المسلمين بعد ان فقد تأييد جماعة معاوية ، وهناك من خالفه من اصحابه نتيجة لقبوله بالتحكيم ، واستطاع ان يخمد فتنة هؤلاء المخالفين الخوارج[525].

ويعقب المستشرق (جمس هاستنكز James Hastngs) على الاوضاع بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، بوصفه اياها انها ادت للى احداث انقسام عميق في الإ ِسلام، ويقول بعد ذلك:

((فمن ناحية كان هناك مغتصب قوي وهو معاوية بمطالبته التي لا تقاوم من اجل الانتقام لمقتل عثمان واثبات الخلافة ، وهي اقدس سلطة في الإ ِسلام ، من ناحية اخرى كان ينتظم هناك انصار الحقوق الديمقراطية الذين تهيئوا لمقاومة معاوية واقامة الخليفة المنتخب في حينه وهو علي ، الذي قام اتباعه بتزوير الحجج المتطلعة لاقامة الحق الالهي لعلي واهل بيته لكي يحكموا المجتمع الإ ِسلامي ، ودخل الجانبان في صراع مسلح،...وحدث التصادم الحاسم في معركة صفين، وفي ذلك الوقت تركت الادارة البارعة للفرصة الذهبية من جانب ممثل علي ، ابي موسى ، تركت علي من دون اصحابه.وقد انسحب جماعة حزب الحقوق الديمقراطية من ساحة المعركة وقاموا بتجاوزات فوضوية وكان ذلك عائقا لخلافة علي ، وقد اطلق هؤلاء المنسحبين على انفسهم تسمية الخوارج))[526] .

---

(525) روي لبككر واخرون ، دراسات اسلامية ، ترجمة الدكتور نقولا زيادة ، دار الاندلس ، (بيروت - 1960) ، ص19 -20 .

(2) Hastings ,James ,Encyclopedia of Religion and Ethics ,Volume X1,P.454.

الذي يمكن تشخيصه من خلال الكلام المتقدم لـ (جمس هاستنكز) هو ، امرين:

الامر الاول:اتهم اتباع الإ ِمام علي (عليه السلام) بتزوير الحجج من اجل اثبات حقه واهل بيته في الخلافة ، وهذا الكلام غير دقيق ، وسبق ان عرضنا جانبا من الحقائق التي وردت على لسان مؤرخينا من كلا الطائفتين المعنيتين بالمشكلة في الفصل السابق.

الامر الثاني: اطلق هاستنكز لقب (انصار الحقوق الديمقراطية) او (حزب الحقوق الديمقراطية) على (الخوارج) ووصف انسحابهم عن الإ ِمام علي (عليه السلام) على انه نتيجة لمؤامرة التحكيم ، وما هو ثابت في اغلب مصادر التاريخ وكتابات بعض المستشرقين بان رغبة هؤلاء كان في التحكيم ، في الوقت الذي حذر الإ ِمام علي (عليه السلام) من هذه الخدعة.

واما المستشرق (شبولر) فقد ذكر بان انتصار الإ ِمام علي (عليه السلام) في معركة الجمل لا يعني انه كان بامكانه حسم الامور بحد السيف ، فقد اخذ معاوية بن ابي سفيان بصفته اقرب الاقارب للخليفة المقتول عثمان (رضي الله عنه) على عاتقه الاخذ بثأره ، واستلم قيادة الجماعة التي انقلبت ضد الخليفة المنتخب بحجة انه غير برئ بالكامل من جريمة القتل ، وبالحقيقة والكلام لـ (شبولر) فان استعدادات معاوية في سورية والاضطرابات في مصرجبرت الإ ِمام علياً (عليه السلام) على الزحف الى الشمال لوضع حد فاصل لها ، وفي اعالي الفرات وعند سهل (صفين) تقابل الجيشان لعدة اشهر انشغلوا فيها بالمناوشات من جانب وبالمفاوضات من جانب اخر ، وكان الاندفاع لهذه المعركة قليلا من الجانبين بسبب انحدارهم من نفس الاصول او تربطهم قرابة دم ، اضافة الى ان اعداد كبيرة من المقاتلين حتى وان لم يكونوا قياديين كانوا يتهيبون من اراقة دماء المسلمين ، ولكن لم يتم حسم الامور الا عبر القتال ، وعندما بدأ النصر يميل الى جانب الإ ِمام علي (عليه السلام) ، لجأ أعداؤه الى حيلة ماكرة دبرها عمرو ابن العاص،هي تحكيم القرآن بدلا من القتال ، وأُجبر الإ ِمام علي (عليه السلام) على القبول بهذا المقترح وتم ((استغفال علي مرة اخرى ، فبينما كان يظن ان التحكيم لا يتعدى الاعتراف بأحقيتة بالخلافة ، استطاع حزب معاوية ان يتوصل الى ان يجعل كلا المتحاكمين في نفس الوزن))[527] .

(1) Spuler , Geschichte Der Islamischen Lander ,P.103-104.

ان الشيء الذي يؤاخذ عليه (شبولر) فيما قاله هو ، ان عملية التحكيم قد تم من خلالها استغفال الإ ِمام علي (عليه السلام) ، والحقيقة غير ذلك لانه حذر من عملية رفع المصاحف قبل حدوثها ، والدليل على ذلك قوله :((انها كلمة حق يراد بها باطل))[528] .

ووصف المستشرق (بيتر مانسفلد) انتصار الإ ِمام علي (عليه السلام) في معركة الجمل بانه كان قصير الاجل ، وعلى الرغم من انه كان مقاتلا شجاعا وقائدا صالحا ، الا انه لم يكن رجل دولة،اذ قام معاوية وبدعم من عمرو بن العاص بالثار ضده انتقاما لمقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، فسار الإ ِمام علي (عليه السلام) لمواجهة المتمردين في معركة (صفين) ، وعندما لاح له النصر قام بتبديده ، حينما قام عمرو بتدبير خديعة رفع المصاحف ، وكانه يسأل الله ان يختار المنتصر[529] .

ويضيف مانسفلد القول بان جماعة الإ ِمام (عليه السلام) الاكثر تنسكا اقنعوه بان يوقف القتال ، وجرى التحكيم من خلال ممثلين للطرفين ، الا ان الإ ِمام عليا (عليه السلام) لم يقبل بالقرار وادى ذلك الى خلاف حاد بين اتباعه ، اضعف معسكره في النتيجة[530] .

ان حكم المستشرق (مانسفلد) على الإ ِمام علي (عليه السلام) بانه ليس برجل دولة لا يمكن ان يوافقه منصف عليه ، لان ظروف الدولة الإ ِسلامية في اثناء خلافته كانت معقدة اشد تعقيد ولا يمكن الحكم من خلالها على الإ ِمام علي (عليه السلام) بهذا الحكم، ولو كانت الخلافة بيد شخص اخر يؤمن بحرية التعبير ويأخذ برأي اصحابه لفعل بمثل ما فعل الإ ِمام (عليه السلام) في قضية التحكيم.

ويبدي المستشرق (برسي سايكس) رأيه في معركة (صفين) ، فاشار الى ان الإ ِمام علياً (عليه السلام) وبعد انتصاره في معركة الجمل ، عاد الى الكوفة واتخذها عاصمة لدولته ، ثم جهز جيشاً كبيراً واجتاز دجلة وبلاد ما بين النهرين وعبر الفرات ليلتقي بجيش معاوية ، وكان معاوية مستعداً للحرب ، حيث جهز جيشاً كبيراً هو الاخر ، وبعد محاولات غير مجدية للصلح ومناوشات متقطعة ، بدأت معركة صفين في عام 37هـ (657م)[531].

وتميزت هذه المعركة حسب رأس برسي سايكس بالكثير من الاعمال البطولية واحتدمت لمدة ثلاثة ايام بدون نتيجة حاسمة ، واصيب معاوية برعب ، ووافق على خديعة عمرو ، فأمر رجاله برفع المصاحف على رماحهم ، صائحين (الحكم لله، دع القرآن يحكم بيننا) ؛

---

(528) ينظر ، نهج البلاغة ، الخطبة /40 .

(3) Mansfeld ,Peter ,The Arabs ,P.38

(1) Mansfeld , The Arabs ,P.38

(2) Persy Sykes , History of Persia , P ,533 , 534 .

ولم يوافق الإِمام علي (عليه السلام) بايقاف القتال لانه ادرك بان هذا العمل خدعة ، الا ان رجاله المتعصبين هددوه بان يتركوه ان لم يوافق على التحكيم ويعين حكما لهم ، وحتى في هذا الامر لم يكن للامام علي (عليه السلام) الخيار واجبر ان يسلم اموره الى ابي موسى الاشعري الذي كان احد المؤيدين له ، لكنه كان تعوزه الحماسة (فاتر الهمة)[532].

ويضيف (سايكس) بان الطرفين حددامكان التحكيم ، وذهب عمرو ممثلاً لمعاوية ، وابو موسى ممثلاً للامام علي (عليه السلام) ، وتبعهم الاف من كلا الجانبين وتجمعوا ليسمعوا الحكم.لكن الحكمان اتفقا سراً على ان يقوما بعزل كلٍّ من الإِمام علي (عليه السلام) ومعاوية وانتخاب خليفة جديد ، فقام ابو موسى باعلان خلعه للامام علي (عليه السلام) على الملأ، اما الداهية عمرو فاعلن انه يوافق على عزل الإِمام علي (عليه السلام) ويثيب معاوية كوريث للخليفة عثمان ومطالب بدمه والخليفة من بعده.

ويعلق (برسي سايكس) على هذا الحادث بقوله:

((كان التحكيم نجاحا باهراً لمعاوية الذي نصب نفسه خليفة في دمشق وكان التحكيم ضربة شديدة لعلي، وعلى اية حال ، فان انصاره لم ينصحوه بالتخلي عن الخلافة ، ولم يكن محظوظاً في حياته ، فقد أُجبر على التحكيم))[533].

ان كل ما ذكره المستشرق (برسي سايكس) هو نقل لحقائق تاريخية وردت في مصادرنا الإِسلامية ونقلها غيره من المستشرقين ايضاً ، ولكن الشيء الذي يؤاخذ عليه هو تقييمه لنتيجة معركة (صفين)، بوصفه اياها بانها كانت نجاحاً باهراً لمعاوية وضربة شديدة للامام علي (عليه السلام) ، فالمنصف في التاريخ لا يستخدم المقاييس نفسها التي استخدمها (سايكس) والداعية الى التعامل مع نتائج ملموسة على ارض الواقع، بل الانصاف ان يستبعد استخدام الغدر في الوصول الى تحقيق المكاسب مهما كانت مادية ، اخلاقية ، اجتماعية سياسية.

وفي اطار ذكره لمعركة (صفين) اشار المستشرق (مونتغمري واط) الى ان الإِمام عليا (عليه السلام) قد سار بجيشه من العراق في منتصف عام (657م) باتجاه معاوية بن ابي سفيان وحدثت المعركة،وبعد عدة ايام من القتال الضاري رفع جيش الشام المصاحف على الرماح،وفُسّر هذا على انه التماس من الجانب الاخر ، من اخوانهم المسلمين بان يقبلوا حكم القرآن ، وكان هناك مجموعة قوية من جيشالإِمام علي (عليه السلام) ارغمته، ليس فقط

---

(3) Persy Sykes , History of Persia , P . 534 .

(1) Ibid , P. 534 .

على وقف القتال ، بل على الرضوخ الى التحكيم ، واختيار شخصا للتحكيم يمثل الإِمام علي (عليه السلام) وهو ليس محبا له[534] .

وقيّم (واط) عملية التحكيم بقوله : ((العديد من النسخ لعملية التحكيم اعطيت فيما بعد من قبل المؤرخين المسلمين ومن الصعب معرفة وجه الحق فيها))[535] .

وعدم معرفة وجه الحق بالنسبة لـ (واط) لا يمكن ان يلام عليه لان ذلك يتطلب دراسة مصادر التاريخ الإِسلامي بامعان ، وربما يتطلب منه لتحقيق هذا الهدف معرفة اللغة العربية للاطلاع على اكبر عدد ممكن من المصادر ، وان كان ليس صعبا على مستشرق مثل (واط) الذي عرف بمؤلفاته عن الإِسلام والمسلمين ومن بينها كتابي (محمد [صلى الله عليه وآله وسلم] في مكة) و (محمد [صلى الله عليه وآله وسلم] في المدينة) .

وعبر المستشرق (ولاستون) عن احداث معركة (صفين) بمفردات لغوية معبرة عن الحقائق ، فقد ذكر بان الاوضاع قد استتبت للامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) بعد معركة الجمل ، باستثناء منطقة واحدة كانت ترفع راية التمرد ضده ، وهي سوريا ، اذ اسقر معاوية بتأليب الناس على الإِمام (عليه السلام) وحثهم للاخذ بثأر الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، فارسل الإِمام علي (عليه السلام) رسولا لمعاوية يامره بان يقدم الطاعة له ، لكنه كان يرفض الاستماع لاي شخص عدا عمرو بن العاص ، عامل مصر، الذي رأى من مصلحته ان يكون في صف معاوية ، فنكث بيعة الإِمام علي (عليه السلام) وبايع معاوية ، ولم تثمر جهود الإِمام علي مع معاوية المتمرد ، فتحرك الى الشام على رأس تسعون الفا من المقاتلين ، وتوقف في (صفين) لمدة شهر (حزيران – تموز 657م) محاولا حل المسألة سلميا الا ان جهوده باءت بالفشل ، وهكذا بدأ القتال[536] .

واصل (ولاستون) وصف معركة صفين بالقول : ((راى محارب الإِسلام [يقصد به الإِمام علي (عليه السلام)] ان هذه المعارك حالة مرَضيّة لا تتفق مع الضمير فدعى خصمه معاوية للمبارزة) .

وذكر ولاستون كلاماً يصف فيه لسان حال الإِمام علي (عليه السلام) وهو يراسل معاوية، فيقول له:

---

(2) Watt.M,Islam and the Integration of society ,P.97.

(3) Ibid ,P.97.

(1) Wollaston , Half Hours,P.104.

((الى متى يقتل هؤلاء الناس بيني وبينك ، تعالى الى هنا اني اتحداك في اللجوء الى حكم الله وان الذي يقتل فسيكون الامر كله للقاتل)) ((الا ان معاوية رفض الخروج لعلمه ان ليس هناك رجل برز لعلي (عليه السلام) وعاش)).

ووصف (ولاستون) ظروف المعركة واشار الى ان ما تعرض له الإ ِمام علي (عليه السلام) كان خدعة قد حذر منها وواعاها جيداً، بعد ان كان من النصر قاب قوسين او ادنى، ولكن بضغط المتعصبين من جماعته كانت النتيجة ليس في صالحه[537].

وفي وصف (ولاستون) لموقف الإ ِمام علي (عليه السلام) في معركة صفين ودعوته معاوية للمنازلة الفردية دليل واضح على عدم دقة كلام بعض المستشرقين الذين ادعوا بان غاية الإ ِمام (عليه السلام) من الحرب هي الخلافة وقد حشد اصحابه من اجل هذا الهدف.

وتستعرض المستشرقة (فاغليري) تفاصيل دقيقة عن معركة (صفين)، لا تقل اهمية عن التفاصيل التي ذكرتها عن معركة الجمل ، ولكن سنحاول التركيز على بعض الجوانب التي من خلالها يمكن معرفة انطباعها عنها .

تذكر ان الإ ِمام عليٌ (عليه السلام) كان يأمل استعادة ولاء حاكم سوريا عن طريق المفاوضات معه ، لكن محاولته كانت عبثاً ، حيث طلب معاوية تسليم قتلة عثمان استناداً الى الاية (34)من سورة الاسراء[538] لتي تمنع قتل النفس الا بالحق ، ومن قتل مظلوماً فقد اعطى القرآن الحق لوليه ، وفي حالة الخليفة عثمان ، فان وليه هو معاوية[539].

وتقول (فاغليري) ، ان المصادر التي تناولت موضوع الخلاف بين الإ ِمام علي (عليه السلام) ومعاوية يكتنفها الغموض باستثناء كتاب (واقعة صفين) لمؤلفة نصر بن مزاحم المنقري ، الذي يذكر بان الخليفة عثمان (رضي الله عنه) قد قتله الناس ((لاعماله الاستبدادية))، لذا فان القتلة يجب ان لا يكونوا عرضة للعقاب ، وتضيف (فاغليري) القول بان الواقع يشير الى ان الصراع ما بين الإ ِمام علي (عليه السلام) ومعاوية له اسباب اعمق من هذا الامر بكثير ، ولكنها لم تحدد هذه الاسباب ، لتنتقل الى وصف معركة (صفين) بعد

---

(2) Ibid . P. 104 -105 .

(538) الاية التي تقصدها فاغليري رقمها (33) وليس (34) ، ونص هذه الاية هو ((ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً))، الاسراء /33 .

(2) Vaglirei , the Encyclopadia of Aslam , V.1 , P. 383 .

ان اشارت الى ان الإ ِمام علي (عليه السلام) لم يجد بداً من الهجوم العسكري، اذ تواجه الجيشان وحدثت مصادمات تخللها صلح في محرم سنة (37هـ)[540].

وعادت الاشتباكات وكاد نجم معاوية ان يافل ، لولا نصيحة عمرو بن العاص برفع المصاحف على الرماح، وتصف (فاغليري) عملية التحكيم بقولها: ((لم يتضمن هذا العمل المشهور في التاريخ الإ ِسلامي الاستسلام)) وترى ان مهمة التحكيم هي تحديد فيما اذا كان الخليفة عثمان (رضي الله عنه) مذنباً او غير مذنب،فاذا كان مذنباً ، فان قتله عندها يعد عملاً عادلاً ، لكنه اذا لم يكن قد ارتكب اخطاءً،فانه يكون عند ذلك مظلوماً ويكون لمعاوية الحق في الانتقام من قتلته ، ولم يكن هذا كل الامر ، لان أي قرار بمصلحة معاوية سيتضمن حتماً خسران الإ ِمام علي (عليه السلام) للخلافة[541].

وتذكر (فاغليري) ايضاً خسائر الطرفين وتاريخ التحكيم وما جرى بين عمرو بن العاص وابو موسى الاشعري واحتجاجات بعض اصحاب الإ ِمام علي (عليه السلام) على التحكيم ، وخروجهم عليه.

ولو قيمنا ما كتبته فاغليري بشأن معركة صفين ، نقول انها قد ادركت كل ما يتعلق باسبابها ومجريات احداثها ونتائجها ، لتؤكد وكما اكد بعض من سبقها بان دخول الإ ِمام علي (عليه السلام) هذه الحرب كان مرغماً ،وحاول تفاديها لكن دون جدوى بسبب تعنت معاوية بن ابي سفيان.

وتناول المستشرق (دونلدسن) الذي اجاد في دراسته عقيدة الشيعة ومن خلالها معركة صفين ، فيشير الى ان معاوية وبعد ما يقارب من ثلاثة اشهر ، جمع مائة وعشرين الفاً وسار بهم وكانوا لا يريدون خلافه علي (عليه السلام)غير ان شعارهم كان (يالثارات عثمان) ، والارجح انهم كانوا يلقون بعض التبعة في قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)على الإ ِمام علي (عليه السلام) ، فلا يرونه لائقاً للخلافة وكتم معاوية ما بنفسه، ووصل جيشه الى وادي صفين على مقربة من الرقة ، وقدم الإ ِمام علي بجيشه بعد ان اجتاز المدائن والرقة ، فوجد معاوية واهل الشام قد عسكروا في خرائب المدينة (أي صفين) ، وهجم الإ ِمام علي (عليه السلام) وهو في موقف غير ملائم وتمكن من بلوغ عين ماء قريبه من موقع المعركة[542] .

---

(3) Vaglirei , the Encyclopadia of Aslam , P. 383 .

(4) Ibid . , P. 383 – 384 .

(542) عقيدة الشيعة ، ص51 – 52 .

ويصف (دونلدسن) موقف الإِمام هذا ، بقوله: ((واباح كرماً منه لاهل الشام ورود المشرعة واستسقاء الناس من طريقه))، فاعقب ذلك مفاوضة للصلح يتخللها بعض القتال، وكفوا عن القتال في محرم ، ولم تبدأ معركة صفين الحقيقية الا في شهر صفر[543] .

ونقل (دونلدسن) رواية عن المسعودي يحدد فيها مدة المعركة بمائة وعشرة ايام والوقائع بتسعين وقيعة ، ويوضح ان هذه المدة الاجمالية لمعركة صفين وليس الايام الحاسمة في المعركة التي استمرت اسبوعين ، ويذكر دونلدسن نقلا عن المسعودي بان عدد من قتل من اصحاب الإِمام علي (عليه السلام) ، سبعون الفا من اصل تسعون الفا كانوا معه ، وكان معاوية في مائة وعشرون الفا ، قتل منهم خمسة واربعون الفا[544] .

ويبدي (دونلدسن) رأيا بشان عدد القتلى من الطرفين بالقول :

((فاذا كان هذا [العدد] صحيحا فان الاسبوعين الاخيرين من القتال كانا ادمى الاسابيع حقا فلا عجب اذن ان كره الناس الحرب وتداعوا الى الصلح)) واتفقوا على التحكيم في 13 او 17 صفر[545] .

وتبنى دونلدسن وجهة النظر التي يقول فيها بان بعض المحاباة للامام علي (عليه السلام) قد ظهرت في هذه القصة وان المعجبين به اضافوا هذه الحكاية بتبرير الفشل الذي اصابهم نتيجة التحكيم[546] .

ويذكر دونلدسن بان هناك مجموعة كبيرة من القراء في جيش الإِمام علي (عليه السلام) الذين يطعنون في الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وبعض حكامه ، وان هؤلاء الاعداء الالداد لحكم العرب لم يرضهم أي اتفاق ، وبعد فشل التحكيم ، احسوا ان ذلك لا يخدم مصالحهم في حالة بقائهم مع الإِمام علي (عليه السلام) ، مما دفعهم للخروج ، ونتيجة لذلك سموا بالخوارج[547] .

اما دراسة المستشرق (فلهوزن) لمعارك الإِمام علي (عليه السلام) ضد الناكثين والقاسطين والمارقين في كتابه (تاريخ الدولة العربية) وتخصيصه فصلا منه تحت عنوان

---

(543) عقيدة الشيعة ، ص51 ، 52 .

(544) ينظر ، المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ) ، التنبيه والاشراف ، مراجعة عبد الله الصاوي ، دار الصاوي للطبع والنشر ، (القاهرة – د.ت) ، ص256 ؛ دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص52 .

(545) عقيدة الشيعة ، ص52 .

(546) عقيدة الشيعة، ص53 .

(547) عقيدة الشيعة ، ص54 .

(علي والحرب الاهلية الاولى) ، فقد كانت مميزة ، استعان بها بمجموعة من المصادر الإِسلامية ، مستخدما المقارنة بين الروايات المختلفة للوصول الى الرأي الذي يقنع به .

بدأ فلهوزن حديثه عن معركة صفين بدراسة الظروف التي مهدت لها ، وكان من اهمها مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، ومحاولة ابن عمه معاوية بن ابي سفيان الاخذ بثأره ، واشار فلهوزن الى ان قوما حرضوا معاوية على الإِمام علي (عليه السلام) اكثر مما سعى بنفسه لذلك ، وكان في مقدمة هؤلاء الوليد بن عقبة ، ابن عم معاوية الذي وجه اللوم اليه على اضاعة الوقت في المراسلات مع الإِمام علي (عليه السلام) ، لكن معاوية كان سياسيا بطبعه ولم يكن متعجلا ولا متلهفا على محاربة اهل العراق ، لانه كان مهددا في ذلك الوقت من الروم واهل مصر الذين كانوا مع الإِمام علي (عليه السلام) ، اضافة على عدم رغبته في الخلافة ، وانما كان هدفه ان يحافظ على ولاية الشام وان يستولي على مصر التي لا يصح ان يتركها لخصومه واراد بالسيطرة عليها حماية ظهره، هذا ما يعتقده فلهوزن[548] .

استعرض فلهوزن مسير جيش الإِمام علي (عليه السلام) ووصلوله الى صفين واصتدام مقدمة الجيشين من اجل السيطرة على عين ماء ، فتمكن الإِمام علي (عليه السلام) من السيطرة عليها ولكنه سمح لجيش معاوية بالتزود بالماء[549] .

وتطرق فلهوزن الى تفاصيل المعركة ، والى عملية عملية التحكيم بقوله :

((وقبل اهل العراق ان يخدعوا ، واكرهوا علياً على الكف عن القتال ، وعلى ان يفاوض معاوية ، وهددوه بالقتل ان لم يفعل ذلك))[550] .

بعد ذلك يقوم (فلهوزن) بنقد بعض المصادر الإِسلامية التي ذكرت معركة صفين ، فيصف ما جاء به ابو مخنف بانه كان مطولا وهناك فراغا كبيرا بين مقدمات المعركة وبين الالتحام الحقيقي،على ان شهر محرم بقي خاليا من القتال ، ولا يذكر ابو مخنف القتال الا في الشهر الذي قبله والشهر الذي بعده ، ويخلص (فلهوزن) الى القول:

((ونحن لا نظفر ، فيما يتعلق بسير المعركة الحقيقية ، بصورة واضحة ، ففي وصفها من الاضطراب الكبير مثل ما كان في مجراها ، نعم، نحن نجد في كثير من الاحيان معلومات دقيقة عن تقسيم الجند وترتيبهم وقيادتهم ، ولكن هذه الملومات غير متفقة فيما

---

(548) تاريخ الدولة العربية ، ص71 .

(549) تاريخ الدولة العربية ، ص73 .

(550) تاريخ الدولة العربية ، ص74 .

بينها،... ويتكون وصف هذا القتال من مجرد روايات متفرقة لحوادث عرضية ، وهي روايات لا تبين الا ناحية واحدة ، ولا ينجح الكاتب في محاولته ان يجعل منها وحدة منسجمة الاجزاء ، فوصف المعركة يعوزه ارتباط بين الاجزاء))[551].

ويذكر (فلهوزن) بان نهاية المعركة توضح ان مالِكَ الاشْتَر كان البطل الحقيقي في ذلك اليوم.

ويؤكد (فلهوزن) بان من الابطال الذين برزوا في القتال ، الإِمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وابن عمه عبد الله بن عباس ، وكذلك القراء الذين اقتحموا الموت من اجل الإِمام علي (عليه السلام) ، فكانوا بدمائهم شهوداً له ، وهو اقوى دليل على انه على حق[552].

ويشير (فلهوزن) الى ان مصادره التي اعتمد عليها كانت من جانب واحد ولو انه حصل على كتابات الجانب الشامي فلعلها كانت تختلف عن حكاية ابي مخنف ، وان كان يستبعد ان تكون اجدر بالثقة من رواية ابي مخنف[553].

ويعرض فلهوزن ما جرى في عملية التحكيم بين ابو موسى الاشعري وعمرو بن العاص وبعد التفصيل في ذلك يخلص الى القول:

((ولا بد من التنبيه على ما يشعر به الانسان من ان ابا موسى قد وقع على هذا النحو في شرك الخديعة ، اما عمرو فقد غدر شائناً ، ولا شك ان اكثر الناس حنكة ربما وقع في مثل الشرك الذي وقع فيه ابو موسى ، واذا كان هناك خداع فهو من جانب عمرو ، ولم يكن بالحقيقة بالرجل الذي يخدع . وهذه الحكاية في امر نهاية محكمة التحكيم غير جديرة بالتصديق))[554].

ومما يميز كتابات (فلهوزن) هو الاعتماد على موارد متعددة في ايراد الخبر الواحد ، وكان حريصاً على نقل اراء غيره بامانة ومناقشتها بحيادية.

وخصص فلهوزن جانبا من كتابه الاخر (الخوارج والشيعة) لدراسة نتائج معركة صفين التي وصفها بانها كانت نتائج بالغة الخطورة ، اذ خدع فيها الظافر عن ظفره ، فعندما لاح خطر الهزيمة في جانب جيش معاوية ، رفعوا المصاحف على اسنة الرماح[555].

---

(551) تاريخ الدولة ، ص74 - 75 .

(552) تاريخ ، ص76 .

(553) تاريخ ، ص77 .

(554) تاريخ الدولة العربية ، ص86 .

(555) ينظر ، فلهوزن ، الخوارج والشيعة ، ص25 .

ويستعرض فلهوزن الظروف التي مهدت واسهمت في بلورة حادثة التحكيم وموقف الإِمام علي (عليه السلام) الرافض لهذه الخدعة ، ، ويبعد فلهوزن الشبهات التي اثيرت على ابي موسى الاشعري حول تواطئه مع معاوية ، ويصفه بانه كان من اقدم صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ويضيف له صفات اخرى يخرج بنتيجة هي انه كان بعيدا عن الخيانة او التآمر ، اذ وقف موقفا محايدا بين الفريقين في هذه الحرب الداخلية شانه شأن غيره ، ولم يكن مؤيدا للامام علي (عليه السلام) ولا لمعاوية وانما كان هواه نحو عبد الله بن عمر(556) .

ويحاول فلهوزن ابعاد شبهات التآمر عن الاشعث بن قيس ايضا رغم قوله عنه بان اتهامه ايسر الى القبول من ابي موسى ، فيذكر بان الاشعث قد تقدم وبحماس في الوساطة بين الفريقين في مرحلة عقد الصلح ، وعمل كل مافي وسعه من اجل وضع صلح مكتوب بين الفريقين ، ويتساءل فلهوزن : ((واذن :فاين الخيانة في مسلك الاشعث هذا؟ليس هو الذي بدأ التيار،وكل ما فعله انه سار فيه . لقد اندفع في امر الصلح وبرز في عملية اجرائه ، وبهذا عاون على وقوع الكارثة ، ولكن هذا ليس خيانة بعد))(557).

ويخلص فلهوزن الى نتيجة مفادها ان البحث عن خونة في حادثة التحكيم لا جدوى فيه ولا محل له ، وليس امرا بعيدا عن التصديق ان تكون حيلة رفع المصاحف قد طرأت فجأة على فكر عمرو بن العاص الداهية ، بل ان الفكرة نفسها قريبة الورود الى الذهن ويمكن ان يكون لها سوابق(558) .

ودليل فلهوزن في ذلك هو ان الرماح كانت تستخدم دائما كعلامات واشارات والقرآن هو راية الإِسلام ، فكان ذلك بمثابة تذكير لاهل العراق بانهم انما يقاتلون قوما رايتهم كرايتهم وهو كلام الله ، ولم تكن اذهانهم في حاجة الى اعداد مسبق ليفهموا ذلك(559) .

وتعد دراسة المستشرق (ميور) في كتابه (الخلافة – The Caliphate) التي لا يقل اهمية عن سابقه (فلهوزن) ، من الدراسات الشمولية التي لا يمكن للباحث الاستغناء عنها عند دراسته لمعركة (صفين) ،قد اشار الى ان خلافة الإِمام علي (عليه السلام) بعد معركة الجمل كانت مجزأة ومبتورة ما دامت سوريا (الشام) ومصر خارج سلطته ، فارسل الإِمام علي (عليه السلام) قيس بن سعد بن عبادة لاخلاصه له ولمهارته وبراعته ، الى

---

(556) ينظر، الخوارج والشيعة ، ص26 - 28 .

(557) الخوارج والشيعة ، ص30 .

(558) الخوارج والشيعة ، ص31 .

(559) الخوارج والشيعة ، ص31 .

مصر ، وتجنب ان ياخذ معه جنود وفضل ان يكتفي بسبعة من الصحابة ، وعلى مقربة من مصر هرب عاملها المتمرد [عبد الله بن ابي سرح] الى سوريا ، وقدم المصريون ولاءهم للى الإ ِمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، باستثناء جماعة ، وبحكمة قيس تركهم لشانهم(560) .

ويواصل (ميور) وصف الاوضاع والعلاقة بين معاوية وقيس بن سعد والمراسلات التي حدثت بين الطرفين والتي تمخضت عنها ثبات ولاء قيس بن سعد الى الإ ِمام علي (عليه السلام) ، لذلك سعى معاوية الى اثارة الضغينة بينهما ، واتهم قيسا بانه انتهازي وعنده ليونة اتجاه الساخطين المصريين ، ووصل هذا الكلالم المحرض الى الإ ِمام علي (عليه السلام) ، فامر قيسا بالتقدم نحو الساخطين ، وكان موقفه من هذا الامر ، بان هذه الخطوة سبقة لاوانها، فعد الإ ِمام علي (عليه السلام) ذلك دليلا على تواطئ قيس ، فعزله عن منصبه وارسل محمد بن ابي بكر مكانه ، وعاد قيس الى المدينة ، ولكن مروان بن الحكم واخرون نغصوا عليه حياته وبداوا يسخرون منه ، فصمم الذهاب الى الإ ِمام علي (عليه السلام) لتوضيح الامور له، وبعد اتضاح الامر حظى بثقته وجعله رئيس المستشارين ، اما معاوية ، فمن جهته قد انب مروان بشدة على دفعه لقيس ، وقال له:

((لو جهزت عليا بمئة الف رجل لكان اقل شرا من عودة قيس اليه كمستشار))،وترسخت العلاقة بين الإ ِمام علي (عليه السلام) وقيس مرة اخرى))(561) .

ويعقب (ميور) على هذه الحادثة بقوله :

((هذا الائتلاف وخطأ علي بعزل قيس عن مصر قوت يدا معاوية ، وحتى انتصار علي في البصرة كانت له فوائده لمعاوية فقد ازاح عن المسرح طلحة والزبير ، لقد كان موقف عليا حرجا جدا))(562) .

وبعد تفاصيل يذكرها (ميور) عن تشكيلة الجيشين والظروف التي دفعت بمؤيدي الإ ِمام علي (عليه السلام) ومعاوية بن ابي سفيان لشن الحرب ، يبدأ بوصف مسير جيش الإ ِمام علي (عليه السلام) من الكوفة حتى وصوله الى صفين، ويذكرنهاالإ ِمام علياً كان راغباً بتجنب اراقة الدماء واوعز الى قواته حال مواجهته العدو بالتوقف وعدم الاحتكاك به قبل ان تطرح الحلول السلمية، ولكن تخللت الايام الاولى بعض المناوشات ، ولاحظ الإ ِمام علي

---

(4) Muire :the caliphate , P.269.

(1) Muire :the caliphate , P.270.

(2) Ibid , P.271.

(عليه السلام) سيطرة معاوية على الماء ، فشن هجوماً ازاح به جيش معاوية ، بعد ذلك ارسل ثلاثة رؤساء طالبين من معاوية ان يقدم الولاء ، لكنه رفض ذلك قبل ان يعاقب قتلة الخليفة عثمان (رضي الله عنه)[563] وعندما وجد الإِمام علي (عليه السلام) ان جميع محاولات التسوية قد باءت بالفشل، قدم قواته على شكل ثمانية ارتال منفصلة ، كل واحد منها تحت امرة رئيس قبيلة بدوية ، وكذلك قسم جيش معاوية الى عدة ارتال منفردة،وفي كل يوم يدخل الميدان رتل معين يقابله رتل من الطرف الاخر ، واستمر القتال بهذا الشكل المنفرد لمدة شهر ، وكان من الصعب حسم المعركة لان الطرفين يخشون ان تكون المعركة شاملة: ((ستدمر الإِسلام جذراً وفرعاً في معركة ضروس)) ، واطلت سنة على هذا الحال ، واعلنت بعد ذلك هدنة استغرقت شهراً في المفاوضات التي لم تسفر عن شيء كسابقاتها ، اما الإِمام علي (عليه السلام) فقد تعرض لضغط من البدو الغاضبين المحيطين به ، واستأنف القتال واخذت تزداد ذراوته يوماً بعد يوم ، وكان الإِمام علي (عليه السلام) عازما على حسم الموقف،وهكذا بعد عشرة ايام اعقبت المفاوضات التحم الجيشان وتقاتلا حتى الظلام ولم تحسم المعركة ، ووضع الإِمام علي (عليه السلام) نفسه في المركز مع اتباعه من رجال المدينة، والاجنحة كانت من رجال البصرة والكوفة اما معاوية فقد اقام سرادقاً في الميدان تحيط به خمسة خطوط من ذوي العمائم كحرس شخصي ، وشن عمرو بن العاص بقوة من الفرسان هجوماً على جناح الكوفة واحدث ثغرة فيه ، واصبح الإِمام علي (عليه السلام) امام خطر وشيك ولام اهل الكوفة على جبنهم[564].

ويضيف (ميور)بذكر وقائع المعركة والاشادة بشجاعة الإِمام علي (عليه السلام) ومالك الاشتر ودورهما في القضاء على اربعة ارتال من اصل خمسة من جيش معاوية، فاراد معاوية الهرب بنفسه طالباً فرسه ، وكان عمرو بجانبه ، فحاول ان يشد عزمه، واستطاع الرتل الباقي لمعاوية ان يصمد في الدفاع عنه ، وفي اثناء المعركة قتل عماربن ياسر الذي سمع الناس بحقه مقولة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بمامعناه ان عماراً سيقتل في جانب الحق[565] ، واثار مقتله الفزع في صفوف مقاتلي معاوية ، لكن عمرو اجابهم ((ومن قتل عماراً غير علي وقتلة عثمان الذين اتوا به الى المعركة)) ، وهذه الاجابة الذكية

---

(3) Ibid , p. 273 – 276 .

(1) Muir , the caliphate , p. 276 .

(565) نص حديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحق الصحابي عمار بن ياسر هو : ((تقتل عماراً الفئة الباغية عن الطريق ، وان اخر رزقه من الدنيا ضياح من لبن)) ، المتلقي الهندي ، كنز العمال ،332/11 .

كما يصفها (ميور)، قد جنبت معاوية شراً مستطيراً ، وكان القتال في هذا اليوم مريراً حتى ادركهم الليل ، وفي اليوم التالي صمم الاشتر على النصر باي ثمن واستمر بالهجوم وبعزم متواصل وشجاعة فائقة ، وبدأ معاوية المثبط العزيمة بالحديث عن قتال بين بطلين من كلا الجانبين ، فقال له عمرو ((اذن اذهب وتحدى علي))، فاجاب معاوية ((ليس هكذا ، اني لا افضل ذلك لم يقهر علي رجل ، لكني بك سانجح))[566]فطرح عمرو الخدعة صارخاً ((ارفعوا المصاحف ـ ارفعوا المصاحف)) ، ووضح عمرو لمعاوية هدفه من ذلك بانه اذا رفض الخصم ذلك فسوف يدب بينهم خلاف، وان وافق على تحكيم القرآن سوف تتأجل المعركة ، فوافق معاوية على ذلك ، لكن الإِمام علي (عليه السلام) تقدم الى جيشه صارخاً انها خدعة ارادها خوفاً من الهزيمة ، فاجابه اتباعه وخصوصاً حفظة القرآن: (مهما كانت الحجة لقد دعينا الى كتاب الله ولا يمكن تجنبه)) ، واخيراً هددوا الخليفة غير المحظوظ على حد تعبير (ميور) بالقتل كما فعلوا مع الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، وطلبوا منه سحب الاشتر من ساحة المعركة الذي رفض في بادئ الامر قائلاً لهم بانه سيحقق نصراً عظيماً ، لكن الشغب قد ازداد ، فارسل اليه الإِمام علي (عليه السلام) ثانية يأمره بالانسحاب ، قائلاً له ((ما ينفع النصر بعد ان تفشت الخيانة))[567].

فانسحب الاشتر مرغماً ودارت بينه وبين الجنود المنزعجين مشاحنة عنيفة ، وتدخل الإِمام علي بينهم ، ولكن الشغب قد استمر،وتم ارسال الاشعث رئيس قبيلة بني كنده يسأل معاوية عن معنى رفع المصاحف ، فاجابهم معاوية بان يعود الطرفان الى ارادة الله كما جاء في كتابه وكل جانب يعين حكما ويجب التمسك بقرارهم ، فوافق جيش الإِمام علي (عليه السلام) على ذلك واجبر الخليفة غير المحظوظ حسب قول (ميور) على التحكيم والاكثر من ذلك تعيين ممثل عنه قد خذله ، فقد نادى الجند بابي موسى عامل الكوفة (الانتهازي) الذي اقصي عن منصبه بسبب ضعف ولائه ، حيث قال الإِمام علي (عليه السلام) عنه :

((ان هذا الرجل قد تركنا مؤخرا وهرب وليس مثل بضعة اشهر ، وقد تم العفو عنه ولم يقاتل معنا ، هذا ابن العباس الاوفر تمثيلا وابن عم النبي اختاروه يحكم لكم)) . وقال رؤساء البدو نبرتهم المتعجرفة الخشنة حسب تعبير (ميور) ، لا احد منا غير ابي موسى.

---

(3) Muir , the caliphate , P. 276 -278 .

(1) Muir ,the Caliphate , P.278 .

ويصف (ميور) هذا الموقف بقوله : ((لقد كان خيارا مرا لعلي لكن لا حيلة له))[568].

ويذكر (ميور) تفاصيل ما جرى في مؤامرة التحكيم وما حدث من ردود افعال من جانب اتباع الإ ِمام علي (عليه السلام) بالخصوص ، والذي قاد بالنهاية الى تحزب جماعة ضده وهم الخوارج .

ويمكن تقييم ما ذكره (ميور) بشان معركة (صفين) ، بانه استخدم اليات البحث التاريخي ، من عرض مستفيض للاسباب التي ادت الى نشوب المعركة ، والغوص في تفاصيل دقيقة عن احداثها ، وابرز النتائج التي تم التوصل اليها ، واكثر من التحليل والنقد،وذكر مصطلحات بحق الإ ِمام علي (عليه السلام) مثل ((الخليفة غير المحظوظ)) توضح معرفته به بانه كان المتفوق على معاوية في الحرب وقد اعتمد في ذكره لاحداث التاريخ على الطبري في اثناء رواياته التي خصت الصراع الذي دار بين الإ ِمام علي (عليه السلام) ومعاوية .

وتعد دراسة المستشرق (بترسن) في كتابه الذي يحمل عنوان (علي ومعاوية في الرواية المبكرة) الذي ترجمه الاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي ، من الدراسات المتميزة التي وقف فيها على احداث تاريخية تتعلق بمرحلة حرجة من تاريخ الدولة العربية الإ ِسلامية والمتمثلة بمقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وما اعقبها من احداث، حتى يصل الى حقية متقدمة من العصر العباسي ، لقد سلك بترسن منهجا تحليليا بالتعامل مع الروايات التاريخية التي اعتمدها ونقلها من رواتها الكوفيين والسورين والمدنيين ، فحدد اتجاه وميول هؤلاء الرواة وموقفهم من الصراعات التي حدثت ابان مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، وتاثير هذه الميول في طبيعة تعاملهم مع الاحداث التاريخية التي زينت رواياتهم .

واسوة ببعض المستشرقين فقد قدم بترسن لموضوعه بدراسة الظروف التي مهدت لنشوء الصراعات في المجتمع الإ ِسلامي وآثارها في طبيعة المشاكل التي دارت بين الإ ِمام علي (عليه السلام) ومعاوية بن ابي سفيان ، وكان في مقدمة تلك الظروف هو مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) .

لقد وصف بترسن مقتل الخليفة عثمان بانه حدث مهم جدا وكان بداية لعهد جديد في التاريخ الإ ِسلامي،وعبر عنه بوصفه (فتنة) لم تقتصر آثارها على حدوث سلسلة النزاعات والصراعات المؤلمة والعنيفة في السنوات التي اعقبت حدوثها وانما ادت الى الانقسام

---

(2) Ibid, P.279.

الدائمي للمجتمع الإ ِسلامي ليتحول فيما بعد الى فرق متشاحنة فيما بينها يصعب المصالحة بينها[569] .

وهذا الانقسام حسب رأي بترسن قد أثير من قبل عناصر كامنة للتوتر تضم اطرافاً متعددة من ((المكيين المحمديين)) ورفاقهم المدنيين ، وطبقة النبلاء القديمة في مكة تحت زعامة الامويين والجماعة العربية البدوية ، وفي حقبة لاحقة الى حد ما ، فان حالة التوتر هذه قد اججها جماعة جديدة مع الإ ِمام علي بن ابي طالب ، الذين وصفهم بترسن بانهم ممثلو مبدأ الشرعية لابن عم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصهره كشخصية مركزية[570] .

وشخص بترسن الاسباب التي ادت الى نشوء الفتنة خلال عهد الخليفة عثمان بقوله:
((ومع ذلك فلدينا ادلة ، خلال عهد عمر (634 – 644) ولا سيما خلال عهد خليفته عثمان ، في تبرعم ونشوء حالة التذمر والاستياء بين تلك القبائل العربية التي قد اسهمت في التوسع بالفتح سواء من حيث النظام العسكري الصارم ام من حيث المنافع والامتيازات الاقتصادية التي حصدتها وكسبتها الارستقراطية الإ ِسلامية الجديدة في الحجاز خلال عهد عثمان ، وقد حصد الامويون من عمليات الفتح ايضا))[571] .

ويقتبس بترسن وجهة نظر المستشرقة فاغليري من خلال احد بحوثها التي ابعدت فيها ان يكون انتخاب الإ ِمام علي قد جاء نتيجة للاعتراف بمبدأ الشرعية ، وانما كان بسعي البدو وبالاخص القبائل العراقية – والانصار من اجل الاستثمار والانتفاع من ملابسات الصراع للرجوع بالمجتمع الإ ِسلامي الى السبل القديمة الاكثر صلاحا وتقوى[572].

ويخلص بترسن الى القول : ((وعلى اية حال فان سلطة علي كخليفة لا يمكن المحافظة عليها الا بالتعاون مع الجماعات التي وقفت وراء قتل عثمان ولذلك فانه واجه مقاومة من المهاجرين المكيين الذين انتفعوا من التوسع))[573] .

---

(569) بترسن ، ايرلنغ ليدوك ، علي ومعاوية في الرواية العربية المبكرة – دراسة في نشاة ونمو الكتابة التاريخية الإ ِسلامية حتى نهاية القرن التاسع الميلادي ، ترجمة وتقديم وتعليق آ.د.عبد الجبار ناجي، مسودة كتاب تحت الطبع ، (بغداد – 2006) ، ص39 .

(570) بترسن ، علي ومعاوية في الرواية المبكرة ، ص39 .

(571) علي ومعاوية ، ص40 .

(572) ينظر، علي ومعاوية ، ص40 .

(573) علي ومعاوية ، ص40 .

وكان على الإ ِمام علي ان يواجه تمرد طلحة والزبير (ومن لف لفهما من اتباع عائشة)، اذا كانت مطالبيهما الغامضة الى حد ما للاصلاح – في نظر بترسن – معبرة عن رفضهما لانتخاب الإ ِمام علي ، ومهما يكن ، فانهما لم يتمكنا من تحقيق رغبتهما في تلك الظروف الصعبة ، وقد تم ((قمع)) تمردهما في معركة الجمل[574] .

ويرى بترسن ان رد الفعل الاموي القوي برئاسة معاوية ضد الإ ِمام علي للاخذ بثأر الخليفة المقتول ، كان الاكثر طبيعة والاكثر اهمية انطلاقا من صلة القرابة التي بينهما، ولان الإ ِمام علي يعد في جميع الروايات على انه له ضلع بعملية القتل كونه قد مال (في الواقع) الى جماعة القائمين بعملية الاغتيال ، وعلى هذا الاساس ينبغي ان يتعرض للشبهة[575] .

ومن جانب اخر يوضح بترسن وجهة نظر الإ ِمام علي وانصاره الذين كذّبوا ورفضوا الفكرة التي يستند عليها معاوية باتخاذ القرآن دليلا للاخذ بالثأر ، ويرون ان احداث ((الاستبدادية لعثمان)) قد اعطت الفرصة للقتل عمدا ، ولهذا ينظر الى معاوية على انه متمرد ضد السلطة الدينية الشرعية ، فمن الواجب واستنادا الى القرآن مقاتلته حتى يرجع الى طاعة الله[576] .

لقد وضح بترسن احداث معركة صفين ولجوء معاوية وعمرو بن العاص الى التحكيم، وكيف ان الإ ِمام عليا قد اجبر على ذلك ، مما ادى الى الانقسام في صفوف جيشه وظهور الخوارج الذين عدوا الاتفاق بين الطرفين خروجا عن وظيفة الخليفة الدينية ولا ينسجم مع تضحياتهم في القتال ضد تمرد معاوية غير الشرعي ، وانهم لم يعترفوا الا بحكم الله في الصراع[577] .

لقد تعرض الإ ِمام علي الى اتهام الخوارج له بالكفر على اثر اتفاقية صفين مما ادى الى تصادم الطرفين في معركة النهروان بالقرب من الكوفة في تموز من عام 658م التي اندحر فيها الخوارج ، ولكن السنتين الاخيرتين من خلافة الإ ِمام علي قد اتخذت شكلا من اشكال الانحلال المتصاعد – والكلام لبترسن – الى ان وقع ضحية لاغتيال خارجي في شهر كانون الثاني 661م[578] .

---

(574) علي ومعاوية ، ص 40 – 41 .

(575) بترسن ، على ومعاوية ، ص41 .

(576) علي ومعاوية ، ص41 .

(577) علي ومعاوية ، ص 41 – 42 .

(578) علي ومعاوية ، ص 42 – 43 .

ويقيم[579] بترسن نتائج الحرب الاهلية التي حدثت في الصراعات التي اعقبت مقتل الخليفة عثمان وفي اثناء خلافة الإ ِمام علي (عليه السلام) بقوله :

((في هذه الحرب الاهلية فان المبادئ الاساسية للاسلام قد تصادمت وتضاربت في صراع غير قابل للمصالحة ، وعلينا ان نتذكر بان حر ب علي الدفاعية كانت ترمي الى (الابقاء على العقيدة والتزامه بان يتحمل القيادة الصحيحة وصولاً الى النصر[580]) وان هذا الالتزام او التعهد قد ارتكز عليه بشكل طبيعي وذلك لانه كان عارفاً للدين ، وهي مسؤولية دينية انعم بها الله علي بصفته الإ ِمام . ومن الجانب الاخر فقد ظهر ان موقفه من الفتنة قد اثر في حكمه المتعاصر لاعتباره ولمقامه الديني الى درجة متميزة . فان مجرد الشك باحتمال تورطه او اشتراكه في مقتل الخليفة (ان كان هذا مظلوماً)يبدو انه قد اقنع او حث عدداً من صحابة محمد البارزين (من بينهم سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر) على الامتناع عن الاعتراف به وفضلوا البقاء على الحياد ، مشابهة بدوره في اراقة دماء زملائه المؤمنين في معركة الجمل وصفين والنهروان فان ذلك قد اثار شكاً مستفحلاً بخصوص دينه وعقيدته ، وفيما يخص الخوارج فانه قد خسر دينه بسبب قبوله التحكيم، وان حكميه ايضاً قد اعتبرا موقفه منالفتنة موقفاً توفيقياً من الناحية الدينية الامر الذي يجرده من الاهلية في الخلافة))[581].

ويحدد بترسن اسباب رجحان كفة الامويين ، ومن بينها ((تقويض دين علي)) ، وكذلك في خصال معاوية الشخصية،اذ يصفه بقوله:

((وفي هذه الحالة فاننا نجد ايضاً عدم وجود أي اساس للفكرة بانه [أي معاوية] طمع صراحة بالخلافة حتى فترة متأخرة جداً ، ومن المحتمل انه ظل كذلك الى ان اعتبر الحكمان دين علي في محل تساؤل))[582].

ويصف الاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي استنتاج بترسن هذا بانه غير صحيح، لان الإ ِمام علياً لم يعرض نفسه للشبهة ولكن تسرع اتباعه وعدم الرويّة في اختيار الحَكم الاوفق

---

(579) اعتمد بترسن في تقييمه لنتائج الحروب التي حدثت بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وفي اثناء خلافة الإ ِمام علي (عليه السلام) ، على وجهات نظر عدد من المؤرخين العرب والغربيين مضيفا اليها ما يعتقده هو بهذا الشأن ، ولغرض معرفة المصادر والمراجع التي اعتمدها في ذلك ، ينظر الهوامش التي اعتمدها بترسن في اسفل صفحات بحثه التي اشرنا اليها فيما يتعلق بهذه الفقرة.

(580) علي ومعاوية ، ص43 -44 .

(581) علي ومعاوية ، ص43 – 44.

(582) علي ومعاوية ، ص44.

، من جانب ، ومن جانب اخر ان ابن عباس او الاشتر كما رأى الإ ِمام ، السبب في جعل ابو موسى الاشعري يخضع لخديعة عمرو ، على الرغم من تحذير ابن عباس له،بتخليه عن صاحبه الإ ِمام علي في الحكومة بقصد او بغير قصد ، وينهي الاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي كلامه بوصف موقف ابن عباس بقوله [والله اعلم][583] .

ويخلص بترسن الى الاعتقاد بان النتيجة بتفوق معاوية يعود الى دهائه السياسي والى ترويه الرزين والى تسامحه ، وجميع هذه الطبقات تمثل مفهوم العرب للحلم[584] .

ولم يكن بترسن دقيقا في وصفه وتقييمه لشخصية معاوية بن ابي سفيان بانه كان حليما ومتسلمحا ، لان ما فعله معاوية يعد غدرا وقد جاء ذلك على لسان الإ ِمام علي (عليه السلام) حينما وصفه بانه ليس بادهى منه ولكنه كان يغدر ويفجر.

ولم تقتصر دراسة المستشرق بترسن على الروايات التاريخية وانما اعتمد اضافة لها على القطع الشعرية التي اسماها بالرواية الشعرية ، وحاول من خلالها استنباط بعض المواقف التاريخية التي توضح الاخفاق او النصر والمدح اوالذم والمكر او الوفاء في الحرب التي دارت بينالإ ِمام علي (عليه السلام) ومعاوية او في مسألة التحكيم .

على سبيل المثال وفي مفاوضات التحكيم يذكر بترسن ابيات شعر[585] قالها الشاعر الاسود بن هيثم في وصف موقف ابو موسى الاشعري ، جاء فيها:

لقد تداركت الوفود باذرح وفي اشعري لا يحل له غدر
ادى امانته ووفي نذره عنه، واصبح فيهم غادراً عمرو
ياعمرو ان تدع القضية تعرف ذل الحياة وينزع النصر
ترك القرآن مما تاول آية وارتاب اذ جعلت له مصر

فيفسر بترسن قول الشاعر بان ابا موسى لا يعد مسألة التحكيم فشلاًاو اخفاقاً،وانما الذي اخفق هو عمرو فقد تخلى عن الحكم وسوف يحرم عون السماء وانه حاد عن القرآن وانحرف وفضّل الحصول على امتياز عندما وعد بالحصول على ولاية مصر[586].

ويوضح بترسن معنى هذه الابيات بقوله :

---

(583) عبد الجبار ناجي ، هامش في ص44 في أثناء رده على استنتاج بترسن .

(584) علي ومعاوية ، ص44 ، 45 .

(585) هذه الابيات الشعرية نقلها بترسن عن ، ياقوت الحمودي، شهاب الدين ابو عبد الله (ت626هـ) ، معجم البلدان ، تحقيق مزيد الجندي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ـ د. ت) ، 158/1 .

(586) علي ومعاوية ، ص104 – 105 .

((ان وجهة النظر هذه حول اجتماع اذرح في الواقع تنسجم تماماً مع الموجودات النفسية التي عبرت عنه الرواية النثرية الكوفية للجيل اللاحق . وانكار عمرو للعقيدة او تبرأ عمرو من العقيدة امام الوعد باعطائه مصر وهو امر رأيناه بالفعل ، وقد تم التشديد عليه ايضاً،...وبكلمة اخرى لدينا دليل مضاف آخر بان الرواية العراقية في مرحلة مبكرة جعلت من عمرو بن العاص المحرك الاول والاساس في التمرد ضد حكم علي المقبول من الله))[587].

ويعقب الاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي على وجهة نظر بترسن ، بالقول:

((...ان البروفسور بترسن قد نجح الى درجة كبيرة في تلخيص معنى الابيات نثراً ومن اللاحية التارخية ومع صعوبة الترجمة فانه استعان كثيراً بما ترجمه كيتاني لهذه الابيات . غير ان الابيات الشعرية توحي بان هناك رأياً غير الذي رآه البروفسور بترسن))[588].

ان خلاصة ما ذهب اليه المستشرقون الذين كتبوا عن معركة صفين يتمثل بتركيزهم على نقطتين اساستين،الاولى،ان هدف معاوية من هذه الحرب كان هو المطالبة بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، والثانية ، ان ما جرى في عملية التحكيم هو خدعة قد حاك خيوطها عمرو بن العاص ووقع في شباكها ابو موسى الاشعري بعد ان كان النصر من جيش الإِمام علي (عليه السلام) قاب قوسين او ادنى .

فيما يتعلق بالنقطة الاولى فقد ورد في بعض مصادرنا ومراجعنا التاريخية عكس ما ادعاه معاوية،اذ كان نفسه راغباً في التخلص من الخليفة عثمان.

لقد ذكر البلاذري انه عندما طلب الخليفة عثمان اثناء الحصار الذي فرض عليه معونة معاوية ، فبعث اليه يزيد بن اسد القسري وقال له:

اذا اتيت ذا خُشُب[589] فاقم بها ولاتتجاوزها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فاقام بذي خُشُب حتى قتل عثمان ، فاستقدمه حينئذ معاوية فعاد الى الشام بالجيش الذي ارسله معه ، وانما صنع معاوية ذلك ليقتل عثمان فيدعوا الى نفسه))[590].

ويذكر الطبري في تاريخه: ((فلما رأى عثمان ما قد نزل به وما قد انبعث عليه من الناس كتب الى معاوية بن ابي سفيان وهو بالشام: اما بعد فان اهل المدينة كفروا واخلفوا الطاعة

---

(587) علي ومعاوية ، ص105 .

(588) عبد الجبار ناجي ، في هامشه للتعليق على ما ورد في كلام بترسن بشأن ابيات شعر الاسود بن الهيثم ، ص104 .

(589) ذي خُشُب ، خُشُب ، وادي على مسيرة ليلة من المدينة ، ينظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، 426/2 .

(590) البلاذري ، انساب الاشراف . 215/2 .

، ونكثوا البيعة ، فابعث اليّ من قبلك من مقاتلة اهل الشام على كل صعب وذلول. فلما جاء معاوية الكتاب تربص به...))[591] .

ويحلل الدكتور ابراهيم بيضون موقف معاوية بانه كان استغلالاً للظروف ووجد فيها الفرصة النادرة لتحقيق اهدافه التي لن تقف عند حدود ولاية الشام التي طال حكمه لها، وانما كانت الخلافة ، ولا يبدو ذلك غامضاً لمن يمعن النظر في سلوك معاوية خلال المحنة الى حاقت بعثمان ، دافعاً بالامور الى التعقيد،ومن ثم غير مبال بما يتهدد قريبه الخليفة من الخطر[592] .

اما ما يتعلق بالنقطة الثانية التي اشار المستشرقون اليها فهي ، ان ما جرى في تحكيم صفين على انه خدعة ، فقد عارض بعض مؤرخينا القدامى والمحدثين هذه الفكرة ، وعدوا ما تعرض له ابو موسى الاشعري على انه ليس بخدعة .

لقد وصف ابن العربي (ت 543هـ) خدعة التحكيم على انها رواية ركيكة ، واستبعد ان يكون ابو موسى ضعيف الرآي ، بل وصفه على انه كان رجلا تقياً ، فقيها وعالماً[593].

ويعزز هذا القول ما ذكره الدكتور طه حسين من انه لو كان ابو موسى مغفلاً لما اختاره الخليفة عمرو بن الخطاب لولاية احد الامصار،ولما اختاره اهل الكوفة ليكون والياً عليهم اثناء الفتنة التي ادت الى مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)[594].

ويبدي الدكتور نايف معروف رأيه بهذا الخصوص ، فيذكر ان شهود التحكيم من كلا الطرفين كانوا من اكابر اقوامهم ، فليس ممكناً ان ينطلي عليهم هذا الخداع الفاضح، ويستدل معروف بما اورده ابن مزاحم المنقري والطبري وسواهما من تحذير ابن عباس لابي موسى الاشعري قبيل اعلان قرار التحكيم، اذ قال له: ((ويحك اني لا اظنه قد خدعك ، ان كنتما اتفقتما على امر فقدمه ، فيتكلم بذلك الامر قبلك ، ثم تكلم انت بعده ، فان عمرو رجل غدار))[595].

---

(591) تاريخ ، 368/4 .

(592)بيضون ، الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ ، ص73 .

(593) ابو بكر (ت 453هـ) ، العواصم من القواسم في تحقيق مواقف الصحابة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ،تحقيق محب الدين الخطيب ، المكتبة العلمية ، (بيروت - 1406هـ /1986م)، ص174 .

(594) الفتنة الكبرى ، 101/2 ،102 .

(595) ابن مزاحم المنقري ، نصر ، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة ، ط3 (مصر - 1414هـ/ 1994م) ، ص84 – 85، الطبري ، تاريخ ، 113/3؛ ينظر .

بعد ذلك يخلص الدكتور معروف الى القول: (0 فهل بعد كل هذا يجوز ان تنطلي حيلة عمرو بن العاص على ابي موسى؟))[596] .

ورغم صحة الاستنباط الذي توصل اليه الدكتور معروف ، الا ان هذه الرواية لا ترقى الى درجة الصحة ، وكل ما اراده الوضاعون منها هو ان يثبتوا صفة الغدر في شخصية عمرو بن العاص[597] .

ويذهب الدكتور حسن ابراهيم حسن الى ان المؤرخين يظلمون ابا موسى حين يرمونه بالغفلة وقصور الراي ، لانه قد تم اختياره عن اهل العراق ونصح لهم ولكن الصدفة هي التي فعلت فعلتها بان خالف رأيه رأي الإِمام علي (عليه السلام) وبني هاشم ، ويضيف الدكتور حسن ان رأي ابو موسى لم ينفرد به لوحده وانما كان رأي طائفة كبيرة من معاصريه ، وفوق هذا وذاك يعتقد ان ما قام به عمرو بن العاص من مبايعة معاوية لم يكن كافيا وحده لتثبيت صاحبه،بل ان هناك امورا جديرة بالذكر قد دفعته لذلك واهمها اضطراب جذ الإِمام علي (عليه السلام) الذي اراد تجديد الحرب على معاوية بعد موقعة صفين وانشقاق الخوارج عليه وكذلك اتحاد جند معاوية والتفافهم حوله وتفانيهم في نصرته ، اذ عمل منذ توليه بلاد الشام في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه) على الاستئثار بخيراتها وجلب حوله طائفة من الانصار بالعطايا والمنح[598] .

ويجزم المؤرخ هشام جعيط القول :((من الخطأ التام ان نرى في ذلك خدعة شيطانية لتجنب الهزيمة ... فلم يكن معاوية مغلوبا ، ولا كان على طريق الانهزام ، انما كان يستعمل فقط اللغة الوحيدة الممكن فهمها ، لغة الرمز ، كما انه يلتجئ الى المرجع المشترك الوحيد ، مرجع القرآن))[599] .

ويعتقد الباحث ان ما آلت اليه نتائج التحكيم فان لم يكن خدعة فهو امر قد مهد له ابو موسى نتيجة لاتفاقات سرية قد جرت بينه وبين معاوية او محاولة منه للانتقام من الإِمام

---

(596) معروف ، ناجي ، الخوارج في العصر الاموي ، نشأتهم وتاريخهم ، عقائدهم ، ادبهم ، دار الطليعة، ط4 (بيروت - 1414هـ / 1994م) ، ص100 .

(597) ابو الشباب ، احمد عوض (الدكتور) ، الخوارج تاريخهم ، فرقهم ، عقائدهم ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1426هـ/2005م) ، ص100.

(598) تاريخ الإِسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، دار الجيل، ط15 (بيروت - 1422هـ/2000م) ، ج306/1 .

(599) الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإِسلام المبكر ، ترجمة خليل احمد خليل ، دار الطليعة ، (بيروت ، د.ت) ، ص203.

علي (عليه السلام) الذي رفض تقليده ولاية الكوفة ابان فتنة الخليفة عثمان وهذا ما يفسر موقفه المحايد في معركة الجمل وعدم وقوفه الى جانب الإِمام علي (عليه السلام)، يضاف الى هذا وذاك ما كان ياملة ابو موسى في وصول نسيبه عبد الله بن عمر الى الخلافة، ليكون اكثر قرابة من مركز السلطة .

((المبحث الثالث))

حرب الإِمام علي ضد المارقين (الخوارج) في معركة النهروان

اخذت قضية الخوارج في دراسات المستشرقين حيزا يستحق الوقوف عنده والتدقيق فيه، فقد تعامل المستشرقون الذين تناولوا هذا الحدث التاريخي بشكل يختلف عما جرى في تعاملهم مع حرب الإِمام علي (عليه السلام) ضد الناكثين والقاسطين ، والسبب في ذلك هو ان هذه القضية تتضمن جوانبا فكرية غالبا ما يجد الباحث فيها فرصة لابداء رأيه .

سنحاول في هذا المبحث بيان الجوانب الفكرية التي ركز المستشرقون عليها في دراساتهم لهذه الحرب اكثر من الخوض في تفاصيلها التي يمكن الحصول عليها بالرجوع في ذلك الى مصادرنا التاريخية .

من بين المستشرقين الذي اشاروا الى الخوارج بشكل عابر ودون التفصيل هو المستشرق (بودلي) ، الذي ذكر بان بعض الخوارج المتعصبين نظروا الى الانشقاق الذي حدث بين المسلمين على انه نقيض كل مثل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) العليا التي جاء بها ، ويقود بالنهاية الى انهيار الإِسلام ، ورأوا ان المسؤولين عن ذلك هم الإِمام علي (عليه السلام) ومعاوية وعمرو بن العاص ، لذلك تعاهدوا على ان يخلصوا بلاد العرب منهم ، ولكن فشلت محاولتان ، فجرح معاوية بجرح بسيط ، وقتل شخص كان يؤم المصلين في

مصر بدلا من عمرو بن العاص ، ولم تنل السيوف التي قررت اغتيال الخلفاء كما يقول بودلي ، الا علي ، فقتل في العراق بمدينة الكوفة .

وقد شيد له قبرا فخما ومسجدا هائلا ، ونشات حوله مدينة جميلة تعرف بـ ((مشهد علي))، وهي اليوم احدى اماكن الشيعة الرئيسة المقدسة[600] .

ولم يكن بودلي دقيقا بقوله :((ولم تنل السيوف التي قررت اغتيال الخلفاء الا علي))،لانه جعل كل من معاوية وعمرو بن العاص في عداد الخلفاء اسوة بالإِمام علي (عليه السلام) الذي بويع من المسلمين وامام الملأ .

ويذكر المستشرق (برس سايكس) ان الإِمام عليا (عليه السلام) لم يكن محظوظا في حياته ، فقد اجبر على التحكيم في (صفين) ، وموافقته على هذا الامر دعت باثنتي عشر الفا من جنوده الى الانشقاق عن جيشه ، معتقدين بانمصلحة الإِسلام العليا سُلّمت الى محكمين كفرة واقسموا ان لا يخدموا خليفة ابدا واصروا على مبدأ (لا حكم الا لله وحده)،لكن الإِمام علي (عليه السلام) تعامل معهم بصبر كبير ، بعد ذلك قام بتأجيل الحرب على معاوية وقرر مواجهة الخوارج الذين قاموا بارتكاب تجاوزات مريعة في حق المسلمين ، وبعد مداولات طويلة تفرق الكثير منهم نابذين القتال،الا ان (1800) الفا وثمنمائة منهم رفضوا كل اساليب التفاوض والحجج وقرروا القتال الى اخر قطرة من دمائهم[601] .

واكتفى (برسي سايكس) بهذه السطور في حديثه عن الخوارج ولم يذكر أي شيء عن معركة النهروان التي قُضي فيها عليهم باستثناء القلة الذين فروا .

ويحلل المستشرق (واط) السبب الحقيقي في رايه الذي دفع الخوارج للانشقاق عن الإِمام علي (عليه السلام) ، على الرغم من وعوده لهم باعطائهم بعض الامتيازات ، فيقول بصدد ذلك :

((رغم تقديرنا لتمرد الخوارج فان نقطتين فقط تستحق الملاحظة ، النقطة الاولى ، هي ان هؤلاء الخوارج كانوا معارضين لعلي معارضتهم لعثمان والامويين ، وهذا يميل او يدعم الفرضية بان استيائهم كان على البناء الاجتماعي وليس بالضرورة ضد شخص معين او عائلة حاكمة معينة ، وصحيح ان علياً كان من غير الطبقة الارستقراطية في مكة....، وصحيح ان علياً كان له اصحاب كانت مواقفهم (على الاقل تغيرت بعض المواقف فيما

---

(600) حياة محمد ، ص426 .

(1) Percy Sykes , History of percia , P.533,534.

بعد) مضادة تماماً لمواقف الخوارج او الخارجين ومع ذلك بقي عداء الخوارج لعلي دليلاً على استيائهم من النظام ككل))[602].

اما النقطة الثانية التي اشار اليها واط في سبب تمرد الخوارج فهي:

(ان في هذه الثورات او التمردات لمجموعة قليلة او عصبة قليلة من الرجال ، اعاد الخوارج شيئاً جديداً مثل العشائرية او القبلية والتي كانت سائدة في حياتهم بوصفهم بدو. ولعل هذا ما غير مسارهم بلا ادراك منهم)[603].

ويبدو ان تحليل (واط) كان مقنعاً , لان الطبقة الارستقراطية التي سيطرت على مجريات الحكم واستئثارها بالسلطة والاموال في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، وشعور اخرين بالحرمان قد ولد في نفوسهم كرهاً للسلطة وانسحب هذا الكره حتى على الإِمام علي (عليه السلام) رغم معرفتهم بتقواه وزهده.

ويعتقد المستشرق (ترتون) ان الخوارج يستحقون وقفة خاصة لانهم حسب اعتقاده احدى الطوائف الذين لازالوا لحد الان موجودين في عمان وافريقيا، وان موقفهم من بقية المسلمين يتمثل في كرههم لهم ، ووصف, (ترتون) موقف الخوارج من بعض الشخصيات بقوله:

((فهم يعتقدون بان عثماناً استحق القتل ، وادانوا بعض الرجال العظام من المسلمين الاوائل ، وادانوا علياً لانه لم يتورع عن قتال المتمردين قبل موته وقتل ما يقارب اربعة الاف ورع او متق (من الخوارج) ، ولعنوا طلحة والزبير لانهم نقضوا العهود الغليظة لعلي ومن ثم قاتلوا جنده، وادانوا الحسن والحسين لانهما ساندا والدهم المخطئ ، ولعنوا معاوية لانه قاتل ضد علي ورتب الاحتكام الى القرآن وسفك دماء المسلمين ولعنوا ابا موسى الاشعري وعمرو لانهم من رتب الى عملية الاحتكام ، ولعنوا يزيداً لانه نصب نفسه خليفة وقتل الحسين سبط النبي))[604].

ويتناول المستشرق (ولاستون) قضية الخوارج بتفصيل اكثر نسبياً من سابقيه، فقد وضح ان خدعة التحكيم في معركة (صفين) قد اغضبت مجموعة من انصار الإِمام علي غضباً شديدا،ونمت مجموعة سميت بالخوارج انعزلت عن معسكر الإِمام علي (عليه السلام) وكونت لها معسكراً قرب بغداد ، وبدأ جمع الساخطين بالازدياد الى ان وصل الى خمسة

---

(2) Wat , Islam and the Integration of society , P ,97 .

(3) Ibid , P. 97 .

(1) A.S.Tritton , Aslam , Belef and Practices ,P. 69 .

وعشرين الفاً ويذكر ولاستون انه كان من المستحيل على الإِمام علي (عليه السلام) ان يترك مثل هذا الحشد المرعب من الساخطين كتهديد قائم لسلطته وقوته، ولم يكن هناك امامه خيارٌ الا ان يجبرهم على الخضوع ، فتقدم بجيش كبير عليهم ، وقبل ان يبدأ بمهاجمتهم ، غرس راية في الارض[605] ونادى عليهم بصوت مدو من ياتي تحت هذه الراية سوف يجني الريع ، واما من يريد ان يرجع الى الكوفة فله الامان ، ويضيف ولاستون القول ، وفعلاً نجحت ((الخدعة)) ولم يبق من المتردين سوى اربعة الاف رجل هاجموا جيش الإِمام علي (عليه السلام) فهزمهم وقتلهم جميعاً عدا تسعة افراد ، وفي هذه الموقعة التي حدث في عام (38هـ /658م) توحد العرب جميعهم تحت امرة الإِمام علي (عليه السلام) عدا سوريا ولمدة تزيد على سنتين[606]، وفي هذه الظروف اجتمع مجموعة من الخوارج في مكة ليتدارسوا حال امتهم ووطنهم وتوصلوا الى ان مرض الامة يكمن في الإِمام علي (عليه السلام) ومعاوية وعمرو بن العاص، واقسموا ان يخلصوا من مثل هذا الخلاف ويعيدوا للامة الإِسلامية السلام والوحدة وليس هناك أي طريق غير هذا ، فتوزعوا فذهب الاول الى الكوفة والثاني الى دمشق والثالث الى مصر ، فنجا معاوية بعد اصابته بجرح خفيف وكذلك عمرو بن العاص بعد ان قتل نائبه في الصلاة ، وتمكن عبد الرحمن بن ملجم من تحقيق هدفه بقتل الإِمام علي (عليه السلام)[607].

ولم يوفق ولاستون في وصفه لكلام الإِمام علي (عليه السلام) الذي وجهه للخوارج على انه خدعة ، فلو تحرينا نص الحديث لوجدنا انه ينطوي على نصائح لهم بعدم الانزلاق في معصية الله.

فقد كلمهم الإِمام علي (عليه السلام) بكلام طويل تضمن مواعظاً وتوضيحاً للحقائق ، منه:

((الم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ، ومكر وخديعة : اخواننا واهل دعوتنا، استقالونا واستراحوا الى كتاب الله سبحانه، فالرآي القبول منهم والتنفيس عنهم؟ فقلت لكم:

---

(605)الراية التي ذكرها ولاستون قد اعطاها الإِمام علي (عليه السلام) الى ابي ايوب الانصاري ليقدمها راية أمان للخوارج ، فقال لهم:

((من جاء تحت هذه الراية فهو آمن ، ومن لم يقتل ولم يستعرض ، ومن انصرف منكم الى الكوفة او الى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن لا حاجة لنا بعد ان نصيب قتلة اخواننا منكم في سفك الدماء)) ، ينظر ، ابن الاثير الكامل ، مجلد 221/3 .

(1) Wollaston , Half Hours ,P. 105 .

(2) Ibid ,P.105 -106 .

هذا امر ظاهره ايمان وباطنه عدوان ، واوله رحمة ، وآخره ندامة ، فاقيموا على شأنكم ، والزموا طريقتكم ، وعضوا على الجهاد بنواجذكم ، ولا تلتفتوا الى ناعق نعق: ان اجيب اضل ، وان ترك ذل...))[608].

ويصف المستشرق (شبولر) الخوارج انهم ذوو عقول تشبه بعض متطرفي اتباع الإ ِمام علي (عليه السلام) من الشيعة ، وكانوا يشكلون العمود الفقري لجيشه ولكنهم عندما رأوا ـ وهم الذين اجبروه على القبول بالتحكيم ـ اذعانه الى تحكيم البشر الذي استفعل به ولم يترك الحكم الى الله ، ويعنون بذلك (سيفه وسيوفهم)[609] بدأ الانشقاق في حزب الإ ِمام علي (عليه السلام)، وترك قسم من الجيش معسكره وسموا بالخوارج، الذين رفعوا شعار الخليفة المتقي دون التطرق الى القومية او النسب الاجتماعي ، واختاروا احدهم رئيساً لهم،وهذا الحزب الذي يمثل النقيض للارستقراطية العربية ، بدأت اعداده تتزايد وكان مدعاة للقلاقل والاضطرابات ، وهدد تنامي الإ ِسلام وسلطة الدولة،فاستطاع الإ ِمام علي (عليه السلام) القضاء عليهم في معركة النهروان بتاريخ 17 تموز عام 658م (38هـ)، ولكنه لم يستطيع ان يستأصل شأفتهم[610] .

اما المستشرق (نولدكه) فيبدو انه كان معجبا بافكار الخوارج ، فاشار الى ان الصراع الذي حدث بين الإ ِمام علي (عليه السلام) ومعاوية ادى الى الفوضى ونشأ حزب راديكالي متطرف يؤمن بحق الجميع بالقيادة على ان يتم اختيار الافضل من بينهم ، هؤلاء الاشخاص هم الذين يسمون بالخوارج ، وحسب رأي (نولدكه) يحملون في الحقيقة جوهر فكرة الإ ِسلام وقد طوروها الى اقصى حد ممكن وكانت لهم اراءً سليمة في الاحقية بـ (الخلافة) ، الا ان هكذا مبادئ كان من المستحيل ان تكون دولة خصوصا في الشرق ، وكانوا من التطرف بمكان بحيث انهم نشروا افكارهم بعنف وحشي وشجاعة فائقة وحافظوا على الولاء للقناعة بشكل لافت للنظر ، الا انهم سببوا معاناة كثيرة من دون ان ينتجوا شيئاً[611] .

ويضيف نولدكة القول ، ان المجادلة حول الخلافة لم تجد اية ارضية صلبة لكنها استمرت لتمزيق عالم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والتاريخ غني بهذا الموضوع لكنه ملون حسب اراء الفقهاء[612] .

---

(608) نهج البلاغة ، الخطبة /122 .

(4) Spuler , Geschichte Der IslamiscHen Lander , P. 37 -38 .

(1) Spuler , Geschichte Der Islamisc Lander ,P.38.

(2) Noldeke, Sketches from Eastern History , P.80.

(3) Ibid ,P. 80.

وتصف المستشرقة (فاغليري) موقف الخوارج انهم كانوا يرون ضرورة ان يستمر الإ ِمام علي (عليه السلام) بمقاتلة معاوية ، حيث لم تحدث أي حقيقة لتغيير مجرى القتال،وخلال عودة الإ ِمام علي (عليه السلام) الى الكوفة قام الافراد الذين نطقوا بعبارة (لا حكم الا لله ، ولهذا السبب يدعون بالمحكمة –) باقناع العديد من انصار الإ ِمام علي (عليه السلام) ان التحكيم كان خطيئة تجاه الله ، عن طريق استبدال حكم الله بحكم الرجال،وبعد قيام الخليفة بزيارة شخصية لهم استطاع ان يصالح بين المنشقين عن طريق تقديم بعض التنازلات لهم ، فاعلن مجموعة مكونة من بضعة الاف توبتها في حروراء قرب الكوفة وهم الذين دعوا بالحروريين ، وعلى اية حال والكلام لـ (فاغليري) وبعد عودة الإ ِمام علي (عليه السلام) الى الكوفة ، انكر من على المنبر التقارير التي تزعم ان لديه النية في خرق اتفاقية (صفين) ، عندما علم انه ارسل ابا موسى للقاء عمرو ، فقامت مجموعة من الخوارج يتراوح عددها ما بين (ثلاثة الاف3000) او (اربعة الاف4000)، بمغادرة الكوفة بالخفاء والتحق بهم بضعة مئات من البصرة ، وقد اختار هؤلاء الخوارج نقطة التجمع لهم وهي النهروان[613] .ولم توضح فاغليري احداث هذه المعركة ونتائجها .

ويذكر المستشرق (دونلدسن) جانبا من معركة (النهروان) يوضح فيه بان جماعة الخوارج انشقوا عن الإ ِمام علي (عليه السلام) وقالوا لا حكم الا لله وعسكروا في حروراء وبذلك سموا بالحروريين فبعث اليهم عبد الله بن عباس فحاججهم فرجع منهم قوم كثيرون وثبت اخرون على رأيهم وساروا الى النهروان وقتلوا في طريقهم عبد الله بن خباب،فسار اليهم الإ ِمام علي (عليه السلام) فقتلهم بالنهروان وذلك سنة ثمان وثلاثين ثم انصرف الى الكوفة[614] .

ويبدي (دونلدسن) رأيه في هذا الموضوع بقوله :

((ان عليا الذي كانوا ياملون ان يكون المطالب بحقهم والمدعي عنهم ظهر انه عدوهم الالد واصبح امر المقاومة المسلحة امرا غير ممكن فقد كان انكسارهم حاسما ، ولكنهم كانوا يعرفون من هو المسؤول عن قتل ابائهم واخوتهم فلما نظروا ماتم من امرالدولة الإ ِسلامية التي مزقتها الحروب الداخلية اخذوا ينظرون بعين الحقد الى الطموح الشخصي للرجال الذين اصبحوا يعتقدون انهم هم العثرة في سبيل الوحدة الوطنية[615] .

---

(1) Vaglieri , the Encyclopedia of Aslam , P.384.

(614) عقيدة الشيعة ، ص54 .

(615) عقيدة ، ص54 ،55.

ويتناول المستشرق (فلهوزن) تمرد الخوارج بشيء من التفصيل ، فيذكر انهم وفي اثناء عودتهم من معركةصفين متوجهين الى العراق ، لام بعضهم البعض ولاموا الإ ِمام عليا (عليه السلام) ايضا ، وان كان لم يوقف المعركة الا اضطرارا . فلما دخل الكوفة خرج عليه اثنتا عشر الف رجل ، واتخذوا من (حروراء) مقرا لتجمعهم ، فسُمّوا بالخوارج او الحرورية ، وكانوا محتجين على التحكيم وقالوا : ((لا حكم الا لله) ، اما رؤسائهم فهم شبث ابن ربعي الرياحي وعبد الله بن الكواء اليشكري ويزيد بن قيس الارحبي ، وهم اكبر رجال تميم وبكر وهمدان ، واستطاع الإ ِمام علي (عليه السلام) ان يقنع بعض هؤلاء بالعودة الى جانبه ، وبذلك عاد الحرورية الى الكوفةلينضموا الى جيش الإ ِمام علي (عليه السلام) ، وزعم هؤلاء انه وعدهم بالعودة لمقاتلة معاوية بن ابي سفيان بالسرعة الممكنة،وعندما لم يتم ذلك ، عدوه خرقا للاتفاق فخرجوا عليه من جديد وعينوا منهم خليفة عليهم استقلوا به عن الإ ِمام علي (عليه السلام) ، وهو عبد الله بن وهب الراسبي الازدي ، وبايعوه في اليوم العاشر من شوال عام (37هـ) المصادف 21 اذار سنة 658م ، ثم خرجوا من الكوفة فرادى مستخفين واجتمعوا في النهروان على جانب نهر دجلة ، وعرضوا امرهم على خوارج البصرة الذين يصل عددهم الى خمسمائة رجل لينضموا اليهم[616] .

ويواصلفلهوزن حديثه فيذكر ان الإ ِمام عليا (عليه السلام) قد جمع جيشه في معسكر قرب النخيلة ، ودعا الخوارج للانضمام اليه ، لكنهم رفضوا ذلك وطالبوه ان يشهد على نفسه بالكفر لقبوله التحكيم ، ويتوب الى ربه ، فحاول ان يتركهم ويمضي لقتال اهل الشام،ولكن جيشه الح عليه ان يقاتل الخوارج ، لان خوارج البصرة وفي اثناء توجههم الى النهروان ، قتلوا عبد الله بن خباب بن الأرَت ، ابن احد السابقين الاولين من الصحابة وبقروا بطن زوجته ، وقتلوا اخرين واعترضوا الناس ، فاضطر الإ ِمام علي ان يستجب لرغبة اتباعه ، بعد ان حاول اقناع الخوارج بان يدفعوا اليه القتلة[617] ويبين لهم بانه واياهم في الحقيقة غير مختلفين ، وانما يريد ان يحمل السيف حكما بينه وبين اهل الشام اعدائه واعدائهم ، فاجابوه :

---

(616) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص 78 ، 79 .

(617) تاريخ الدولة العربية ، ص 79 .

((لو بايعناكم اليوم حكمتم غدا)) ، وكان قصدهم ان الإِمام عليا (عليه السلام) وشيعته سيفعلون ما فعلوه في صفين من قبول التحكيم ، ولم يقبل الخوارج باي شيء وتهيأوا للقتال ، فتنادوا : الرواح الرواح الى الجنة[618] .

وينقل فلهوزن رواية ابي مخنف التي يحدد فيها تاريخ موقعة النهروان في عام 37هـ،ويذكر ايضا ان قادة الخوارج الثلاث الذين اشار اليهم انفا قد تركوا اتباعهم ، ولم يكن الخوارج في الكثرة التي كانوا عليها في حروراء ، ولم يبق منهم سوى اربعة الاف،رجعت طائفة منهم متفرقين ، فنزلت الكوفة ، وقتل الباقون باستثناء ثمانية اشخاص تمكنوا من الهرب[619] .

ويثبت فلهوزن بعد الرجوع الى اليعقوبي وابن الاثير والدنيوري عدم ثقة كلام ابي مخنف فيما يتعلق بتاريخ معركة النهروان ، ويذكر وبالاعتماد على كتاب (انساب) انساب الاشراف للبلاذري بان التاريخ الاكثر دقة هو يوم (9صفر) سنة 38هـ الموافق

(17حزيران658م)[620].

ومما تجدر الاشارة اليه ان فلهوزن قد فصل كثيراً في الحروب التي خاضها الإِمام علي ضد الناكثين والقاسطين والمارقين ، مما دفع الباحث الى اختصار ما ذكره ما امكن اختصاره كون الاحداث التي ذكرها موجوده في مصادرنا التاريخية ، ولكن تقييمنا لما ذكره فلهوزن هو انه كان محللاً اكثر منه ناقلاً للاحداث وقارن بين عدة مصادر في ايراده للحوادث التاريخية.

وخصص المستشرق فلهوزن كتاباً افرده لدراسة احوال الخوارج والاسباب التي دعتهم للخروج على الإِمام علي (عليه السلام)، اذ قال عنهم:

((وقد يرى المرء من العار ان يأخذ الخوارج على علي هذا الموقف لانهم هم الذين دفعوه الى اتخاذه ثم طلبوا من بعده بالنكوص عنه ، وهو امر لم يكن له وهو الحاكم ان

---

(618) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص 80 .

(619) تاريخ الدولة العربية ، ص 80 .

(620) فلهوزن ، تاريخ ، ص86 ؛ وينظر ، البلاذري ، انساب الاشراف ، 255/2 ؛ بينما يذكر اليعقوبي في تاريخه ، 93/2 ، بان معركة النهروان قد حدثت في سنة (39هـ) ، لكن ابن الاثير في كامله ، 242/3، يتفق مع البلاذري في السنة التي حدثت فيها المعركة وهي سنة (38هـ) . ويختلف معه فقط في الشهر ، اذ يذكر بانها حدثت في شهر رمضان .

يفعله فيتنكر لما سبق ان وافق عليه . لكن ذلك لم يكن من الناحية المنطقية تناقضاً ذلك ان علياً ـ ان طوعاً وان كرهاً ـ قد عقد ميثاقاً مع الشيطان (اعني مع معاوية) ولم يشأ نقض هذا الميثاق))[621].

ويصف فلهوزن الخوارج على انهم كانوا حزباً ثورياً صريحاً يعتصم بالتقوى ، وعارض الرأي الذي يقول بانهم نشأوا نتيجة العصبية القبلية وانما كانت نشأتهم اسلامية، وانهم كانوا يجاهدون في سبيل الله وحده سبحانه وتعالى[622]. والاكثر من ذلك فقد رفعهم فلهوزن الى اعلى درجات التقوى ، وانهم وقفوا في صف الدين بكل قوة ، وفي فهمهم لمضمون الدين يختلفون عن سائر الناس ، ويتميزون عن غيرهم بشدتهم في تقديم الدين على أي اعتبار اخر ، فلا دولة على حساب الدين في رأيهم ، وهم لا يحسبون انهم بهذا يمزقون شمل الجماعة ، ويفتخرون بقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، ويرون ان الاقرار بهذا العمل هو بمثابة شهادة ، ويمتحنون كل من يشكون فيه من انصارهم في هذه المسألة امتحاناً عسيراً ، ويستحلون دماء خصومهم المسلمين ، ولم يعد جهادهم ضد الكفار ، بل ضد اهل السنةوالجماعة من عامة المسلمين، اذ كانوا يرون في هؤلاء كفاراً، بل اشد كفراً من اليهود والنصارى والمجوس[623].

ويضيف فلهوزن القول ان مذهب الخوارج مذهب سياسي ،غايته تقرير الامور العامة على وفق اوامر الله ونواهيه ، يبد ان سياستهم ليست موجهة نحو اهداف يمكن تحقيقها، فضلاً عن انها منافية للمدنية[624].

ويبدو موقف فلهوزن من الخوارج اكثر وضوحاً من خلال قوله عنهم :

((فالواقع اذن ان الخوارج ذوو نزعة فردية مغالية من نوع خاص تماماً . بالرغم من ان العلامة المميزة لهم كل التمييز هي الترجمة عن ايمانهم بالافعال وامتشاق السيف في سبيل اقرارها كلما اجتمع اثنان من رأي واحد ، فانهم مع ذلك قد شاركوا في وضع الزندقة النظرية اعني علم الكلام. فقد كانوا يسألون عن مسائل تتجاوز نطاق الموروث من العقائد ويجادلون خصومهم بشأنها ، فلم يتنكروا ابداً لاصلهم وهم القراء . ولاشك في ان الطبقة الاولى من علماء الكلام في الإِسلام قد تاثروا بالخوارج))[625].

---

(621) الخوارج والشيعة ،ص40 .

(622) ينظر، الخوارج والشيعة ، ص41 .

(623) فلهوزن، الخوارج والشيعة، ص42 -43 .

(624) الخوارج والشيعة، ص45 .

(625) الخوارج والشيعة ، ص 46 – 47 .

ولم يغفل المستشرق(ميور) حرب الإِمام علي (عليه السلام) ضد الخوارج ، فيشير الى ان الإِمام عليا (عليه السلام) حاول تجديد الحرب ضد معاوية بعد معركة صفين واجراء التحكيم ، ولكن قبل ذلك كان ينتظره عمل اخرا يجب ان يؤديه قبل التعامل مع عدوه فمنذ انصرافهم من حروراء وبدلا ان يهداوا وينخرطوا في الطاعة والسلام مع الإِمام علي (عليه السلام) ، ازداد الخوارج عدوانية وتمردا ، وكان شعارهم عدم مبايعة احد غير الله الجبار المجيد ، والمبايعة للامام علي (عليه السلام) او معاوية هما اساءة الى الاسم العظيم ، وعبروا عن عقيدتهم تلك بعبارة قصيرة هي (لاحكم الا لله) ، وعبثا جادلهم الإِمام علي (عليه السلام) من ان التحكيم قد اجبروه هم عليه بانفسهم ، ولكنهم اجابوه وقالوا :
((حقا ، لكننا تبرأنا من تلك الزلة ، وعليك انت ان تتبرأ او سنقاتل ضدك وحتى لو قتلتنا فيسرنا ان نلاقي ربنا))[626] .

ويضيف (ميور) ، ان الإِمام عليا (عليه السلام) كان حريصا على كسبهم واصغى الى حديثهم باناة ، وتحلى بالصبر عند التعامل معهم ، واشار الى انهم احرار بدخول المساجد للصلاة ، وسيأخذون حصتهم من الغنائم في حالة دخولهم الحرب الى جانبه ، وان لا يستخدم ضدهم القوة في حالة احجامهم عن المشاركة في أي عمل معلن ، وبدلا من ان يهدي هذا العرض الى اعتدال الخوارج ورجوعهم الى الطريق السوي ، زادهم تشجيعا وقرروا فورا ان يرفعوا (الراية الالهية) ، وكانوا ينظرون الى تدخل سماوي وحتى وان هلكوا فان قضيتهم الصالحة يجب ان تنتصر في النهاية ، وبعد شهرين من التحكيم بدأوا بالاتفاق مع متعاطفين معهم من البصرة وامروهم بمغادرة منازلهم خلسة ، وبلغ عدد المتامرين من البصرة خمسمائة متطرف تمكنوا من الهروب رغم مطاردة عامل البصرة لهم ، والتحقوا بجماعتهم الذين غادروا الكوفة ، واقنعوا احدهم ان يتولى قيادتهم وتجمعوا في النهروان،وبلغعددهم اربعة الاف متطرف ، ولم يدرك الإِمام علي (عليه السلام) المغزى الخطر لهذه الحركة ، وكان يامل منهم الانخراط مع اخوانهم الزاحفين الى قتال جماعة معاوية[627].

ويذكر (ميور) بعد ذلك بان الإِمام عليا (عليه السلام) قد خطب باهل الكوفة وادان بالتحكيم والحكمين بانهما قد جعلا كتاب الله وسنة نبيه خلف ظهورهم ، وحثهم على العودة الى النصر الذي اجبروا على تركه ، وعليهم الاستعداد مجددا للزحف باتجاه سوريا،ثم كتب

---

(4) Muir , the Caliphate , P.287.

(1) Ibid , P.288.

رسالة الى الخياليين (الخوارج) في النهروان دعاهم فيها الى الالتحاق بجيشه الزاحف ضد عدوهم المشترك وعليهم العودة الى زمان صفين حيث كانوا يقاتلون الى جانبه ، لكنهم ردوا عليه برسالة يطلبون منه الاقرار بانه كان مرتدا وعليه التوبة،وعند ذلك فسوف ينظرون في الامر فيما بينهم[628]، ويضيف (ميور) ، ان الإ ِمام عليا (عليه السلام) حاول ان يتركهم وشانهم لحين العودة من قتال معاوية ، وجمع جيشا يقدر بـ (ستين الفا) من البصرة والتحق بهم ثلاثة الاف من مناطق اخرى ، وبهذه القوة الجبارة كان الإ ِمام علي (عليه السلام) مستعدا للزحف الى سوريا ، الا ان هناك انباءً قد وصلته تفيد بان الخوارج قد عاثوا في الارض فسادا خارج مخيمه ، فطلب جيشه منه مقاتلتهم ، ولا يمكن ترك هؤلاء المجرمين خلفهم خوفا ان تبقى بيوتهم عرضة لوحشيتهم، فاقتنع الإ ِمام علي (عليه السلام) بذلك وغير مسار جيشه وعبر دجلة، وتحرك صوب الخوارج ، وعند وصوله قرب النهروان ، ارسل لهم رسولا يطلب منهم تسليم المسؤولين عن الخراب والقتل الذي احدثوه لينالوا جزاءهم العادل ، فقال لهم :

((سلمونا هؤلاء للعدالة وسوف تتركون حتى يكتب الله لنا النصر في سوريا وبعدها عسى ان يميل قلوبكم لنا من جديد)) ، فاجابوه بانهم مسؤولين جميعا عن ما مضى ، وان سفك دماء الضالين الكافرين عدل[629] .

حاول الإ ِمام علي (عليه السلام)مجادلتهم عارضاً عليهم الرحمة لمن التحق بصفوف جيشه، او عاد الى بيته بسلام ، فاستجاب البعض للنداء ، وتفرق جماعة منهم الى بلاد فارس المجاورة ، وبقي الف وثمنمائة في الميدان ، ويقول (ميور) بصددهم : ((وبصرخة قتال وحشية (الى الجنة) اندفعوا على رماح جيش علي وقُتلوا. لقد كان افضل لسلام الإ ِسلام الا ينجو من الاربعة الاف احد ، فقد جرحت الافعى ولكن لم تقتل ، وروح الخيالية (الخوارج) انتشرت بالعدوى وقضية الثيوقراطية استمرت بالاتساع بنشاط في الكوفة والبصرة رغم سريتها ، وفي السنين اللاحقة اخذت عصابات من الخوارج المتمردين يظهرون بين الفينة والاخرى فجاة في الميدان مدينين عليا ومعلنين ان ملك الله قريب ، فيقتل الواحد بعد الاخر او يهرب))[630] .

وينهي (ميور) كلامه عن الخوارج بقوله :

---

(2) Ibid , P.288 - 289.

(1) Muir , the Caliphate , P.289-290.

(2) Ibid, P.290.

((استمرت هذه التعرضات تزعج علي وقوته الذي اخذ يجني ثمار ضعف تسويته مع اعداء عثمان واهماله في تقديمهم للعدالة ، وكان الخياليون (الخوارج) مخلصين بعقيدتهم الى درجة انهم لم يتصلوا باي حزب اخر ولم يتركوا أي هدف لعقيدتهم وراء ظهورهم ونحن نجدهم الان ولاحقا [في وقت المعركة التي يتحدث عنها ميور وعن من تبقى من الخوارج في العصور اللاحقة] يهاجمون الامبراطورية بعنف خطير الا انهم غالبا ما يُهزمون))[631] .

وخلاصة الاراء بشان معتقدات الخوارج وعوامل تمردهم على الإ ِمام علي (عليه السلام) فقد اختلف المؤرخون عربا او غربيين اختلافا واضحا بهذا الشان ، فتعددت الاسباب لتنحصر عند بعضهم في الجوانب السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية او الدينية اضافة الى السبب الرئيس في المشكلة المتمثل بحادثة التحكيم .

فيفسر بعض الدارسين ظهور الخوارج على اساس قبلي بحت ، وحجة هؤلاء الدارسين ان الخوارج كانوا من البدو الذي تعتريهم العصبية القبلية وعشق الحرية ورفض السلطة السياسية، ومن ثم فان لديهم رغبة في العودة الى تقاليدهم الاولى القائمة على الفطرة بعد ان فقدوا الثقة في الخلافة القرشية[632] .

ويذكر باحث اخر بان اول موقف خطير تجلت فيه العصبية الجاهلية واسهم في تعزيز امر الخوارج فيما بعد ، كان موقف الاشعث بن قيس ، اذ اعترض على ترشيح الإ ِمام علي (عليه السلام) لعبد الله بن عباس ليكون ممثله في التحكيم[633]،فقال الاشعث :

((لا والله ، لا يحكم فيها مضريان حتى تقوم الساعة))[634] .

---

(3) Ibid , P. 290 , 291.

(1) Lewis , some observation on the significance of heresy in the history of Islam , Studia Islamic ,vol.1,p.47 .

نقلا عن بحث للدكتور محمود اسماعيل بعنوان (علي بن ابي طالب والخوارج) في كتاب علي بن ابي طالب نظرة عصرية جديدة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت – 1974م) ص133 ؛ ابو زهرة ، محمد احمد ، المذاهب الإ ِسلامية ، المطبعة النموذجية ، (القاهرة – دزت) ، ص103 ، 104 ؛ ابو النصر ، عمر ، الخوارج في الإ ِسلام ، منشورات مكتبة المعارف ، (بيروت – 1956م) ، ص18 .

(633) معروف ، الخوارج ، ص59 .

(634) المنقري ، وقعة صفين ، ص500 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، 402/2 .

ويصف باحث اخر موقف الخوارج على انهم لم يرفضوا نظام الدولة السياسي قط وانما كان هدفهم اقامة دولة على اساس ديمقراطي ، وبذلك كانوا (جمهوريو الإِسلام) بلا مدافع على حد تعبير هذا الباحث[635] .

ان الاعجاب بالخوارج لم يقتصر على المستشرقين فحسب بل ان بعض مؤرخينا العرب قد تاثر بافكارهم او ان اعجابهم كان تلقائيا لما رأوه في ظاهر شعارات ومعتقدات الخوارج .

فالباحث حسن ابراهيم حسن يصفهم نلهم يمثلون الديمقراطية الإِسلامية[636].

وحاول الدكتور محسن باقر القزويني الرد على ما ذهب اليه حسن ابراهيم حسن وكل من يشاطره هذا الرآي ، بقوله:

((لا ندري سبب ابتهارهم بالخوارج ألأنهم يشكلون فئة معارضة ام لانهم عارضوا الإِمام علي؟، من جانب اخر نسأل الاستاذ حسن هل وجد في التاريخ ما يشير ولو بقدر اظفر ان الخوارج ديمقراطيون ، فهل كان جوابهم لعبد الله بن خباب عندما قتلوه هو وزوجته وقتلوا جنينها في رحمها عندما شموا منه رائحة الولاء لعلي ، هل كان هذا عملهم ديمقراطياً))[637].

ان فكرة الدولة عند الخوارج على رأي احد الباحثين لم تتأثر بالنمط البدوي في الديمقراطية بقدر ارتكازها بالدرجة الاولى على مفهوم العدالة في الإِسلام، وانهم يمثلون ((الفئة المؤمنة)) الحريصة على الالتزام بالكتاب والسنة دون تأويل او موارية[638].

وباعتقادنا ان صفة الايمان التي اطلقها هذا الباحث على الخوارج لا تنطبق عليهم لانهم قد احلوا دماء المسلمين قبل الكفار،دون ان يرتكبوا اثماً سوى ولائهم للحق او قولهم كلاماً منصفا بحق الإِمام علي (عليه السلام). وقد حرم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) على المسلمين دماءهم واموالهم واعراضهم.

---

(4) Smith K the Ibadites.Moslem World , Vol , 12 , P.284 ,

نقلا عن كتاب علي بن ابي طالب نظرة عصرية جديدة ، ص133 .

(636)حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإِسلام السياسي ، 307/1.

(637) علي بن ابي طالب رجل المعارضة والدولة ، دار العلوم ، (بيروت - 1425هـ / 2004م) ، ص342.

(638) اسماعيل ، محمود (الدكتور) ، علي بن ابي طالب والخوارج ، بحث ضمن كتاب علي بن ابي طالب نظرة عصرية جديدة ، ص133 .

الخاتمة

بعد اتمام البحث بعون الله سبحانه وتعالى تمكن الباحث من الخروج بنتائج عدة نذكر منها الاتي:

1- اتسمت أغلب الدراسات الاستشراقية التي تناولت السيرة النبوية الشريفة بالتحامل المبني على اسس مخطوءة، بعضها مستمد من الخلفيات الفكرية لاصحابها فتكون بذلك احكاما متعمدة وقاسية، والبعض الآخر ناتجة عن جهل بالحقائق التاريخية فتعتمد على كل ما تردد من شبهات في بعض مصادرنا الاسلامية التي تجانب الحقائق،فتصدر احكاماً غير منصفة ومتحاملة.

2- كان اغلب المستشرقين المتحاملين أحاديي النظرة والسبب في ذلك هو اعتمادهم على منهل واحد في ايرادهم للاحداث التاريخية المتعلقة بطرف معين دون الاخذ بما ورد من اخبار في مؤلفات الطرف الاخر المعني بهذه الحادثة، او استخدام المنهج النقلي وليس العقلي.

3- لم تتوقف حملة التشويه ضد الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بل استمر حتى مع اهل بيته (عليهم السلام).

4- استطاع بعض المستشرقين وهم كُثرْ من الظهور بمظهر المنصفين او العادلين لاتباعهم منهج البحث العلمي في دراستهم للتاريخ الاسلامي.

5- على الرغم من حرص بعض المستشرقين على الظهور بمظهر الانصاف للامام علي (عليه السلام)، نجد ان ظاهرة الشك هي السائدة في كتاباتهم حول الامام علي (عليه السلام) ولا سيما فيما يتعلق بموقفه من مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه).

6- اقتفى اغلب المستشرقين اثر بعض المؤرخين المسلمين بالتاكيد على ان الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) لم يعين احداً قبل وفاته لخلافته.

7- شخص بعض من المستشرقين الباحثين الاسباب الحقيقية التي ادت الى استبعاد الامام علي (عليه السلام) عن الخلافة بعد الرسول مباشرة وكذلك بعد وفاة الخليفتين ابو بكر وعمر (رضي الله عنهما).

8- تعامل اغلب المستشرقين مع الاسباب الظاهرة في اسباب حرب الامام علي (عليه السلام) ضد السيدة عائشة (رضي الله عنها) وطلحه والزبير في معركة الجمل دون تشخيص للاسباب الحقيقية.

9- يكاد يتفق المستشرقون ويتبعهم بعض المؤرخين العرب على ان الامام علي (عليه السلام) لم يستخدم في ادارته للدولة المرونة السياسية التي استخدمها معاوية بن ابي سفيان لذلك يرون ان ذلك هو السبب في عدم نجاحه في الصراع مع معاوية.في حين ان الذي استخدمه معاوية هو ليس مرونة سياسية وانما المكر والخداع وشراء الذمم مقابل الحصول على كرسي الخلافة.

10- يعتقد اغلب المستشرقين ان الإ ِمام علي (عليه السلام) هو ثاني من اسلم بعد زوج الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) السيدة خديجة اعتماداً على ما تناقله مؤرخينا المسلمين.

11- اشاد المستشرقون بشجاعة الإ ِمام علي (عليه السلام) في المعارك التي خاضها سواء كانت في بداية نشر الاسلام وخاصة الى جانب الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) او في اثناء حروبه ضد الناكثين والقاسطين والمارقين في خلافته.

12- اهم ما يمكن استنتاجه حول مواقف المستشرقين من الإ ِمام علي (عليه السلام) هو انهم لم يضيفوا اليه شيء ولم يستطيعوا ان ينالوا منه بشيء،فهو رمز التديّن والبطولة والوقوف بوجه دعاة الباطل.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الاولية:

- **خير ما يُبتدأ به هو القرآن الكريم.**
- نهج البلاغة،من كلام لامير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام).
- ابن الاثير،عز الدين (630هـ/1232م).

● الكامل في التاريخ،تحقيق عبد الله القاضي،دار الكتب العلمية،ط4(بيروت-1424هـ/2003م).

- ابن اسحق،محمد بن اسحاق بن يسار (ت151هـ/768م).

● سيرة ابن اسحاق،تحقيق سهيل زكار،دار الفكر،(بيروت-1398هـ/1978م).

- الآمدي،ابو الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي (ت631هـ/1233م).

● غاية المرام في علم الكلام،تحقيق مزيد المزيدي،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية، (بيروت-1424هـ/2004م).

- البخاري،ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت256هـ/869م).

● صحيح البخاري،دار احياء التراث العربي،(بيروت-1422هـ/2001م).

- البلاذري،ابو جعفر احمد بن جابر (ت279هـ/892م).

● انساب الاشراف،تحقيق محمود الفردوس العظم،دار اليقظة العربية،(دمشق-1997م).

● كتاب جمل من انساب الاشراف،تحقيق الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي،دار الفكر،(بيروت-1417هـ/1996م).

- البلخي،سليمان بن ابراهيم الحسيني القندوزي (ت1270هـ/1853م).

● ينابيع المودة،تحقيق علاء الدين الاعلمي،(بيروت-1418هـ/1997م).

- البيهقي،ابو بكر احمد بن الحسين (ت458هـ/1065م).

● السنن الكبرى،دائرة المعارف النظامية،(الهند-1344هـ).

- التبريزي،محمد بن عبد الله الخطيب (ت741هـ/1340م).

● شرح مشكاة المصابيح،تحقيق الشيخ جمال عيتاني،دار الكتب العلمية،(بيروت-1422هـ).

- الترمذي،ابو عيسى محمد بن عيسى (ت297هـ/909م).

● سنن الترمذي،دار احياء التراث العربي،(بيروت-1422هـ/2001م).

- ابن الجوزي،ابو الفرج عبد الرحمن (ت597هـ/1200م).

● صفة الصفوة،تحقيق ابراهيم رمضان وسعيد اللحام،دار الكتب العلمية ط4(بيروت-1427هـ/2006م).

- ابن ابي الحديد،عز الدين ابو حامد بن هبة الله محمد بن محمد المدائني (ت656هـ/1258م).

● شرح نهج البلاغة،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم،دار الجيل،(بيروت-1407هـ/1987م).

- الحاكم الحسكاني،عبد الله بن عبد الله بن احمد (من اعلام القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي).

● شواهد التنزيل بقواعد التفضيل،تحقيق محمد باقر المحمودي،مؤسسة الاعلمي،(بيروت-1993م).

- الحراني،ابو محمد الحسن بن علي (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).

● تحف العقول عن آل الرسول،تحقيق حسين الاعلمي،منشورات مؤسسة الشريف الرضي،مطبعة شريعت(قم-1421هـ).

- الحلبي،علي بن برهان (ت975هـ/1567م).

● السيرة الحلبية في سيرة الامين والمامون،دار المعرفة،(بيروت-1400هـ/1980م).

- ابن حنبل،احمد (ت241هـ/855م).

● فضائل امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)،تحقيق حسن حميد السنيد،المجمع العالمي لاهل البيت،مطبعة ليلى،(قم-1425هـ).

● المسند،دار الكتب العلمية،(بيروت-1413هـ/1993م).

- ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م).

● المقدمة،دار الكتب العلمية،(بيروت-1413هـ).

- ابن خلكان،ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر (ت681هـ/1282م).

● وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان،تحقيق الدكتور علي طويل،دار الكتب العلمية،(بيروت-1416هـ).

- الذهبي،شمس الدين محمد بن احمد (ت748هـ/1347م).

● سير اعلام النبلاء،دار الكتب العلمية،(بيروت-1425هـ/2004م).

- الراغب الاصفهاني،ابو القاسم الحسين بن محمد (ت502هـ/1108م).

● المفـردات فـي غريـب القـرآن،دار المعرفـة للطباعـة،(بيروت-د.ت).

- سبط ابن الجوزي،شمس الدين ابو المظفر بن فرغلي (ت654هـ/1256م).

● تـذكرة الخواص،منشـورات مؤسسـة الشـريف الرضـي،(قم-1418هـ).

- ابن سعد،محمد بن سعد بن منيع (ت230هـ/941م).

● الطبقـات الكبرى،تحقيـق محمـد عبـد القـادر عطـا،(بيروت-1410هـ/1990م).

- السيوطي،جلال الدين (911هـ/1505م).

● الدر المنثور في التفسير الماثور،دار الفكر، (بيروت-1403هـ).

- ابن ابي شيبة،ابو بكر عبد الله (235هـ/849م).

● المصـنف فـي الاحاديـث والاخبار،الـدار السـلفية،بومباي،(الهند-1402هـ).

- الشيخ المفيد،محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت413هـ/1022م).

- الارشاد في معرفة حجج الله على العباد،مؤسسة اهل البيت،(قم-1416هـ/1995م).
- الافصاح في امامة علي بن ابي طالب (عليه السلام)،دار المنتظر،ط2(بيروت-1409هـ/1989م).
- الامالي،المطبعة الحيدرية(النجف-1380هـ/1916م).
- الجمل - النصرة لسيد العترة في حرب البصرة-،تحقيق علي مير،ط2(قم-1416هـ).

- ابن الصباغ،علي بن محمد بن احمد المالكي (ت855هـ/1451م).

- الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة (عليهم السلام)،المطبعة الحيدرية،ط3(النجف-1381هـ/1962م).

- الصدوق،ابو جعفر محمد علي بن الحسين(ت381هـ/991م).

- عيون اخبار الرضا،تحقيق الشيخ حسين الاعلمي،مؤسسة الاعلمي(بيروت-1984م).
- معاني الاخبار،تحقيق علي اكبر الغفاري،دار المعرفة للطباعة،(بيروت-1399هـ/1979م).

- طاش كبري زاده،احمد بن مصطفى (ت968هـ/1560م).

● مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم،دار الكتب العلمية،ط2(بيروت-1422هـ/2002م).

- الطبراني،ابو القاسم سليمان بن احمد (ت360هـ/970م).

● المعجم الكبير،تحقيق حمدي عبد المجيد،ط2(الموصل-1410هـ/1990م).

- الطبرسي،ابو علي الفضل بن الحسن (548هـ/1153م).

● اعلام الورى باعلام الهدى،المكتبة الحيدرية،ط3(النجف-1390هـ/1970م).

- الطبري،محب الدين (ت694هـ/1294م).

● الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة،(القاهرة-1372هـ/1953م).

- الطبري،محمد بن جرير (ت310هـ/922م).

● تاريخ الامم والملوك،تحقيق محمد بو الفضل ابراهيم،دار المعارف،(مصر-د.ت).

- الطوسي،ابو جعفر محمد بن الحسين (ت460هـ/1067م).

- التبيان في تفسير القرآن،تصحيح وترتيب احمد شوقي الامين،المطبعة العلمية،(النجف-1376هـ/1957م).
- تلخيص الشافي،مراجعة السيد حسين بحر العلوم،مطبعة الاداب،(النجف-1383هـ/1963م).
- الرسائل العشرة،مؤسسة النشر الاسلامي،جامعة المدرسين (قم-1403هـ).

- ابن العربي،ابو بكر (ت453هـ/1061م).

- العواصم من القواسم في تحقيق مواقف الصحابة بعد النبي (صلى الله عليه وسلم)،تحقيق محب الدين الخطيب،المكتبة العلمية،(بيروت-1406هـ/1986م).

- ابن عساكر،ابو القاسم علي بن الحسين الشافعي (573هـ/1177م).

- ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق،تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي،مؤسسة المحمودي،ط2(بيروت-1318هـ).

- العسقلاني،الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر (ت852هـ/1448م).

● الاصابة في تمييز الصحابة،دار الكتاب العربي،(بيروت-د.ت).

● تهذيب التهذيب،تحقيق صدقي جميل العطار،دار الفكر،(بيروت-

1415هـ/1995م).

- الغزالي،ابو حامد (ت505هـ/1111م).

● الاقتصاد في الاعتقاد،تحقيق الدكتور علي بو ملحم،دار

الهلال،(بيروت-2002م).

- الفخر الرازي،ابو عبد محمد بن عمر (ت606هـ/1209م).

● التفسير الكبير، (طهران-د.ت).

- الفراهيدي،الخليل بن احمد (ت175هـ/791م).

● العين،تحقيق الدكتور مهدي المخزومي،مؤسسة دار

الهجرة،مطبعة الصدر،(قم-1410هـ).

- الفيروز ابادي،مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ/1414م).

● القاموس المحيط،دار الجيل، (بيروت-د.ت) .

- ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري(ت276هـ/889م).

● الامامة والسياسة،تحقيق علي شري، (بيروت-1990م).

- القشيري النيسابوري،ابو الحسن مسلم بن الحجاج (ت261هـ/874م).

● صـــحيح مســـلم،دار احيـــاء التـــراث العربـــي، (بيـــروت-1420هـ/2000م).

- القمي،ابو الحسن علي بن ابراهيم (من اعلام القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي).

● تفسير القمي،(بيروت-1412هـ/1991م).

- ابن كثير،اسماعيل،(774هـ/1372م).

● البداية والنهاية،تحقيق الدكتور احمد بو ملحم واخرون،دار الكتب العلمية،(بيروت-د.ت).

● تفسير القرآن الكريم،دار المعرفة،(بيروت-1406هـ).

- الكنجي،ابو عبد الله محمد بن يوسف (قتل 658هـ/1258م).

● كفايـــة الطالـــب فـــي مناقـــب علـــي بـــن ابـــي طالـــب (عليـــه السلام)،ط3(بيروت-1403هـ).

- ابن ماجة،ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت275هـ/888م).

● ســـنن ابـــن ماجـــة،دار احيـــاء التـــراث العربي،(بيـــروت-1421هـ/2000م).

- الماوردي،ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت450هـ/1058م).

● الاحكام السلطانية والولايات الدينية،دار الكتب العلمية،(بيروت-د.ت).

- المتقي الهندي،علي بن حسام الدين (ت975هـ/1567م).

● كنز العمال في سنن الاقوال والافعال،تحقيق محمود عمر الدمياطي،دار الكتب العلمية،ط2(بيروت-1424هـ/2004م).

- المجلسي،محمد باقر (ت1111هـ/1699م).

● بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار،مؤسسة الوفاء (بيروت-1403هـ/1983م).

- ابو مخنف،لوط بن يحيى الازدي الكوفي (ت158هـ/774م).

● وقعة الطف،تحقيق الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي،مؤسسة النشر الاسلامي،ط3(قم-1417هـ).

- المرتضى،الشريف،ابو طالب علي بن الحسين (ت436هـ/1044م).

● الشافي في الامامة،مؤسسة الصادق،(طهران د.ت).

- ابن مزاحم المنقري،نصر (ت212هـ/827م).

● وقعة صفين،تحقيق عبد السلام هارون،المؤسسة العربية الحديثة،ط3(1414هـ/1994م).

- المزي،جمال الدين ابو الحجاج يوسف .

● تهذيب الكمال في اسماء الرجال،تحقيق الدكتور بشار عواد معروف (بيروت-1422هـ/2002م).

- المسعودي،ابو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/957م).

● التنبيه والاشراف،مراجعة عبد الله الصاوي،دار الصاوي للطبع والنشر،(القاهرة-د.ت).

● مروج الذهب ومعادن الجوهر،تحقيق يوسف البقاعي،(بيروت-د.ت).

- المغازلي،ابو الحسن علي بن محمد الشافعي (ت483هـ/1090م).

● مناقب الامام علي بن ابي طالب،دار الاضواء،ط3(بيروت-1403هـ).

- المقرم،عبد الرزاق الموسوي.

● مقتل الحسين (عليه السلام)،مطبعة الاداب،ط4(النجف-1392هـ/1972م).

- المقريزي،تقي الدين بن علي (ت845هـ/1441م).

● امتاع الاسماع بما للنبي (صلى الله عليه وسلم) من الاموال والاحوال والحفدة والمتاع،تحقيق محمد عبد الحسين النميسي،دار الكتب العلمية،(بيروت-1420هـ/1990م).

- ابن منظور،جمال الدين ابو الفضل (ت711هـ/1311م).

● لســـان العرب،تحقيـــق عـــامر احمـــد حيـــدر،دار الكتـــب العلمية،(بيروت-2005م).

- النسائي،ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب (ت303هـ/915م).

● تهـذيب خصـائص امير المـؤمنين (عليـه السـلام)،دار الكتـب العلمية،(بيروت-د.ت).

- ابو نعيم،احمد بن عبد الله الاصبهاني (ت430هـ/1038م).

● حلية الاولياء وطبقات الاصفياء،ط3(بيروت-1400هـ/1980م).

- النووي،ابو زكريا محي الدين (ت676هـ/1277م).

● تهذيب الاسماء واللغات،دار الكتب العلمية،(بيروت-د.ت).

- النويري،شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م).

● نهايـة الارب فـي فنـون العرب،تحقيـق عبـد المجيـد ترمينـي،دار الكتب العلمية،(بيروت-1424هـ).

- النيسابوري،ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت405هـ/1014م).

● المستدرك علـى الصـحيحين،تحقيق الدكتور محمـد مطرجـي،دار الفكر للطباعة والنشر،(بيروت-1422هت/2002م).

- ابن هشام،عبد الملك (ت218هـ/833م).

● السيرة النبويـة،تحقيق رضـوان جـامع رضـوان،مؤسسـة المختـار

للنشر والتوزيع،(القاهرة-1426هـ/2005م).

- الهيتمي،ابن حجر(ت974هـ/1566م).

● الصـــــواعق المحرقـــــة،دار الكتـــــب العلميـــــة،(بيروت-1420هـ/1999م).

- الهيثمي،الحافظ علي بن ابي بكر (ت807هـ/1404م).

● مجمـــع الزوائـــد ومنبـــع الفوائـــد،تحقيق عبـــد الله محمـــد الدروشي،(بيروت-1414هـ/1994م).

- الواقدي،محمد بن عمر(ت207هـ/822م).

● المغازي،تحقيق مارسدن جونسن،ط2(قم-1418هـ).

- اليعقوبي،احمد بن يعقوب (292هـ/904م).

● تاريخ اليعقوبي،دار صادر، (بيروت-د.ت).

- ياقوت الحموي،شهاب الدين ابو عبد الله (ت626هـ/1228م).

● معجـم البلـدان،تحقيق مزيـد عبـد العزيـز الجنـدي،دار الكتـب العلمية،(بيروت-د.ت).

قائمة المراجع الحديثة:

- اسماعيل،محمود.

● علي بن ابي طالب والخوارج، علي بن ابي طالب نظرة عصرية جديدة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،(بيروت-1974م).

- الاميني،عبد الحسين احمد.

● الغدير في الكتاب والسنة والادب،مؤسسة الاعلمي،(بيروت-1414هـ/1994م).

- بدوي،عبد الرحمن (الدكتور)،

● موسوعة المستشرقين،دار العلم للملايين،ط3(بيروت-1993م).

- البهي،محمد (الدكتور).

● الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي،دار الفكر،(بيروت-1973م).

- بيضون،ابراهيم.

● الامام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ،مؤسسة بيسان،(بيروت-1999م).

- بيضون،لبيب (الدكتور).

● الاعجاز العددي في القرآن،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،(بيروت-1425هـ/2005م).

- الترمامیني،عبد السلام.

● الزواج عند العرب في الجاهلية والاسلام،(الكويت-1984م).

- جرداق،جورج.

● الامام علي صوت العدالة الانسانية،(البحرين-2003/1423م).

- حسن،حسن ابراهيم (الدكتور).

● تـاريخ الاسـلام السياسـي والـديني والثقـافي والاجتمـاعي،دار الجيل،ط15(بيروت-1422هـ/2001م).

- حسين ، طه.

● الفتنة الكبرى،دار المعارف،(مصر-د.ت).

● المجموعـة الكاملـة-الخلفـاء الراشدون،الشـركة العامـة للكتاب،ط5(بيروت-1996م).

- الحسيني،ادريس هاني.

● الخلافة المغتصبة ازمة تاريخ ام ازمة مؤرخ،(د.م-د.ت).

- الحكيم،حسن عيسى (الدكتور).

● الشيخ الطوسي،مطبعة الاداب،(النجف-1395هـ/1975م).

- المستشرقون ودراستهم للسيرة النبوية،مطبعة القضاء،(النجف-د.ت).

- الحكيم،رياض.

- علوم القرآن دروس منهجية،المركز الاسلامي المعاصر للدراسات والترجمة والنشر،(بيروت-1424هـ/2004م).

- الحوّا،محمد سليم.

- في النظام السياسي للدولة الاسلامية،المكتب المصري الحديث،(القاهرة-1983م).

- الخزاعي،عبد الحسين.

- امام وخليفة،مكتبة الالفين،(لندن- 421هـ/2001م).

- الخطيب،عبد الكريم.

- علي بن ابي طالب بقية النبوة وخاتم الخلافة،(بيروت-د.ت).

- الدسوقي،محمد.

- الفكر الاستشراقي تاريخه وتقويمه،مؤسسة التوحيد للنشر،(قم-1996م).

- ابو رية،محمد (الشيخ).

- اضواء على السنة المحمدية،مؤسسة الاعلمي،(بيروت-د.ت).

- شيخ المضيرة ابو هريرة،دار المعارف،(مصر-1969م).

- الزركلي،خير الدين (ت 1396هـ).

- الاعلام،دار العلم للملايين،ط16 (بيروت-2005م).

- ابو زهرة،محمد احمد.

- المذاهب الاسلامية،المطبعة النموذجية،(القاهرة-د.ت).

- الساعدي،نعمه هادي.

- الامام علي ومدرسة القرآن،مطبعة الآداب،(النجف-د.ت).

- السماوي،محمد التيجاني (الدكتور).

- الشيعة هم اهل السُنّة،مؤسسة الفجر،(لندن-1993م).

- ابو الشباب،احمد عوض(الدكتور).

- الخوارج تاريخهم،موقفهم،عقائدهم،دار الكتب العلمية،(بيروت-1426هـ/2005م).

- الشمري،عباس وهب.

● الاسـراء والمعـراج بـين العقـل والـوحي،دار القـارئ،(بيروت-1425هـ/2005م).

- الصرّاف،محمد محمود،

● زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن،ط3(القاهرة-1979م).

- الصغير،محمد حسين (الدكتور).

● تاريخ القرآن،دار المؤرخ العربي،(بيروت-1420هـ/1999م).

- العاملي،محسن الامين.

● اعيان الشيعة،(بيروت-1960م).

- العاملي،مصطفى قصير.

● الشـورى والبيعـة ودورهمـا فـي انعقـاد الامامـة الكبرى،المركـز الاسلامي للدراسات،(بيروت-1414هـ/1996م).

- العباسي،محفوظ.

● الغرب نحو الدرب باقلام مفكريه،(بغداد-1990م).

- عبد الحميد،صائب.

● تــاريخ الاســلام السياســي والثقــافي،مركز الغــدير للدراســات الاسلامية،(بيروت-1417هـ/1997م).

- عبد الحميد،عرفان.

- المستشرقون والاسلام، (بغداد-د.ت).

- عبده،محمد.

- شرح نهج البلاغة،دار المعرفة،(بيروت-د.ت).

- العسكري،مرتضى.

- الاسطورة السبأية كما تخيلها او اختلقها سيف بن عمر،(بيروت-1424هـ).

- عبد الله بن سبأ واساطير اخرى،منشورات كلية اصول الدين،(بغداد-1968م).

- العقاد،عباس محمود.

- عبقرية الامام علي،(بيروت-د.ت).

- عقيقي،نجيب.

- المستشرقون،دار المعارف،ط3(مصر-1965م).

- علي،جواد.

- تاريخ العرب في الاسلام،مؤسسة الشريف الرضي،(ايران-1963م).

- علي،محمد كرد.

- الاسلام والحضارة العربية،مطبعة لجنة التاليف والنشر والترجمة،ط3(القاهرة-1968م).

- الغزالي،محمد (الشيخ).

- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين،دار الكتب الحديثة،(القاهرة-1963م).

- الغفار،عبد الرسول(الدكتور).

- الخبر اليقين في سيرة امير المؤمنين (عليه السلام)،(النجف-1417هـ).

- غلاب،محمد.

- هذا هو الاسلام،مطابع الشعب،(مصر-1959م).

- فضل الله،محمد جواد.

- صلح الامام الحسن اسبابه ونتائجه،دار المثقف المسلم،(قم-د.ت).

- قاسم،اسعد (الدكتور).

- ازمة الخلافة والامامة واثارها المعاصرة،مركز الغدير للطباعة والنشر،(بيروت-1997م).

- قانصو،هنادي مشهور.

- الاسراء والمعراج رحلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى السموات والارض،تحقيق الشيخ محمود قانصو،دار التيار الجديد،(بيروت-1423هـ/2002م).

- القبانجي،احمد .

- خلافة الامام علي بالنص ام بالنصب؟،سلسة ثقافة اسلامية معاصرة،(د.م-د.ت).

- القزويني،محسن باقر(الدكتور).

- علي بن ابي طالب رجل المعارضة والدولة،دار العلوم،(بيروت-1425هـ/2004م).

- كاشف الغطاء،محمد حسين.

- اصل الشيعة واصولها،المكتبة الحيدرية،ط7(النجف-د.ت).

- مراد،يحيى.

- معجم اسماء المستشرقين،دار الكتب العلمية،(بيروت-2004م).

- المري،محمد جواد.

- الخلافة في الدستور الاسلامي،مطبعة الاتحاد،(بيروت-1946م).

- المظفر،محمد حسن (الشيخ).

- دلائل الصدق،(قم-1395م).

- معاش،كمال (الشيخ).

- فاطمة بين النبوة والامامة،(بيروت-1424هـ).

- معروف،ناجي.

- الخوارج في العصر الاموي،نشاتهم وتاريخهم،عقائدهم،ادبهم،دار الطليعة،ط4(بيروت-1414هـ/1994م).

- مغلي،محمد البشير.

- مناهج البحث في الاسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية،(الرياض-1422هـ/2002م).

- مغنية،محمد جواد.

- امامة علي والعقل،دار نشر السجدة،(قم-2003م).

- الشيعة في الميزان،دار التعارف،(بيروت-د.ت).

- مهران،احمد بيومي(الدكتور).

- الامامة واهل البيت،مركز الغدير للدراسات الاسلامية،ط2(قم-1995م).

- الموسوي،عبد الحسين شرف الدين.

- الموسوعة (الفصول المهمة-ابو هريرة)،تحقيق مركز العلوم والثقافة الاسلامية،قسم احياء التراث الاسلامي،دار المؤرخ العربي،(بيروت-1427هـ/2006م).

- ابو النصر،عمر.

- الخوارج في الاسلام،منشورات مكتبة المعارف،(بيروت-1956م).

- النعمة،ابراهيم.

- الاسلام وتعدد الزوجات، (الموصل-1982م).

- نقره،التهامي.

- مناهج المستشرقين،دار العلم للملايين،(بيروت-1985م).

- هاني،ادريس.

- محنة التراث الآخر،مؤسسة الغدير للدراسات والنشر،(بيروت-1998م).

- هيفا،راجي انور.

- الاسلام والغرب،دار العلوم، (بيروت-2005م).

- هيكل،محمد حسنين.

- حياة محمد،مكتبة النهضة،ط5(مصر-1982م).

- الوائلي،احمد (الدكتور).

- هُويّة التشيع،دار الكتب للمطبوعات،(بيروت-1987م).

- ياسين،خليل.

- محمد عند علماء الغرب،مؤسسة الوفاء،ط2(بيروت-1983م).

- يعقوب احمد حسن.

- النظام السياسي في الاسلام،مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر،(قم-1412هـ).

الكتب المترجمة:

- آرنولد،السيرتوماس.

- الخلافة،ترجمة حسن حيدر الشيباني،مطبعة دار التضامن،(بغداد-1961م).

- ايرفنج،واشنطن.

- محمد وخلفاؤه،ترجمة الدكتور هاني يحيى،المركز الثقافي العربي،(بيروت-1999م).

- بترسن،ايرلنغ ليدوك.

- علي ومعاوية في الرواية العربية المبكرة،دراسة في نشأة ونمو

الكتابة التاريخية حتى نهاية القرن التاسع الميلادي،ترجمة آ.د.عبد الجبار ناجي،مسودة كتاب مطبوع على الة الكومبيوتر،(بغداد-2006م).

- بروا،جان.

- محمد نابليون السماء،ترجمة محمد صالح البنداق،دار الانصاف للطبع والترجمة والنشر،(بيروت-1947م).

- بروكلمان،كارل.

- تاريخ الشعوب الاسلامية،ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي،دار العلم للملايين،(بيروت-1953م).

- بودلي،رونالد فكتور.

- حياة محمد الرسول،ترجمة عبد الحميد جودة السحار ومحمحد محمد فرج،(القاهرة-1964م).

- بوكاي،موريس.

- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة،دار المعارف،ط4(بيروت-1977م).

- جعيط،هشام.

- الفتنة جدلية الدين والسياسة في الاسلام المبكر،ترجمة خليل احمد خليل،دار الطليعة،(بيروت-د.ت).

- جورجيو،كونستانس.

- نظـرة جديـدة فـي سـيرة رسـول الله،ترجمـة الـدكتور محمـد التونجي،الدار العربية للموسوعات،(بيروت-1966م).

- جولد تسيهر،اجنس.

- مـذاهب التفسـير الاسـلامي،ترجمة عبـد الحلـيم النجار،مكتبـة الخانجي،(القاهرة-1354هـ/1955م).

- جيوم،الفريد.

- الاسلام،ترجمة محمد مصطفى،(القاهرة-1958م).

- حتي،فلب خوري.

- تـاريخ العرب،نقلـه الـى العربية،محمـد مبـروك نافع،مطبعـة دار العالم العربي،ط3(القاهرة-1952م).

- خودا بخش،صلاح الدين.

- الحضـارة الاسـلامية،ترجمة علـي حسـني الخربـوطلي،(بيروت-1971م).

- دانتي،الجيري.

- الكوميـديا الالـهية،ترجمـة حسـن عثمـان،دار المعارف،(مصـر-1955).

- درمنغم،آميل.

- حيـــاة محمد،ترجمـــة عـــادل زعيتر،مطبعـــة احيـــاء الكتـــب العربية،(القاهرة-1368هـ/1949).

- دونلدسن،دوايت.م

- عقيدة الشيعة،ترجمة،ع.م،مكتبة السعادة،(مصر-د.ت).

- دينيه،اتيين.

- محمـــد رســـول الله،ترجمـــة عبـــد الحلـــيم محمود،مطبعـــة دار الكتاب،ط3(مصر-1959م).

- رسلر،ج.س.

- الحضارة العربية،ترجمة غنيم عبد عون،مراجعة الدكتور احمد فؤاد،الدار المصرية للتاليف والترجمة،(القاهرة-د.ت).

- روي لبككر واخرون.

- دراســـات اســـلامية،ترجمة الـــدكتور نقـــولا زيـــادة،دار الاندلس،(بيروت-1960م).

- ريشار،يان.

- الاســلام الشــيعي،ترجمة حــافظ الجمــالي،دار عطيــة،(بيروت-1996م).

- سيديو،ل.أ

● تـاريخ العـرب العام،ترجمـة عـادل زعيتـر،دار احيـاء الكتـب العربية،(القاهرة-1367هـ/1948م).

- شاخت،جوزف،وكليفورد بوزورث.

● تراث الاسلام،سلسة عالم المعرفة،(الكويت-1998م).

- شتروثمان،ف س.

● دائرة المعارف الاسلامية،ترجمة محمد ثابت افندي،(قم-د.ت).

- شتيسفسكا،يوجينا غيانة.

● تـاريخ الدولـة الاسـلامية وتشريعها،منشـورات المكتـب التجـاري للطباعة،(بيروت-1966م).

- فايس،ليوبولد (محمد اسد).

● الاسـلام علـى مفتـرق الطرق،ترجمـة عمـر فـروخ،دار العلـم للملايين،ط4(بيروت-1955م).

- فلهوزن،يوليوس.

● احزاب المعارضـة السياسية الدينيـة في صـدر الاسلام-الخـوارج والشـيعة-ترجمـة الـدكتور عبـد الـرحمن بدوي،وكالـة المطبوعات،ط2(الكويت-1976م).

- تاريخ الدولة الاسلامية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية،ترجمة الدكتور عبد الهادي ابو ريدة،مراجعة حسين مؤنس،لجنة التاليف والنشر،(القاهرة-1958م).

- كارليل،توماس.

- الابطال،ترجمة محمد السباعي،ط3(مصر-1349هـ/1930م).

- محمد المثل الاعلى،ترجمة محمد السباعي،المكتبة الاهلية،ط2(بيروت-د.ت).

- كونسلمان،جرهارد.

- سطوع نجم الشيعة،ترجمة محمد ابو رحمة،مكتبة مدبولي،ط3(القاهرة-2004م).

- لاندو،روم.

- الاسلام والعرب،ترجمة منير البعلبكي،دار العلم للملايين،(بيروت-1962م).

- لوبون،غوستاف.

- حضارة العرب،ترجمة عادل زعيتر،دار احياء الكتب العربية،ط3(القاهرة-1956م).

- ماسينيون،لويس.

- سلمان الفارسي والبواكير الروحية في ايران،ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي،وكالة المطبوعات،(الكويت-1978م).

- ماسيه،هنري.

- الاسلام،ترجمة بهيج شعبان،(بيروت-1960م).

- مجموعة مستشرقين.

- دائرة المعارف الاسلامية،ترجمة،محمد ثابت افندي واخرون،(قم-د.ت).

- مشهدي،جعفر.

- حياة السيدة فاطمة الزهراء،ترجمة رياض الاخرس،(بيروت-1422هـ-2002م).

- مورغان،كينث.و.

- الاسلام الصراط المستقيم،ترجمة محمود عبد الله يعقوب،مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة،(نيويورك-1958م).

- نتنج،انتوني.

- العرب انتصاراتهم وامجاد الاسلام،ترجمة الدكتور راشد البراوي،مكتبة الاتجاد المصرية،(القاهرة-1974م).

- هونكة،زيغريد.

● شمس العرب تسطع على الغرب،ترجمة فاروق بيضوني وكمال دسوقي،(بيروت-1964م).

- يون،جان ديون.

● الاعتذار محمد والقرآن،ترجمة عباس الخليلي ،مطبعة الاقبال،1375هـ.

المصادر الاجنبية

- Andrae,Tor,

● Mohammed the Man and his Faith,(London-1935).

- Arnold,T.W,

● the Preaching of Aslam,(London-1913).

- Binder,Leonard,

● the Ideological Revolution in the middle east,Department of political science University of Chicago-w.d.

- Edward Brown,

- Encyclopedia of Religion and Ethics,vo,11,subject:BAB.BABIS.

- Emel Esin,
  - Mecca The Blessed Madina the Radian Pual Eleck Productions,)Italy-1963).

- Graham,Samuel Wilson,
  - Modern Movements among Moslems,(London and Edinburgh-1916).

- Hastings,James,
  - Encyclopedia of Religion ,v.x1.

- Monsfeld,Peter,
  - The great Arab Explosion,(London-1973).

- Morgoliouth,D.S,
  - Encyclopedia of Religion and Ethics,printed in Great Britaim 1957. v.11subject:Khawarij.

- Muir,Sir William,
  - The caliphate ,its Rise, Decline and Fall,

(Beirut-1963).

- Mohomet and Aslam,The Religious Tract Society,56 Patteenoster,63 Sr,Paul Cruecryasd.

- Noldeke,theodor,

- sketches fromEstern History,Khyats oriental Reprunts,1963.

- Patton,Walter.M,

- Encyclopedia of Religion and Ethics,subject:Shiahs.

- Rodinson,M,

- Mohammad,London,1962.

- Soderblom,N,

- Encyclopedia of Religion and Ethics,vo,v11 subject: Incarnation Inroductory.

- Southern,R.W,

- Western views of Aslam in the middle Ages.(Cambridge,Mas-1962).

- Spuler,vonBartold,

- Geschiht Der Islamiciton, (London, Leidon, E.J.Brill-1952). هذا الكتاب باللغة الالمانية

- Stern,Gertrude,

- Marriage in Early of Islam,(London-1934).

- Sykes.Sir.Percy,

- History of Percia,Macmillan,third Edition, (London-1958).

- Tritton,A.S,

- Aslam Belef and Practieces Hutchinson,University Library,(London-W.D).

- Vaglieri.L.Veccia,

- The Encyclopedia of Aslam new Edition,Leiden,E.J.(Brill-1979).vol.1subject:Ali

Bin Abi Talib.

- Wallaston,Arthur,

  ● Half Hours with Mohammed,(London-1982).

- Wat,Montygomery,

  ● Aslam and Integration of Society, Routlud and gegan Paul,(London-w.d)

- www-http.ALshia.com

باللغة الفارسية:

المجلسي، محمد باقر،حياة القلوب،تحقيق سيد علي اماميان،انتشارات مؤسسة سرور،(قم-1384هـ).

البحوث والدوريات

- الصباح،رشا حمود.

- التصورات الاوربية للاسلام في العصور الوسطى وتاثيرها في الكوميديا الالهية،مجلة عالم الفكر،مجلد/11،عدد/3 ، 1980م.

- هادي،علي السيد.

- مناهج الكتابة في السيرة النبوية،بحث بعنوان (مشروع اعادة كتابة التاريخ الاسلامي)،مجلة المنهاج،(بيروت-2004م).

الرسائل الجامعية

- بشير،مشتاق.

- تطور الاستشراق البريطاني في كتابة السيرة النبوية،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية التربية ابن راشد،(جامعة بغداد-2001م).

Imam Ali (peace be upon him) in the orientalists writings (a historical study)

Abstract

The orientalists were interested in studying Islamic and Arab history during the past ages motivated by many factors some are religious or economic or political or scientific. Some religious characters had great share of this interest especially the great messenger Mohammed (peace and prayers be upon him and his decent household) to know an aspect of their tendency, this thesis entitled (Imam Ali ,peace be upon him, in the Orientalists writings -a historical analytic study-) was arrange to introduce the study of some orientalists about this subject and discuss it in the light of our historical sources.

The thesis contains four chapters, the first one deals with the subject of the orientalists and the study of the men's biography – the messenger Mohammed (peace and prayer be upon him), it includes two sections, one of them is entitled (The studies that are against the Prophet Mohammed [peace and prayer be upon him and his household]) and the second dealt with the fair studies.

While the second chapter is entitled (The Methods of the Orientalists in studying the personality of Imam Ali [peace be upon him]). It includes five sections all of them are about Imam Ali's priority in Islam and his marriage to (Fatimatil Zahraa) and his role in collecting the Holy Quran and his personal features in addition to something about him and chivalry.

As for the third chapter, (The Orientalists attitude towards the issue of Al khilafat, it includes three sections, the first of them explains the orientalists studies who support the idea that the prophet Mohammed (peace and prayer be upon him) had not appointed someone to succeed him, and the other deals with the studies that disapprove with this idea, while the third has explain the response to those who believes that he did not appoint someone to succeed him.

The fourth chapter is a conclusion to the chapters (The Wars led by Imam Ali against the disloyal and defectors) during his khilafat. It includes three sections, the first deals with Al-Jamal war and the second deals with war of Safeen, while the third on the Khawarij war in the battle of Nahrawan.

In preparing this thesis, I depended on the Arabic and foreign references and sources and also the translated ones. One of them the book of Ahmed Ibn Hambel (241A.H), Saheeh Al-Bukhary (256A.H), Saheeh Muslim (261A.H) and Al-Mustadrak Ala Al-Saheehain by the Nesayory (405A.H).

The other references were (Al-Maghazy) by Ibn Ishaq (151A.H), (Al-Sira Al-Nabawia) by Ibn Hisham (218A.H) and Al-Balathery's (Ansab AL-Ashraf) (279A.H) in addition to Al-Tabary's (Tareekh Al Rusil Wal Mulook).

I also made benefit of the translated references to Arabic, the most important of them is (Al Shiia beliefs) of Donaldson and also the book of (Life of Mohammed) by (Amil Derminghem).

The other main sourses are (Al-Khawarij and Al-Shiia) by the German orientalist (Julius Wellhosen). The foreign contributions have a role in this thesis, the main one is (The Caliphate, Its Rise,

Decline and Fall) by the orientalist Muir and another book in Germany by the German orientalist (Spuler) entitled (Geschichte Der Islamischen).

University of Kufa
College of Arts
Department of History

Imam Ali (peace be upon him) in the Orientalists Writings (Analytic Historical study)

A thesis submitted to
The council of the college of Arts/university of Kufa
By
Hatem Kareem Chead

In Partial fulfillment of the Requirements for the
(PH-D) Degree in History

Supervised by
Professor D.R.Hassan Esa AL-Hakeem

2007 A.C 1428 A.H